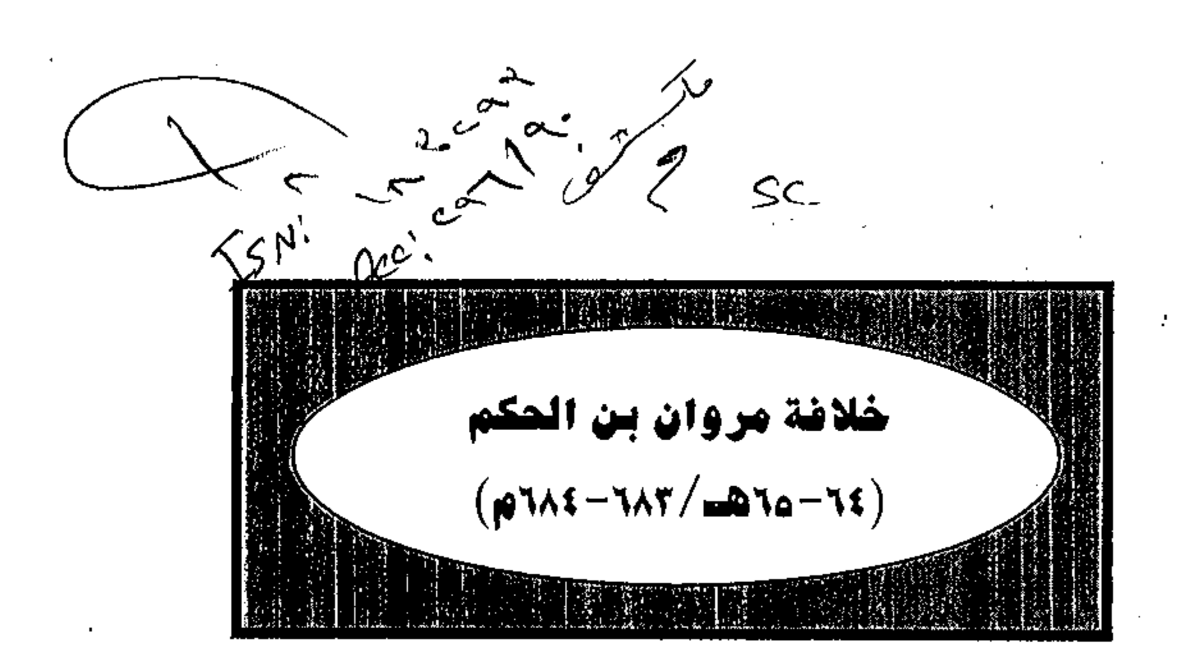




خلافة مروان بن الحكم
(٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٤م)

إعداد الطالب

صبحي محمود عسود العزام

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد ضيف الله بطاينة

١٤١٧هـ/١٩٩٦م

خلافة مروان بن الحكم

(٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٤م)

إعداد

صبحي محمود عسود العزام

بكالوريوس تاريخ/ جامعة اليرموك ١٩٩٢

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في جامعة اليرموك

تخصص تاريخ إسلامي وحضارة إسلامية

لجنة المناقشة

أ. د. محمد ضيف الله بطاينة.......................... مشرفاً ورئيساً

أ. د. فاروق عمر.......................... عضواً

د. صالح أبو دياك.......................... عضواً

١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى روح والدي الطاهرة، وإلى الوالدة العزيزة أطال الله في عمرها، وإلى إخوتي الأعزاء جميعاً واخص بالذكر خالد، وحسين، وعبد الفتاح، وعيسى اهدي هذا الجهد العلمي المتواضع.

شكر وتقدير

يسرني أن أقدم خالص الشكر والعرفان إلى أستاذي الأستاذ الدكتور محمد ضيف الله بطاينة الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث وحباني بعطفه ورعايته وكان له الفضل الكبير في إخراج هذه الدراسة.

كما أسجل شكري وتقديري إلى أخي عيسى الذي كان له الفضل الكبير عليّ والذي حباني بإرشاداته وتوجيهاته طيلة فترة الدراسة.

وشكري وتقديري إلى الأستاذ عادل بقاعين الذي قام بجهد كبير بتصحيح الرسالة لغويا قبل القيام بعملية الطبع.

كما أوجه الشكر إلى منتسبي مكتبة جامعة اليرموك ومنتسبي مركز المخطوطات في الجامعة الأردنية الذين ساهموا في تسجيل مهمة البحث.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	د
شكر وتقدير	هـ
المحتويات	و
المقدمة	ط
دراسة وتحليل لأهم مصادر الدراسة	ك
الفصل الأول: حياة مروان	١
١. ولادة مروان ونشأته	٢
٢. ثقافة مروان	٢٤
أ. مروان وروايته للحديث	٢٤
ب. مروان والإفتاء	٢٨
جـ. مروان والقضاء	٣٠
د. مروان والشعر	٣٢
هـ. مروان والخطابة	٤١
و. رأي العلماء في مروان	٤٢
الفصل الثاني: مروان في العهد الراشدي	٤٦
١- مروان والفتوح	٤٧
٢- مروان والعمل الإداري	٤٩
٣- مروان مستشار للخليفة عثمان	٥٠
٤- نشاط مروان في الفتنة ومسؤوليته فيها	٥٥
٥- محاولات مروان لإخماد الفتنة	٦٤
٦- دور مروان في الدفاع عن عثمان	٦٧

٧- البيعة لعليٍّ وموقف مروان منها ٧٠
٨- مروان والجمل ٧٤

الفصل الثالث: مروان في العهد السفياني ٨٦
١- مروان ومعركة صفين ٨٧
٢- صلح معاوية مع زياد وإستلحاقه وموقف مروان وبني أمية من ذلك. ... ٩٠
٣- مروان وجهود معاوية لبيعه يزيد. ٩٧
٤- نظرة في علاقة مروان مع معاوية ١٠١
٥- أ- ولاية مروان بن الحكم على المدينة في خلافة معاوية ١٠٩
ب- مروان والعلويون بالمدينة ١١٦
جـ- مروان وتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية ١١٩
د- إنجازات مروان العمرانية ١٢٥
هـ- الإنجازات الاقتصادية ١٢٧
و- مروان والعطاء بالمدينة ١٢٨
٦- أ- مروان وخلافة يزيد ١٣٠
ب- مروان ومقتل الحسين ١٣٢
جـ- مروان و ابن الزبير ١٣٤
د- مروان ووقعة الحرَّة. ١٣٦

الفصل الرابع: وصول مروان بن الحكم للخلافة ١٤٥
١- معاوية الثاني وتنازله عن الخلافه ١٤٦
٢- الموقف في دمشق ١٥١
٣- مؤتمر الجابية ١٦٤
٤- مرج راهط ١٧٦

الفصل الخامس: الأوضاع العامة في عهد مروان ١٨٧
١- علاقة مروان بابن الزبير ١٨٨
أ- بالشام ١٨٨

ب- مصر ١٨٩
جـ- الحجاز ١٩٢
د- العراق ١٩٥
٢- الإدارة في عهد مروان. ٢٠٢
الخاتمة ٢٠٦
قائمة المصادر والمراجع ٢٠٩
الملخص باللغة العربية ٢٢٩
الملخص باللغة الأنجليزية ٢٣١

المقدمة

تعد دراسة شخصية مروان بن الحكم وخلافته من الموضوعات الهامة في التاريخ الإسلامي، نظراً لما لهذه الشخصية من أثر في توجيه سياسة الدولة ورسم إتجاهها، وخاصة في عهد سيدنا عثمان، ولما كان لها من أثر في الحفاظ على السلطان وبقائه في البيت الأموي في أثناء انحراف القبائل في الشام عن الولاء للبيت الأموي والمبايعة لابن الزبير.

وبالرغم من كثرة الدراسات الحديثة التي تناولت في ثناياها مروان وخلافته أمثال تاريخ الدولة العربية، لفلهاوزن، وخلافة بني أمية، لنبيه عاقل، ومروان بن الحكم والخلافة، لصالح حمارنه، ومسألة شغور كرسي الحكم من تنازل معاوية بن يزيد إلى تسلم مروان بن الحكم، لخليل شاكر، إلا أن هذه الدراسات لم تقدم شخصية مروان وخلافته دراسة شاملة، حيث تتصف هذه الدراسات بالإنتقاء والإختصار، والتركيز على جانب دون جانب، لذا جاء اختياري لهذا البحث لسد هذا الفراغ، ومحاولة التعرف على حقيقة هذه الشخصية وأثرها في الأحداث السياسية قبل وصولها للخلافة، ثم بيان أثرها في استرداد السلطان وبقائه للبيت الأموي، بعد أن كاد أن يذهب لابن الزبير.

وفي أثناء قيامي بهذه الدراسة، واجهت الكثيرمن الصعوبات، منها أن موضوع البحث يتصف نوعا ما بطول الفترة الزمنية، حيث في محاولة مني ليكون البحث أكثر شمولاً اضطررت إلى تتبع هذه الشخصية من مولدها حتى وفاتها، وأيضاً تشتت المادة العلمية في المصادر المختلفة من تاريخية وأدبية وفقهية، ناهيك عن التناقض والتعارض بين المصادر في كثيرمن الأحيان، الأمر الذي كان يتطلب مني بذل المزيد من الجهد للوصول إلى الحقيقة.

أما بخصوص خطة البحث فقد قسمت إلى خمسة فصول مع مقدمة وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع والدوريات وملخص باللغتين العربية والإنجليزية، حيث تحدثت في الفصل الأول عن حياة مروان، من حيث ولادته ونشأته، ومن حيث ثقافته العالية في مختلف العلوم في الحديث، والإفتاء، والقضاء، والشعر، والخطابة، ورأي العلماء فيه.

أما في الفصل الثاني فتحدثت عن مروان في العهد الراشدي، فذكرت دوره في الفتوح والعمل الإداري، وتحدثت عن الفتنة وأسبابها، ونشاط مروان فيها ومسؤوليته عن إثارتها، ودوره في الدفاع عن عثمان، كما تحدثت عن البيعة لعليّ وموقف مروان منها، ومروان ومعركة الجمل.

أما في الفصل الثالث دور مروان في العهد السفياني، فتحدثت عن دوره في معركة صفين،وموقفه من كلّ من صلح معاوية مع زياد، وجهود معاوية لبيعة يزيد، وعن علاقته مع معاوية، وتحدثت عن ولاية مروان على المدينة، وعن نشاطه وانجازاته فيها، وتحدثت عن موقف مروان من خلافة يزيد، والأحداث التي مرت بها سواء في مقتل الحسين أو تمرد ابن الزبير أو وقعة الحرّة.

أما في الفصل الرابع فتحدثت عن وصول مروان للخلافة، فتحدثت عن خلافة معاوية الثاني وتنازله عن الخلافة، والموقف في دمشق بعد تنازله، وعن عقد مؤتمر الجابية والبيعة لمروان فيه بالخلافة، ثم مواجهة مروان لخصومه في مرج راهط.

أما الفصل الخامس فقد خصصته لدراسة الأوضاع العامة في عهد مروان، فتحدثت عن علاقة مروان بابن الزبير بالشام، ومصر، والحجاز، والعراق، وعن الإدارة في عهد مروان، وكذلك الثقافة والعلم.

أما بالنسبة للمنهج الذي اتبعته لمعالجة الأخبار، فقد قمت باستعراض الروايات المختلفة التي تتعلق بالموضوع، ثم قمت بالتعرف على الرواة والمؤرخين من حيث ميولهم وأهوائهم، وانتماءاتهم الفكرية والحزبية، وبناء على ذلك قمت بترجيح

الروايات التي تبدو أكثر صحة واعطاء الرأي الخاص بذلك، ورغم أن هذا العمل لا يخلو من الصعوبة البالغة، إلا أنني قمت بذلك ما استطعت في سبيل الوصول إلى الحقيقة دون تحيز أو تعصب.

«دراسة وتحليل لأهم مصادر الدراسة»

اعتمدت في هذه الدراسة على العديد من المصادر التاريخية والأدبية والفقهية، وهي في مجموعها تعد من المصادر الأساسية لهذه الدراسة، وسأحاول إلقاء نظرة على أهم المصادر التي يمكن تقسيمها كما يلي:

أولاً: كتب الحوليات:

١- **تاريخ خليفة بن خياط، لخليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)** ولد في البصرة وعاش فيها، اهتم بدراسة علوم القرآن، والفقه، والحديث، بالإضافة إلى ذلك كان مهتما بالأنساب والتاريخ، وقد ألف عدداً من الكتب منها كتاب التاريخ، وكتاب الطبقات، ويعتبر كتاب التاريخ لخليفة من أقدم الحوليات في التاريخ الإسلامي، وبما يميز هذا الكتاب أن الروايات التي وردت عنده تمتاز بالإختصار والإنتقاء، ويهتم خليفة بالاسناد بشكل كبير، ولعل ذلك يعود إلى كونه من رجال الحديث، وعلى الرغم بما يتميز به من الاختصار فقد استفدت منه كثيراً، خاصة فيما يتعلق بدور مروان في الفتنة، وكذلك موقفه من البيعة لعليّ، ومعركة الجمل بالإضافة إلى الأوضاع بالشام بعد وفاة معاوية الثاني.

٢- **تاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)**، وهو علم معروف في التاريخ الإسلامي وفي التفسير، بدأ دراسته في أمل بإقليم طبرستان، ورحل إلى البصرة، والكوفة، والشام، ومصر، وبغداد، كل ذلك في طلب العلم حتى انتهى إليه الرياسة في التفسير، والفقه، والتاريخ، ويعد كتابه في التاريخ أهم كتبه، وتبدو أهمية الطبري بإيراد روايات مختلفة عن كل حدث، لكنه لم يعط رأيه فيها، ولم يقدم أي نقد مباشر، ولعل ذلك يعود إلى كونه فقيهاً، وقد أفاد كتابه الدراسة إفادة كبيرة، وخاصة فيما يتعلق بالفتنة وأسبابها، ومسؤولية

مروان عن اثارتها، ودور مروان في الدفاع عن عثمان، وكذلك حديثه عن الإضطراب السياسي الذي أصاب الشام بعد وفاة معاوية الثاني.

٣- **مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبو الحسن علي بن الحسين الهذلي (ت ٣٤٦هـ/٩٨٧م)** من ذرية عبد الله بن مسعود، فالأصل حجازي، ولعل أجداده توطنوا أولاً في المغرب ثم جاءوا للعراق حيث ولد ونشأ المسعودي، فهي كما يصرّح موطنه وقد أكثر المسعودي من الرحيل فزار فارس وكرمان، وجزيرة سرنديب، وماليزيا والصين،وجاب الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وأرض الجزيرة والشام، وقد جمع المسعودي إلى هذه الرغبة في السفر نفساً لا يملّ الإطلاع والتسجيل، ولسانا لا ينبى عن السؤال والجدل في كل شيء ولا سيما في شؤون الأفكار والملل والنحل، وله كتب عديدة منها كتاب أخبار الزمان وإبادة الحدثان من الأمم الماضية والممالك الدائرة، وكتاب التنبيه والإشراف وغيرها من الكتب، على أن أهم كتبه في التاريخ كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، وقد أستفدت منه خاصة فيما يتعلق بالأخبار التي تتحدث عن والد مروان، بالإضافة إلى علاقة مروان بابن الزبير بالشام والحجاز ومصر، والعراق.

ثانياً: كتب الطبقات والتراجم:

١- **كتاب الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م)**، ولد في البصرة وعاش حقبة في المدينة، ثم انتقل منها بين مدن أخرى، وقد تعرّف في بغداد على الواقدي والتصق به، وقد ظل شديد الإرتباط بهذا الشيخ حتى عرف بكاتب الواقدي، ومن أشهر كتب ابن سعد كتاب الطبقات الذي اعتمد في جمع معلوماته على الواقدي وعلى هشام بن محمد بن السائب الكلبي بالإضافة إلى المصادر الأخرى، وقد تميز منهجه بالعرض وبتنظيم المادة وإلغاء الملاحظات الشخصية، واسناد كل قول إلى مرجعه، وذكر الوثائق بنصوصها والإستشهاد الكثير بالشعر، وهو مصدر لا غنى عنه لمن يريد أن يبحث في فترة صدر الإسلام، بحيث استفدت منه كثيراًفي جميع فصول الرسالة، وخاصة فيما يتعلق بحياة مروان، وانجازاته بالمدينة ودوره في الفتنة، وكيفية وصوله للخلافة.

٢- **كتب التاريخ الكبير: لمحمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)**

درس البخاري الحديث في وقت مبكر، وحين بلغ السادسة عشرة خرج للحج وسمع من علماء مكة والمدينة، ثم رحل إلى مصر فسمع من علمائها وبعد رحلة استمرت ١٦ عاما، عاد إلى بخارى علماً من أعلام الحديث والمحدثين، وقد تميز البخاري بسعة الأفق، حيث ألف العديد من الكتب منها كتاب الصحيح وكتاب التاريخ الأوسط والصغير، وهذا الجهد التاريخي الواسع، جعل البخاري في رأي الكثيرين ومنهم ابن حجر أول من صنف في تاريخ الصحابة والمحدثين، على أن أشهر كتبه التي رجعت اليها، كتاب الصحيح الذي زودني ببعض المعلومات عن ثقافة مروان وخاصة فيما يتعلق بالافتاء والقضاء، والكتاب الأخر والأهم كتاب التاريخ الكبير، الذي زودني بالمعلومات المهمة عن ولادة مروان ونشأته، ونشاطه في فتنة عثمان.

٣- **تاريخ مدينة دمشق الكبير: لابن عساكر، أبو القاسم على بن الحسين بن هبة الله الشافعي الدمشقي (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)**، وهو من إسره معروفة بالعلم والحديث والفقه الشافعي في دمشق، وقد بدأ الاستماع للعلم في السادسة ورحل في طلب العلم، ثم عاد إلى دمشق وقد وعى ما لدى علماء العالم الإسلامي، وخصص بعض الثانية لدراسة خطط دمشق ومساجدها وحماماتها واقنتيها وأبنيتها وكنائسها، ثم أتى في الترجمة لكل من نبغ من أبنائها أو دخلها أو اجتاز بنواحيها من الخلفاء والولاة والقضاة والعلماء، ومنهجه هو منهج الحافظ المحدث في ذكر السند مهما طال أو تعدد، وقد اتبع في التراجم التنظيم الأبجدي الدقيق، واعتمد في جمع مادته على ثلاث من المصادر، السماع من الشيوخ أو المكاتبة معهم، ثم الكتب المخطوطة، ومؤلفات السابقين، وهو كتاب مهم أفاد الدراسة في جميع فصولها، ففي ترجمته لمروان سرد ابن عساكر الأخبار بأسانيد وقدم المعلومات المهمة عن ولادة مروان ونشأته، وأخبار والده، وثقافة مروان، ودوره في فتنة عثمان، والأوضاع التي سادت الشام بعد وفاة معاوية الثاني.

ميولهم وأهوائهم، وانتماءاتهم الفكرية والحزبية، وبناء على ذلك قمت بترجيح الروايات التي تبدو أكثر صحة واعطاء الرأي الخاص بذلك، ورغم أن هذا العمل لا يخلو من الصعوبة البالغة، إلا أنني قمت بذلك ما اســـتطعت في سبيل الوصول إلى الحقيقة.

«دراسة وتحليل لأهم مصادر الدراسة»

اعتمدت في هذه الدراسة على العديد من المصادر التاريخية والأدبية والفقهية، وهي في مجموعها تعد من المصادر الأساسية لهذه الدراسة، وسأحاول إلقاء نظرة على أهم المصادر التي يمكن تقسيمها كما يلي:

أولاً: كتب الحوليات:

١- **تاريخ خليفة بن خياط، لخليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)** ولد في البصرة وعاش فيها، اهتم بدراسة علوم القرآن، والفقه، والحديث، بالإضافة إلى ذلك كان مهتما بالأنساب والتاريخ، وقد ألف عدداً من الكتب منها كتاب التاريخ، وكتاب الطبقات، ويعتبر كتاب التاريخ لخليفة من أقدم الحوليات في التاريخ الإسلامي، وبما يميز هذا الكتاب أن الروايات التي وردت عنده تمتاز بالإختصار والإنتقاء، ويهتم خليفة بالاسناد بشكل كبير، ولعل ذلك يعود إلى كونه من رجال الحديث، وعلى الرغم بما يتميز به من الاختصار فقد استفدت منه كثيراً، خاصة فيما يتعلق بدور مروان في الفتنة، وكذلك موقفه من البيعة لعليّ، ومعركة الجمل بالإضافة إلى الأوضاع بالشام بعد وفاة معاوية الثاني.

٢- **تاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)**، وهو علم معروف في التاريخ الإسلامي وفي التفسير، بدأ دراسته في أمل بإقليم طبرستان، ورحل إلى البصرة، والكوفة، والشام، ومصر، وبغداد، كل ذلك في طلب العلم حتى انتهى إليه الرياسة في التفسير، والفقه، والتاريخ، ويعد كتابه في التاريخ أهم كتبه، وتبدو أهمية الطبري بإيراد روايات مختلفة عن كل حدث، لكنه لم يعط رأيه فيها، ولم يقدم أي نقد مباشر، ولعل ذلك يعود إلى كونه فقيهاً، وقد أفاد كتابه الدراسة إفادة كبيرة،

وكيفية عقد مؤتمر الجابية والبيعة فيه لمروان بالخلافة، ثم قدم المعلومات عن علاقة مروان بابن الزبير بالشام ومصر والحجاز والعراق.

رابعاً: كتب الأدب:

١- **كتاب البيان والتبيين للجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)**، وهو من أشهر كتّاب العربية، وله كتب كثيرة منها كتاب الحيوان، وكتاب البخلاء، وكتاب التاج في أخلاق الملوك، أما أشهر كتبه فهو كتاب البيان والتبيين، وقد استفدت منه خاصة فيما يتعلق بعلاقة معاوية مع مروان، وبعض الأخبار عن والده، بالإضافة إلى ثقافة مروان خاصة في مجال الخطابة.

٢- **الكامل في اللغة والأدب: لابو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)**، الأديب النحوي اللغوي الفقيه، له العديد من الكتب منها كتاب طبقات النحاة البصريين، وكتاب أدب الجليس، وكتاب نسب عدنان وقحطان، أما أشهر كتبه فهو كتاب الكامل في اللغة والأدب، وقد استفدت منه كثيراً، حيث ذكر بعض الأخبار عن والد مروان، وأخبار الشيعة، وأخبار العراق بعد وفاة يزيد، والمبرّد لا يعني بالتسلسل التاريخي للأحداث ولا بتدوين السنوات التي وقعت فيها الأحداث، كما أنه لا يهتم بالإسناد كثيراً، مما جعل معلوماته التاريخية بحاجة إلى مزيد من التدقيق والمقارنة.

وإلى غيرها من المصادر التي استفدت منها، واعتمدت عليها في اعدادي لهذا البحث.

الفصل الأول

حياة مروان

١. ولادة مروان ونشأته

٢. ثقافة مروان

أ. مروان وروايته للحديث

ب. مروان والإفتاء

جـ. مروان والقضاء

د. مروان والشعر

هـ. مروان والخطابة

و. رأي العلماء في مروان

١- ولادة مروان ونشأته:

هو مروان[١] بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف[٢] القرشي[٣] الأموي[٤] ويظهر لنا من خلال إسمه أنه يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في النسب في عبد مناف، فبنو أمية حسب تعبير إبن رسول أقرب بطون

(١) مروان: إسم مشتق من المروه، وهي حجارة بيض براقة تواري النار، الزبيدي، محمد مرتضى- تاج العروس من جواهر القواميس، ١٠جـ بنغازي، ليبيا، جـ٣، «مارة مرو».

(٢) إبن الأثير، أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الملقب بعز الدين (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٧جـ، تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب جابر، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٣، جـ٥، ١٤٤، وسيشار إليه إبن الأثير، أسد الغابة، المدني، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٢جـ، قدم له عبد العزيز باج، أحمد الدقاق، دار المأمون، دمشق، د.ت، جـ٣، ص١٣٠٦، وسيشار إليه هكذا مدني، تهذيب الكمال، إبن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، وبهامشه الإستيعاب في معرفة الأصحاب لإبن عبد البر القرطبي (ت٤٠٢هـ)، ٤جـ، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ج٣، ص٧٧. وسيشار إليه إبن حجر، الإصابة، الدميري، كمال الدين، أبو البقاء محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى، ٢جـ، د.ن، د.م، د.ت، جـ١، ص٧٠. وسيشار اليه الدميري، حياة الحيوان.

(٣) من المعروف أن قريشاً تحتوي على خمسة وعشرين بطنا منهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد، وبنو زهره- للتعرف على باقي البطون، أنظر المسعودي، أبا الحسن على بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٤جـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، بيروت، د.ت، جـ٢، ص ٢٧٥ وسيشار إليه المسعودي ، مروج الذهب، إبن رسول، الملك الأشرف عمر بن يوسف- طرف الأصحاب في معرفة الأنساب، حققه ك.و. سترستين، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٩ ص٥٩، وسيشار إليه إبن رسول، طرف الأصحاب.

(٤) نسبه إلى أميه بن عبد شمس الأكبر، الذي كان له من الولد، حرب، أبو حرب، سفيان، عمرو، أبو عمرو، وهؤلاء العنابس شبهوا بالأسد، والعاص، أبو العاص والعيص، وأبو العيص، وهؤلاء الأعياص- للتعرف على أولاد أميه بن عبد شمس أنظر إبن قتيبه، أبي أحمد عبد الله بن مسلم (ت٢٦٧هـ/٨٨٩م)، المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص١٩٩ وسيشار إليه إبن قتيبه المعارف، إبن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٢، ص٧٨، وسيشار إليه إبن حزم، جمهرة أنساب العرب، الهمذاني، محمد بن أبي عثمان الحازمي، عجالة المبتديء وفضالة المنتهي في النسب، حققه عبد الله كنون، الهيئة المصرية العامة لشؤون المطابع، القاهرة، ١٩٦٥، ص٦١، وسيشار إليه الهمذاني، عجالة المبتديء.

قريش إلى النبي ﷺ ، هم وآل المطلب[1] فعبد مناف هو أبو الهاشمين والامويين جميعاً، لأن هاشماً هو إبن عبد مناف، وأمية هو إبن عبد شمس بن عبد مناف، فأمية هو إبن أخي هاشم، وهاشم عمه، فمن هذا يعرف ما بين البيتين من وثيق القربى، فهما أبناء عمومة واحدة.

يكنى مروان أبا عبد الملك نسبة إلى ولده عبد الملك[2] وأبا الحكم[3] وأبو القاسم[4] وأبوالقسيم[5]ويورد صاحب الإمتاع والمؤانسة كنية جديدة إنفرد بها عن باقي المؤرخين والأدباء، بذكره أنه كان يكنى أبا خالد، وظهر هذا من الرواية التي يوردها عن المدائني

(١) إبن رسول ، طرف الأصحاب، ص٥٩

(٢) إبن خياط، خليفة بن خياط العصفرى (ت.٢٤هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، راوية بقى بن مخلد، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٧٧، ص٢٦٣، المسعودي، مروج الذهب، جـ٣، ص٩٤، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) التنبيه والإشراف، تحقيق لجنة إحياء التراث، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١، ص٢٦٦، وسيشار إليه المسعودي التنبيه والإشراف إبن أبي الدم الحموي، شهاب الدين إبراهيم (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م) التاريخ الإسلامي المعروف بإسم التاريخ المظفري، قام بتحقيقه وقدم له ووضع حواشيه حامد زيان، غانم زيان، د. ن، القاهرة، ١٩٨٥، ص٢٢٧ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، مناهل الصفا في تاريخ الأئمة الخلفاء ميكروفلم رقم ٦٦٤، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، صورة مصورة عن الخزانة العامة، الرباط، ص١١ب، وسيشار إليه السيوطي، مناهل الصفا، الدولابي، أبي بشر بن أحمد بن حماد (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، الكنى والأسماء، ٢جـ في مجلد، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، بحيدر أباد، الدكن، ١٣٢٢هـ، جـ١ ، ص٨٢، وسيشار إليه الدولابي، الكنى والأسماء.

(٣) خليفة، تاريخه، ص٢٦٢، المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٦٦ ، الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ٨جـ، تحقيق فؤاد سيد، د.ن، القاهرة، ١٩٦٧، جـ٧ ، ص١٦٥، وسيشار إليه الفاسي، العقد الثمين.

(٤) الفاسي، العقد الثمين، جـ٧، ص١٦٥، إبن تعزى بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦جـ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣، مج١+٢، جـ٢ ، ص١٦٩ ، وسيشار اليه إبن تعزى بردى، النجوم الزاهرة.

(٥) مدني، تهذيب الكمال، جـ٣، ص١٣١٦، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الفارقي الدمشقي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (حوادث ٦١-٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧، ص٢٢٧-٢٢٨، وسيشار إليه الذهبي، تاريخ الإسلام.

من أن إبن الضحاك بن قيس قال لهشام بن عبد الملك، قبل أن يملك وهو يومئذ غلام شاب، يا إبن الخلائف لم تُطيل شعرك، وقميصك، قال أكره أن أكون كما قال الشاعر:

قصير القميص فاحش عند بيته | وشر غراس في قريش مُركّباً

«البحر الطويل»

قال وهذا الشعر منسوب لأبي خالد مروان بن الحكم هجا به الضحاك بن قيس[1].

وهو يعتز بأصله ونسبه، شأنه في ذلك شأن جميع الأمويين، في التفاخر على البيوتات العربية الأخرى، ولعل أصدق مثل على هذا التفاخر والإعتزاز من خلال العديد من الروايات فمن ذلك قوله:

لقد علمت قريش أن بيتي | بحيث يكون فضل من نظام

وإنا نحن أكرمها جدوداً | وأصبرها على العجم العظام

وإنا نحن أول من تبني | بمكننا البيوت مع المهام[2]

«بحر الوافر»

وبلغ به الإعتزاز والتفاخر بنسبة إلى أنه عدّ بني أمية، أفضل من بني عبد المطلب، ويظهر هذا من خلال التحاور الذي عقد عند معاوية والذي جرى بين الحسن بن

---

(١) الضحاك بن قيس: إبن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب قتل سنة ٦٤هـ، للإستزاده: أنظر إبن سعد، محمد بن سعد بن أبي عبد الله بن منيع(٢٠٣هـ/٨١٨م)، الطبقات الكبرى، ٨جـ، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧، ج٥، ص٤١١. وسيشار إليه إبن سعد، الطبقات الكبرى، التوحيدي، أبو حيان علي بن عباس (ت٤١٤هـ/١٠٢٣م)، الإمتاع والمؤانسة ٣جـ في مج١، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين، أحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، جـ٣، ص١٦٥، وسيشار إليه التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة.

(٢) الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م)، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم والقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، صححه وعلّق عليه الأستاذ ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، د.ت، ١٦٦، وسيشار إليه الأمدي، المؤتلف والمختلف.

علي بن أبي طالب[1] وبين عمرو بن العاص[2] وزياد بن أبي سفيان [3] ومروان بن الحكم، حيث كانوا يتحادثون في قديمهم وحديثهم ومجدهم، وأثناء حديث مروان، عدّ بني أمية أصبر عند اللقاء، وأوفى بالعهد، وأكرم حسباً، وأمنع لما وراء ظهورهم[4] هذا الإعتزاز من مروان في بني أمية يعود إلى المجد والفخر الذي حققه هذا البطن، دون باقي البيوتات الأخرى من خلال ظفرهم بالخلافة من عهد عثمان، وهو ما لم يتحقق إلى بني المطلب رغم الجهود التي بذلها زعماؤهم للظفر بها، ومعاداتهم المتكررة للخلافة الأموية، وإعتبار بني أمية غيرجديرين بالخلافة، لما يتميز ماضيهم من المعاداة للإسلام وأهله.

أما فيما يتعلق بمولد مروان فقد وقع الإختلاف بين المؤرخين حول السنة التي ولد فيها مروان وأيضاً في مكان ولادته، فبعضهم يرى أنه ولد قبل الهجرة [5] إلا أن هذا الرأي لا نجد له من يؤيده، بل على العكس نجد أن صاحب الخبر ينفي هذا الرأي معتمداً على الرواية التي تذكر أنه من عادة أهل مكة المسلمين أن يقدموا أولادهم حين ولادتهم إلى رسول الله ليقوم بتحنيكهم ، وكان مروان من بين الأطفال الذين قدّموا لرسول الله ليقوم بتحنيكه[6]، وبناء على هذه الرواية، فإن صاحب الإصابة ينفي أن يكون مروان ولد قبل الهجرة، وذلك يعود إلى أن أمه لم تكن أسلمت قبل الهجرة، وإن كان بعد الهجرة بفترة قصيرة، فإنه أيضاً غير معقول، وذلك لأنها لم تهاجر به إلى

---

(1) الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، (ت٤٩هـ)، للإستزادة أنظر، إبن عبد البر، أبا عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، ٤جـ دار النهضة العربية، القاهرة. د.ت، جـ١، ص-٣٩٢ ٣٨٣، وسيشار إليه إبن عبد البر، الإستيعاب.

(2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم (ت٤٣ هـ)، للإستزادة أنظر إبن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٧، ص٤٩٣-٤٩٤

(3) زياد بن أبي سفيان (ت٥٣هـ)، للإستزادة أنظر إبن عبد البر، الإستيعاب، جـ٢، ص٥٢٢-٥٣٠

(4) البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)، المحاسن والمساويء، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠، ص٧٩-٧٨، وسيشار إليه البيهقي، المحاسن والمساوئ.

(5) إبن حجر، الإصابة، جـ٣، ص٤٧٨.

(6) إبن حجر، المصدر، نفسه، جـ٣، ص ٤٧٨ ، الدميري، حياة الحيوان، جـ١، ص١٧١.

النبيّ عليه السلام[1] ويظهر لنا أن إستدلال صاحب الإصابة بقضية التحنيك لا يمكن أن يكون سبباً في تحديد تاريخ ولادته، لأنه ربما تمت عملية التحنيك بعد أن أسلم أبواه ومروان في هذه الفترة لا يزال صغيراً، إذ لا يتجاوز عمره الثماني سنوات، وبخاصة أن المصادر لا تذكر وقت تحنيك مروان، لهذا نرجح أن عملية التحنيك تمت بعد أن أسلم أبواه ، وترجح المصادر أن مولد مروان تم بعد الهجرة بسنتين أي في السنة الثانية من الهجرة[2].

ومن المصادر من يرى أنه ولد عام ثلاثة من الهجرة وهو يوم أحد[3] وهذا ما رجحه مالك بن أنس[4] وقيل يوم الخندق[5] وهناك من يرى أنه ولد عام الفتح، وهو ما يسمى بعام القضية بعد أن أسلم أبواه[6] إلا أننا نميل إلى الرأي الذي يرى أنه ولد بعد الهجرة بسنتين، فمعظم المصادر تجمع على أنه ولد بعد إبن الزبير بأربعة أشهر[7] ومن المعلوم أن إبن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً[8] ويزيد الأمر تأكيداً أن

---

(١) إبن حجر، الإصابة، جـ٢، ص،٤٧٨

(٢) إبن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٥، ص٣٦، الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، كتاب المغازي، ٣جـ، تحقيق مارسلان جونس، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٦، جـ١، ص١٢٧، وسيشار إليه الواقدي، المغازي، المسعودي، مروج الذهب، جـ٣، ص٩٨، إبن الأثير، أسد الغابة، جـ٥، ص١٤٤، النووي، أبو زكريا محي الدين بن مشرف (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، تهذيب الأسماء واللغات، ٤جـ، إعتنى بنشره وتصحيحه شركة العلماء بمساعدة ادارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت ، ق١ ، جـ٢، ص٨٧، الفاسي، العقد الثمين، جـ٧، ص،١٦٦

(٣) إبن الأثير، أسد الغابة، جـ٥، ص١٤٤، النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ق١ ، جـ٢، ص٨٧، الفاسي، العقد الثمين، جـ٧، ص،١٦٦

(٤) إبن الأثير، أسد الغابة، جـ٥، ص١٤٤، الفاسي، العقد الثمين، جـ٧، ص،١٦٦

(٥) إبن الأثير، أسد الغابة، جـ٥، ص١٤٤ ، النووي، تهذيب الأسماء واللغات ، ق١ ، جـ٢، ص، ٨٧

(٦) إبن حجر، الإصابة، جـ٢، ص،٤٧٨

(٧) الواقدي، المغازي، جـ١ ، ص١٢٧، الذهبي، تاريخ الإسلام، (حوادث ٦١-٨٠هـ)، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٨) إبن قتيبه، المعارف، ص،١٢١

رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ومروان عمره ثماني سنوات[1] الأمر الذي دفع المصادر إلى تأكيد أنه لم يحصل له سماع من رسول الله (ص) وإن حصل له شرف الرؤية[2].

وكما حصل إختلاف في تاريخ مولده، كذلك حصل إختلاف في مكان ولادته، فبعضهم يرى أنه ولد في مكة[3] في دار أبي العاص التي يقال لها دار أم أبي الحكم[4] وقيل أنه ولد بالطائف[5] إلا أننا نميل إلى الإتجاه الأول الذي يرى أنه ولد في مكة، فهي مكان سكنى أهله، ولم نلمس من خلال إطلاعنا على المصادر أن أهله ذهبوا إلى الطائف للسكن بها، إلا بعد أن نفى رسول الله (ص) والده إليها.

أما والده فهو الحكم بن أبي العاص، وكان أبو العاص كما تشير المصادر من زعماء قريش البارزين في الجاهلية، وبرزت شهرته وزعامته أكثر في الحرب التي جرت بين قريش وكنانه[6] من جهة، وهوازن[7] وقيس[8] من جهة أخرى، وهي الحرب التي

---

(١) إبن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٥، ص٣٦، إبن قتيبه، المعارف، ص١٩٩، المسعودي، مروج الذهب، جـ٣، ص٩٨، إبن عبد البر، الإستيعاب، جـ٣، ص١٣٨٧، الذهبي، تاريخ الإسلام، (حوادث ٦١-٨٠هـ)، ص ٢١٨.

(٢) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت.٢٥٠هـ/٨٦٤م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٢جـ، تحقيق رشدي الصّالح ملحس، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩، جـ٢، ص ٢٣٩، وسيشار إليه الأزرقي، أخبار مكة، النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ق١، جـ٢، ص٨٧، إبن حجر، الإصابة، جـ٣، ص ٤٧٧.

(٣) خليفه، تاريخه، ص٢٦٣، إبن عبد البر، الإستيعاب، جـ٣، ص ١٣٨٧، إبن الأثير، أسد الغابة، جـ٥، ص١٤٤، الفاسي، العقد الثمين، جـ٧، ص١٦٥ إبن تغزى بردى، النجوم الزاهرة، مج٢٠١، ج٢، ص١٦٩.

(٤) تقع هذه الدار مقابل دار حنظله بن أبي سفيان ودار سعيد بن العاص في مكة، خليفه، تاريخه، ص٢٦٣، الأزرقي، أخبار مكه، جـ٢، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٥) خليفه، تاريخه، ص٢٦٣، إبن عبد البر، الإستيعاب، جـ٣، ص١٣٨٧، إبن الأثير، أسد الغابة، جـ٥، ص١٤٤، النووي، تهذيب الأسماء واللغات ق١، جـ٢، ص٨٧، الفاسي، العقد الثمين، جـ٧، ص ١٦٥.

(٦) كنانة : بطن من مضر من القحطانيه، القلقشندي،أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، ١٩٥٩، ص٤٠٨، وسيشار إليه القلقشندي، نهاية الأرب.

تعرف بحرب الفجار، حيث تشير الروايات إلى أن الظفر كان لقيس في أول النهار، على قريش فانهزم منها كثير من بطونها، أمثال بني زهره وبني عدي، ولكن حرب بن أميه وأبا العاص وبني عبد مناف ثبتوا، وتبعهم سائر قبائل قريش، وكما يقول صاحب المنمق «وعقل حرب نفسه، وقيد سفيان وأبو العاص نفسيهما، وقالوا لن يبرح رجل مكانه، حتى نموت أو نظفر عليهم»، وشوهد أبو العاص يقاتل قتالاً شديداً، ويرتجز قائلاً:

هذا أوان الضـــــرب في الأدبار — بكل عـضب صارم مـذكار[1]

«بحر الرجز»

ويؤكد هذا الثبات لأبي العاص، قول الحجاج بن عبد الله الثعلبي يمتدح عبد الملك في أحد الأيام بقوله:

يا إبن أبي العاص ويا خير فتى — أنت سداد الدين إن ديني وهى

أنت الذي لا يحـمل الأمـر سدى — خيب قريش عنكم حوب الرحى

إن أبا العاص وفي ذاك إعتصى — أوصى بنيه فوعوا عنه الوصى

إن يسعروا الحرب ويأبوا ما أبى — الطاعينين في النحور والكلى

شذراً ووصلاً للسيوف بالخطى — إلى القـتـال مـا قـد حـوى[2]

«بحر الرجز»

---

(٧) هوازن: بطن من قيس من العدنانيه، القلقشندي، نهاية الأرب، ص٤٤٢.

(٨) قيس: قبيلة من مضر من العدنانية القلقشندي، نهاية الأرب، ص٤٠٣

(١) إبن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ/٨٥٩)، المنمق في أخبار قريش، صححه وعلّق عليه خورشيد، أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧، ص١٧٧، وسيشار إليه إبن حبيب، المنمق.

(٢) الريس، محمد ضياء الدين، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، مطابع سجل العرب، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩، ص٥٦، وسيشار إليه الريس، عبد الملك بن مروان.

كذلك عدّ أبو العاص من حكماء قريش وشعرائهم، وأثر عنه قوله «مخاطباً بني أميه»:

أبلغ لربك بني أميّة	آية نصحاً مبينا
إنّا خلقنا مصلحين	وما خلقنا مفسدينا
إني أعادي معشرا	كانوا لنا حصناً حصينا
خلقوا مع الجوزاء إذ	خلقوا ووالدهم أبونا[1]

«مجزوء الكامل»

هكذا يتبين لنا من خلال ما قدمنا، أن أبا العاص كان من الشخصيات البارزه في العصر الجاهلي، بل إننا يمكن أن نعدّه من شيوخ بني أميه في ذلك العصر.

وفيما يتعلق بالحكم بن أبي العاص، فإن الأخبار التي تتعلق به في العصر الجاهلي، نادره ولا نلمس إلا إشاره لفترة شبابه وتبين أن نشأته لم تكن تختلف عن نشأة شباب قريش من حيث حب الغناء وشرب الخمر[2]

ويظهر أنه عندما بلغ سن الرجولة، لم يكن له ذاك السنا الذي كان يتمتع به والده في الجاهلية، وذلك من خلال الرواية التي يوردها صاحب شرح نهج البلاغة بقوله «إن الحكم بن أبي العاص كان شخصاً عادياً في الأعلام، ولم يكن له ذاك السنا الذي كان يتمتع بها بقية رجالات قريش»[3].

ويبدو أن الذي جعله بهذه المنزلة في قومه، هو المهنة التي كان يمارسها الحكم ويرتزق منها، وهي مهنة الحجامة[4] وهي كما ظهر لنا من خلال الأخبار التي وصلت

---

(١) الزبيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) نسب قريش، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص. ٩٩ وسيشار إليه الزبيري، نسب قريش.

(٢) إبن حبيب، المنمق، ص. ٤٩

(٣) إبن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد هبه الله (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م)، شرح نهج البلاغة، ٥ج، قام بتحقيقه حسن تميم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٣، ج٤، ص٦١٧، وسيشار إليه إبن أبي الحديد، شرح نهج.

(٤) إبن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، (ت.٢٩٠هـ/٩٠٢م)، كتاب الأعلاق النفسيه، طبع بمطبع بريل، ليدن، ١٨٩١م، ص٢١٥، وسيشار اليه إبن رسته، الأعلاق النفسية.

إلينا عن المجتمع العربي في الجاهلية وصدر الإسلام من المهن المحتقرة في نظر العربي، حيث كان الإنسان الكامل في نظرهم هو الفارس المحارب، بالإضافة إلى تصرفات الحكم التي لا تنم عن حكمه.

وعندما بعث الله سيدنا محمد (ص) بالرسالة السماوية، نجده يلتزم طريق السرية في دعوة الناس إليها، إلى أن يأذن الله له. بالإعلان بها على رؤوس الملأ، وقد إستجاب لدعوته أناس قلائل في البداية، وكان عثمان بن عفان من بين الأشخاص الذين إستجابوا لها، وهنا يبرز دور الحكم بن أبي العاص في مقاومته للدعوة الإسلامية، والذي تعدّ نقطة البداية في مقاومة الحكم للإسلام وأهله.

فما أن بلغ الحكم بن أبي العاص نبأ إسلام إبن أخيه عثمان حتى بادر إليه وأوثقه وثاقاً شديداً طالباً منه التخلي عن دين محمد (ص) ، والعودة إلى دين آبائه وأجداده، إلا أنه إفطر لإصرار عثمان، وتمسكه بدينه، أن بادر إلى إطلاق سراحه[1].

ولم يقتصر الأمر على عثمان، بل نهج الحكم هذا المنهج مع أناس آخرين حيث ظهر هذا الأمر بوضوح خلال المجادلة التي جرت بين حويطب ومروان بن الحكم، حيث

(١) إبن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٣، ص٥٥، البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، أنساب الأشراف، الأجزاء الموجودة ١، ٢، ٣، ٤، ٥، جـ١ ، ق٤ ، تحقيق إحسان عباس، دار فرانتس شتايز، بيروت، ١٩٧٩، جـ٢، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، منشورات المجلس الأعلى للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٤، جـ٣ ، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٧، جـ٤ ، ق١، نشر ماكس شلويسنجر، القدس، ١٩٣٨، جـ٥ ، نشر مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، جـ١ ، ق٤ ، ص٤٨٢، المقدسي، مظهر بن طاهر (ت ٣٥٥هـ/٩٦٥)، البدء والتاريخ، ٦جـ في ٣مج، إعتنى بنشره وترجمته الى الفرانسويه ، كلمان هواز، دن، باريز، ١٩١٦، جـ٥ ، ص٨٠، وسيشار إليه المقدسي البدء والتاريخ . إبن عساكر، على بن الحسن بن هبه الله الشافعي، (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، ١٩جـ، صورة عن مخطوطه الظاهرية، دمشق، دار البشير، دم، د.ت، جـ١١، ص١٥٥ب. وسيشار إليه إبن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، المالقي، محمد بن يحيى بن أبي بكر الأشعري الاندلسي (ت٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، حققه محمود يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥، ص٢١، وسيشار إليه المالقي، التمهيد والبيان، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء ، دار الفكر، د.م، د.ت، ص١٤١ ، ١٤٠ ، وسيشار إليه السيوطي، تاريخ الخلفاء، الهيتمي، أحمد بن حجر (ت ٩٧٤هـ/١٥٦٦م)، الصواعق المحرقه في الرد على أهل البدع والزندقه ويليه كتاب تطهير الجنان واللسان عند الخطور والتفوه بتثليب سيدنا معاوية بن أبي سفيان، خرّج أحاديثه وعلق حواشيه وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، القاهرة، ط٢ ، ١٩٦٥، ص١٠٧، وسيشار إليه الهيتمي، الصواعق المحرقة.

كان حويطب كبير العمر، ولم يسلم إلا في فترة متأخرة، رغم أنه حاول مراراً الدخول في الإسلام، إلا أن الحكم بن أبي العاص كان يرده عن قصده ويدعوه إلى التمسك بدين أبائه وعدم الإنخراط في دين محمد عليه السلام[1].

وعندما بدأت الدعوة الإسلامية، تأخذ في الإتساع والقوة، لدخول أعداد كبيره من أهل مكة فيها، نجد أن قريشاً وبخاصة زعماؤها تأخذ موقفاً حازماً إزاء ذلك، حيث كان الحكم بن أبي العاص، وأبو لهب وعقبة بن أبي معيط، وأبو سفيان بن حرب، ممن أخذوا على عاتقهم مقاومة الدعوة الإسلامية، وذلك بالضغط على الأفراد المسلمين ممن ليس له منعه من قومه ولا جوار [2] للعودة إلى دين آبائهم، ولم يكتف الحكم وزمرته بإيذاء الأفراد، وإنما إمتد أذاهم إلى رسول الله (ص) حيث كانوا يضعون القاذورات والأوساخ

---

(١) إبن عبد البر، الإستيعاب، جـ١، ص٣٩٩-٤١٠، إبن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، العقد الفريد، شرحه وضبطه ، مجموعة من العلماء، جـ١، شرحه وضبطه أحمد أمين، أحمد الزين ابراهيم، مطبعة لجنة التاليف والترجمة القاهرة، ط٣، ١٩٦٥، جـ٢، شرح وضبطه، أحمد أمين، أحمد الزين إبراهيم، مطبعة لجنة التاليف والترجمة، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦، جـ٣، شرحه وضبطه أحمد أمين› أحمد الزين إبراهيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط٢، ,١٩٦٢ جـ٤، شرحة وضبطه أحمد أمين، أحمد الزين إبراهيم، مطبعة التاليف والترجمة القاهرة، ط٢، ١٩٦٢، جـ٥+٦+٧+٨ تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، د.م، د.ت، جـ٤، ص-٣٤ ٢٣، وسيشار إليه إبن عبد ربه، العقد الفريد، إبن الجوزي، أبو الفرج بن علي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، الأذكياء، تحقيق عبد المنعم أبو العباس، مكتبة الطراز للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، ص٥٧، وسيشار إليه إبن الجوزي، الأذكياء ، إبن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية ١٤جـ، تحقيق أحمد أبو ملحم وأخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٨٧،جـ٨، ص ٧٢، وسيشار إليه إبن كثير، البداية والنهاية.

(٢) إبن سعد، الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٢٠٠-٢٠١، الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، العثمانية ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١، ص١٠٣، وسيشار إليه الجاحظ، العثمانية: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) تاريخ اليعقوبي، ٢جـ، دار صادر، بيروت، د.ت، جـ٢، ص٢٤، وسيشار إليه اليعقوبي، تاريخه، إبن سيّد الناس، فتح الدين أبي الفتح محمد بن محمد ت (٧٣٤هـ/١٣٣٣م)، عيون الأثر، في فنون المغازي والشمائل والسير ٢جـ في مج١ تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٤، جـ١، ص١٣٩-١٤٢ وسيشار إليه إبن سيد الناس، عيون الأثر، إبن عبد البر النمري، الحافظ يوسف (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، الدور في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٦٦، ص ٤٦،٤٧،٤٨، وسيشار إليه إبن عبد البر النمري، الدرر في اختصار المغازي.

على رسول الله (ص) عندما كان يصلي، وأحيانا يضعونها أمام بيته، وخاصة إذا علمنا أن هؤلاء الأفراد كانوا ممن يجاور رسول الله (ص) في المسكن[1].

وتذكر إحدى الروايات أنهم حاولوا أن يقتلوه عليه السلام مراراً، إلا أن العناية الإلهية كانت تحول دون تحقيق هدفهم[2].

وعندما رأت قريش أن هذه الأعمال التي يقومون بها ضد النبيّ عليه السلام وصحبه غير مجديه في وضع حد لإتساع الدعوة، قرروا قتله عليه السلام، وذلك بأخذ شاب من كل قبيله، والوقوف على بابه حتى يتوزع دمه بين القبائل ولا يستطيع بنو هاشم المطالبه بدمه، وكان الحكم بن أبي العاص من بين الأشخاص الذين وقفوا على بابه لقتله عليه السلام[3].

وبعد هجرته عليه السلام إلى المدينه، نجد أن أخبار الحكم بن أبي العاص تأخذ في الإختفاء من المصادر، حيث لم ترد أي إشارة تدل على نشاطه ضد الدعوة الإسلامية ، والتي تزعّمها أبو سفيان وغيره من رجالات قريش.

ويظهر لنا أن سكوت المصادر عن نشاط الحكم بن أبي العاص ومقاومته للدعوة الإسلامية له دلاله ، فربما أوقف نشاطه ولم يشارك في الأحداث اللاحقة وهذا ما نميل إليه، رغم أن عداءه للإسلام بقي قائماً وتظهر لنا هذه الدلالة من الحادثة التي ظهرت بعد فتح مكة، فقد كان من إجراءاته عليه السلام بعد فتح مكة، أنه منح أهلها الأمان، إلا أنه إستثنى من هذا الأمان، عدداً من الأشخاص، الذين كانوا ذوي نشاط بارع في معاداه الإسلام وأهله[4] ولم يظهر إسم الحكم بين هؤلاء الأشخاص ، مما يؤكد ما ذهبنا إليه.

---

(١) إبن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، السيرة النبوية، ٤جـ في ٢مج، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٦، جـ٢ ، ص١٤٨-١٤٩، وسيشار إليه إبن كثير، السيرة النبوية.

(٢) إبن فهد، عمر بن محمد بن محمد (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ٣جـ، تحقيق فهيم شلتوت، مكتبة الخانجي، ١٩٨٣، جـ١ ، ص٢٣٢، وسيشار إليه إبن فهد، إتحاف الوري.

(٣) إبن سعد، الطبقات الكبرى، جـ١ ، ص٢٢٨، إبن فهد، إتحاف الورى، جـ١ ، ص٢٦٢-٢٦٣.

(٤) إبن عبد البر النمري، الدرر في إختصار المغازي، ص٢٣٢.

على أن أخبار الحكم تعود إلى الظهور في المصادر، وخاصة عام الحديبية، فبعد قدومه عليه الصلاة والسلام إلى مكة، لإداء العمرة، نجد أن قريشاً تمنعه من ذلك، وبعد المفاوضات التي جرت بين الطرفين، تم الإتفاق على ألا يدخلها عليه السلام في عامه ذلك ليعود إليها العام الذي يليه ، وبينما كان الطرفان يكتبان الصلح، نجد أن الحكم ومعه ثلاثون رجلاً من أهل مكة يهاجمون المسلمين، إلا أنه تم القبض عليهم، وبعد ذلك قام عليه السلام بإطلاق سراحهم، وبالحكم وأتباعه نزل قوله تعالى« هو الذي كفّ أيديهم عنكم»[1].

وبقي الحكم على عدائه للرسول (ص) والمسلمين، حتى تم فتح مكة في العام الثامن من الهجرة، حيث كان الحكم من بين زعماء قريش الذين أسلموا[2] على أن إسلام الحكم بن أبي العاص، لم يكن خالصا، حيث تذكر المصادر أن إسلامه كان ظاهرياً، خوفاً من تعرضه للعقاب، بعد أن أصبحت الدعوة الإسلامية قوة لا تقهر، ويظهر هذا الأمر بوضوح في الرواية التي يوردها الأزرقي من أنه بعد أن تم فتح مكه قام بلال بالأذان فوق الكعبة، الأمر الذي لم يرق للحكم وغيره من مشركي قريش، وعبّر عن هذا الأمر بتشبيه أذان بلال بالنهيق على ظهر الكعبة[3] وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن إسلامه لم يكن حقيقياً، وبقيت نعرة الكفر والشرك بداخله.

---

(١) ابن شهراشوب، رشيد الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهراشوب بن أبي نصر بن أبي حبش المازندراني (ت ٥٨٨هـ/١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب، ٣جـ، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلة على عدة نسخ لجنة النجف الأشراف، المطبعة الحيدريه، النجف، ١٩٥٦، جـ١، ص٦٥-٦٦، وسيشار إليه ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب.

(٢) ابن عبد البر، الإستيعاب، جـ١، ص٣٥٩، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، جـ٢، ص٢٦٣، ابن قدامه المقدسي، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، التبين في أنساب القرشيين، حققه وعلق عليه محمد نايف الدّليمي، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٥٤، وسيشار إليه ابن قدامة المقدسي، التبيين في أنساب القرشيين، الدياربكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت٩٦٦هـ/١٥٥٨م)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ٢جـ في ٢ مج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، جـ٢، ص٢٠٦، وسيشار إليه الديار بكري، تاريخ الخميس.

(٣) الأزرقي، أخبار مكة، جـ١، ص٢٧٤-٢٧٥

وعلى أثر فتح مكة، إنتقل الحكم إلى المدينة، ونزل عند إبن أخيه عثمان بن عفان[1] ولكن شيخنا إبن تيميه يرفض هذا الخبر ويحتج على ذلك بقوله أن رسول الله (ص) لم يكن يسمح للطلقاء بالسكن إلى جواره في المدينة، وأنه قام برد العديد من الأشخاص إلى مكة أمثال عمه العباس وغيره[2].على أن الحكم بن أبي العاص بعد أن سكن المدينة، لم يسر السيرة الحسنة كباقي أهل مكه الذين أسلموا وحسن إسلامهم، وإنما أخذ في إظهار عدائه للرسول (ص)، الأمر الذي دفعه عليه السلام إلى طرده، وقد حصل الإختلاف بين المصادر التاريخية حول الأسباب التي دفعته عليه السلام لطرده، فمنهم من يرى أنه كان يتجسس على رسول الله (ص)، حين كان يسّر إلى أصحابه عن الكفار والمنافقين ويعمد بعد ذلك إلى نشرها[3] وقيل أنه كان يتجسس على رسول الله (ص) في بيته، ومن ذلك مما ترويه بعض المصادر، أنه بينما كان عليه السلام في بيته يحادث بعض نسائه، إطلّع عليه الحكم من أحد النوافذ واسترق السمع ثم قام بإفشائه إلى المنافقين، على سبيل الإستهزاء، الأمر الذي أغضب رسول الله (ص)، ودفعه إلى

---

(١) المقريزي، تقي الدين أبو محمد أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، النزاع والتخاصم فيما بين بني أميه وبني هاشم، حققه وعلق عليه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٤٦، وسيشار إليه المقريزي، النزاع والتخاصم.

(٢) إبن تيميه، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م)، منهاج السنة النبوية، ٤جـ في ٢ مج، دار الفكر ، بيروت، ط٢، ١٩٨٠، جـ٣، ١٩٦ص، وسيشار إليه إبن تيميه، منهاج السنه.

(٣) إبن قتيبه، المعارف، ص١٩٩، أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، الأوائل، ٢جـ، تحقيق محمد المصري، وليد قصاب، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥، ص٢٦٨، إبن أبي الحديد، شرح نهج، ج٥، ص٢٦٣-٢٦٤، إبن عبد البر، الإستيعاب، ج١، ص٣٥٩، إبن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص٢٢٧ ، إبن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت٦٥٢هـ/١٢٩٧م) ، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، حققه وعلّق عليه مصطفى جواد- وضع فهارسه سالم الألوسي، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد، ١٩٧٠، ص٨٨، وسيشار إليه إبن الكازوني، مختصر التاريخ، القلقشندي، نهاية الإرب، ص ٨٤، المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٤٥-٤٦، إبن الكردبوس، الإكتفاء في أخبار الخلفاء، مكيروفلم رقم ٦٧٤ ، مركز الوثائق والمخطوطات ، الجامعة الاردنية، صورة عن الخزانة العامة، الرباط، ص١٥٢ب، وسيشار إليه إبن الكردبوس، الإكتفاء.

الصياح بالمسلمين طالباً منهم إبعاد هذا الوزغه عنه[1]، وقيل إنه بينما كان عليه السلام يمشي في بعض الطريق، أخذ الحكم وكان وراءه يغمز بعينيه ويخلج بأنفه على سبيل الإستهزاء، فأبعده عليه السلام ودعا عليه فأصابه الوزغ وهو الإرتعاش[2] وفي رواية أخرى أن النبيّ عليه السلام كان يتكفأ في مشيته، فأخذ الحكم في بعض الأيام في تقليد مشيته، فأبصره عليه السلام، ودعا عليه فأصابه مثل ذلك[3] وقيل أنه كان يجلس عند النبيّ عليه السلام، فإذا تكلم إختلج[4]، فأبصره عليه السلام فقال كن كذلك، فما زال يختلج حتى مات[5] وقيل أنه إذا قام عليه السلام يصلي، قام الحكم خلفه فأشار بأصابعه وهو قائم يصلي[6].

هكذا نجد المؤرخين يختلفون في تحقيق السبب الذي من أجله طرده الرسول عليه

---

(١) الجاحظ: عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البرصان والعرجان والعميان والحولان، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠، ص٣٢٠، وسيشار إليه الجاحظ، البرصان والعرجان، البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١، ق٤، ص٥١٤، المقدسي، البدء والتاريخ، جـ٥، ص٢٠٠، أبو هلال العسكري، الأوائل، جـ١، ص٢٦٨، إبن أبي الحديد، شرح نهج، جـ٥، ص٣٦٤، إبن الأثير، أسد الغابة، جـ٢، ص٢٠٧، إبن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص ٢٢٧، المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٤٥-٤٦، الديار بكري، تاريخ الخميس، جـ١، ص٢٠٧

(٢) الجاحظ، البرصان والعرجان، ص٤٣١، البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١، ق١، ص٥١٣، إبن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥جـ، تحقيق محمد محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، بيروت، د.ت، جـ٥، ص١٨٤، وسيشار إليه إبن الأثير، النهاية في غريب الحديث، إبن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص٢٢٧، إبن كثير، البداية والنهاية، جـ٦، ص١٧٨، اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن عفيف الدين (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرأة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ٤جـ في ٢ مج، طبع مطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة بمدينة حيدر أباد، الدكن، ١٣٣٧ جـ١، ص١١٢، الديار بكري، تاريخ الخميس، جـ٢، ص٣٠٦

(٣) إبن بكار، الزبير (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢، ص٢٥٧، وسيشار إليه إبن بكار، الأخبار، الموفقيات، إبن الأثير، أسد الغابة، جـ٢، ص٣٨ إبن حجر، الأصابة، جـ١، ص٣٤٦

(٤) إختلج: أي يحرك شفتيه وذقنه إستهزاء، وحكاية لفعل سيدنا محمد (ص): إبن منظور، لسان العرب، جـ٢، ص٢٥٨، مادة «خلج».

(٥) إبن الأثير، النهاية في غريب الحديث، جـ٢، ص٦٠، إبن حجر، الإصابة، جـ٢، ص١٦٢

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١، ق١، ص٥١٤

السلام، ويرجح صاحب التبين في أنساب القرشيين سبب الطرد إلى مُضيّ الحكم بن أبي العاص في مقاومته للدعوة الإسلامية، أبان قيامها في مكة، وإيذائه للرسول والمسلمين ، وزاد بغضه عليه السلام أكثر عليه، بعد أن أطلعه الله سبحانه وتعالى عليه، ممن يكون من ذريته من الخلفاء والملوك[1]

ومع إتفاق المصادر على أن رسول الله (ص) كان قد طرده، إلا أن شيخنا إبن تيميه يرى أن الحكم ذهب بإختياره، وذلك معتمداً على أن الشريعة الإسلامية، كانت قد حددت الأسباب الموجبة للنفي وهي للزاني وفي المخنث، ومع ذلك يرى إبن تيميه إنه إن كان قد نفاه فإنه ينفيه إلى مكة وليس إلى الطائف[2] حيث كانت المصادر قد ذكرت أنه نفاه إلى الطائف[3] إلى بطن وج[4] على أن المصادر بعد رحيل الحكم إلى الطائف تشير إلى أنه أخذ يرعى الغنم، وبذلك ضرب به المثل وأصبح معره لبني أميه من الفرع المرواني بالقول « غنيمات وجبيلات ولطائف » إشارة إلى أن الحكم كان يرعى الغنم ويأوى إلى جبله وهي الكرمة[5].

(١) إبن قدامه المقدسي، التبين في أنساب القرشيين، ص. ١٥٤

(٢) إبن تيميه، منهاج السنه، جـ٣، ص١٩٦

(٣) إبن أعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ/٩٢٦م)، الفتوح، ٨جـ في ٤ مج، دار الكتب العلميـة، بيروت، ١٩٨٦، جـ١+٢ ، ص٤٧٨، وسيشار إليه إبن أعثم، الفتوح، إبن عبد البر، الإستيعاب، جـ١ ، ص٣٥٩، إبن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص١٥٨، اليافعي، مرآة الجنان، ص٨٥، القلقشندي، نهاية الإرب، ص١٨٤، العامري، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن حسين اليماني (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م)، غربال الزمان في وفيات الأعيان، صححه وعلّق عليه محمد ناجي، إشراف القاضي عبد الحميد بن يحيى الأرياني، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٩٨٥، ص٣٠، وسيشار إليه العامري، غربال الزمان، إبن العماد الحنبلي، أبو فلاح عبد الحيّ (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ جـ في ٤مج، تحقيق لجنة إحياء التراث في دار الآفاق الجديدة، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت، جـ١ ، ص٣٠، وسيشار إليه إبن العماد الحنبلي، شذرات الذهب.

(٤) المقدسي، البدء والتاريخ ، مجـ٥-٦، جـ٥، ص١٩٩-٢٠٠، الذهبي، تاريخ الإسلام،ووفيات المشاهير والإعلام (عهود الخلفاء الراشدين)، تحقيق عمر عبد السلام تدمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧، ص. ٣٦٦

(٥) المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م)، الكامل في اللغة الأدب، ٤جـ، عارضه وعلّق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، ملتزم الطبع والنشر، دار النهضة، مصر، د.ت، جـ١ ، ص٢٧٦، وسيشار إليه المبرد، الكامل في اللغة والأدب.

وبقي الحكم بن أبي العاص في الطائف، حتى تولى عثمان بن عفان الخلافة ، الذي بادر إلى رد عمه، ويذكر أن الخليفة عثمان بادر إلى إسترجاع عمه في عهد رسول الله (ص)، وتشفع فيه، إلا أنه عليه السلام رفض ذلك[1] وفي رواية ثانية إن رسول الله (ص)، وعده برده[2] وفي رواية ثالثة إن رسول الله (ص)، رد عليه «إذا آل الأمر إليك فرده»[3] وفي عهد أبي بكر عرض عثمان رضى الله عنه الأمر عليه في رد عمه إلا أن أبا بكر كان رده واضحاً ومتماشياً مع سياسته بقوله «ما كنت لأحلّ عقده عقدها رسول الله (ص)»[4] وقيل أنه زبر عثمان قائلاً له «لو أدخلته لم أمن أن يقول قائل غيّر عبد رسول الله (ص) والله لأن أشق بإثنتين كما تشق الأبلمه، أحبّ إليّ من أن أخالف لرسول الله (ص) في أمرٍ و إياك يا إبن عفان أن تعاودني فيه بعد اليوم»[5].

وفي رواية أخرى أن الخليفة أبا بكر طلب منه أن يأتي بشاهد أخر عدا نفسه ، يشهد بأن رسول الله (ص)، كان قد أذن له في إرجاع الحكم بن أبي العاص، إلا أنه كما تشير المصادر لم يأت بشاهد[6] ويبدو أن الخليفة طلب ذلك منه، رغبه في التأكد من أن رسول الله ﷺ كان قد أذن بإرجاعة ، وذلك لما كان يتميز به سيدنا عثمان من الحبّ الجامع لأبناء عمومته ، رغم أن سيدنا عثمان لم يكن ممن يكذب بكلامه.

---

(١) إبن أبي الحديد، شرح نهج ، جـ٢، ص.٥٤٥

(٢) إبن تيميه، منهاج السنة، جـ٣، ص٩٦، إبن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، د.ت، ص.٩٥ وسيشار إليه إبن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية.

(٣) مؤلف مجهول من القرن ٥هـ، تاريخ الخلفاء، مخطوط نشر بطرس غريازنويچ، دار النشر إدارة التحرير الرئيسية للآداب الشرقية، موسكو، ١٩٦٧، ص ١٢أ. وسيشار إليه مجهول، تاريخ الخلفاء.

(٤) إبن الأثير، أسد الغابة، جـ٢، ص٣٨، إبن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص.١٥٨

(٥) إبن أبي الحديد، شرح نهج، جـ٢، ص٥٢٤

(٦) إبن العربي، أبو بكر محمد بن علي بن محمد (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م)، العواصم من القواصم في تحديد مواقف الصحابة بعد وفاة النبيّ (ص)، حققه وعلق عليه محبّ الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، د.ت، ص٧٧، وسيشار إليه إبن العربي، العواصم من القواصم، الدياربكري، تاريخ الخميس، جـ٢، ص٢٦٧، الهيتمي، الصواعق المحرقه، ص.١١٣

وفي عهد سيدنا عمر بن الخطاب، حاول سيدنا عثمان إرجاعه، إلا أن الخليفة عمر رفض ذلك مستنداً إلى قرار أبي بكر الصديق[1] وفي رواية أخرى أنه نفاه إلى اليمن[2] رغم أن هذا الخبر لا تؤكده المصادر ولا ندري ما الدافع إلى ذلك.

وبقي الحكم طريداً ، حتى خلافة إبن أخيه عثمان بن عفان، الذي بادر إلى رده، معتمداً على علمه، بجواز رده من منفاه[3] ولقد أثار رد سيدنا عثمان له إعتراض المسلمين على ذلك، وكان رد الخليفة أنه كان قد إستشفع فيه رسول الله (ص)، وأنه كان قد وعده برده، وظهر هذا الأمر بوضوح في الخطاب الذي ألقاه عند رده على إعتراض المسلمين عليه بنفي عدد من المسلمين بقوله: «إنه بلغني أنكم تزعمون أني إنما أخذت التسيير عن الحكم بن أبي العاص، إن الحكم مكيّا، فسيرّه رسول الله إلى الطائف، ثم رده إلى بلده، فرسول الله (ص) سيّره ورسول الله رده بعفوه»[4] وفي رد أخر يبرر عمله بأن الحكم تاب فقضى بعلمه بوجوب عودته من المنفى[5].

هذا وقد أثار فعل سيدنا عثمان في رد الحكم جدلاً بين العلماء حول صحة هذه الخطوة التي قام بها، ويجدر الإشارة في هذا الصدد أنه من خلال إطلاعنا على المصادر، لم نجد المؤرخين والفقهاء يعطون رأيهم في القضية، إلا في مصدرين قدما لنا آراء بعض الفقهاء في هذه القضية، ومن هذه المصادر مصدر شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، الذي ينقل آراء بعض فقهاء الشيعة، وقد ظهر لنا من خلال هذه الآراء أنهم كانوا بين مؤيد ومعارض لهذا الفعل.

فمنهم من يرى أن الفعل الذي قام به سيدنا عثمان مخالف للسنة ولسيره من

---

(١) إبن العربي، العواصم من القواصم، ص٧٧، إبن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص١٥٢ ، الديار بكري، تاريخ الخميس، جـ٢، ص٢٦٧، الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص.١١٣

(٢) إبن تيمية، منهاج السنة، جـ٣، ص.٢٣٥

(٣) الهيتمي، الصواعق المحرقه، ص.١١٣

(٤) إبن أعثم، الفتوح، جـ١ ، ص٤٠٣-٤٠٤، اليافعي، مرآة الجنان، جـ١ ، ص٨٥، العامري، غربال الزمان، ص.٣٠، إبن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ١، ص٣٨، الدميري، حياة الحيوان، جـ١ ، ص.٦٠، إبن الكردبوس، الإكتفاء، ص١٥٤ب.

(٥) أبو هلال العسكري، الأوائل، جـ١ ، ص.٢٦٠، الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص١١٣

تقدمه، معتبراً أن ما حكاه سيدنا عثمان في إذن النبيّ عليه السلام له في رد الحكم ليس حقيقة[1].

والرأي الثاني يرى بأن صنعه كان من الأفضل تجنبه، ولم يكن يجوز له مثل هذا العمل لكونه عليه السلام كان قد حظر مثل هذا العمل، ولا يحق لأحد أن يجتهد في إباحة المحظور أو حظر المباح، ويرى أنه لو سوغنا الإجتهاد في مخالفة ما تناوله النص، لم يؤمن أن يؤدي إجتهاد مجتهد إلى تحليل الخمر، وإسقاط الصلاة بأن تتغير الحال وهذا يؤدي بالتالي إلى هدم الشريعة، ويرى بأن الاستشهاد بإسترداد عمر من جيش أسامة، وكان قد بعثه عليه السلام، فالكلام في الأمرين مختلف[2].

والرأي الثالث يرى في أحقيته رضي الله عنه في رده، معتمداً على علمه وأنه لا يجوز تكذيبه فيما حكاه من أذن النبيّ (ص) له في رده لكونه صادقاً، وتجويز ذلك كونه مقتدراً[3]. والمصدر الثاني هو منهاج السنة لشيخنا إبن تيمية، الذي يقدم الأدلة المنطقية التي تؤيد صنيع سيدنا عثمان، وتردّ على المعترضين على هذا العمل ومن ذلك قوله أن الشريعة الإسلامية، وضعت لكل ذنب حدّاً، ولم يوجد في الشريعة حدّ يبقي صاحب الذنب منفياً طوال العمر، بل أن غاية النفي هي لمدة سنة حتى يتوب، وهذا ما ينطبق على الزاني والمخنث، فإن تاب سقطت العقوبة عنه، وإن لم يتب فهو أمر إجتهادي[4]

كذلك فإن سيدنا عثمان كان قد شفع في عبد الله بن أبي السرح إلى النبيّ (ص) وكان كاتبا للوحي وارتد عن الإسلام، وكان النبيّ (ص) قد أهدر دمه ، فمن أهدر دمه ثم جاء به عثمان فقبل النبيّ (ص) شفاعته فيه وبايعه، فكيف لا يقبل شفاعته في الحكم، ونحن نعلم أن ذنبه دون ذنب عبد الله بن أبي السرح[5].

(١) إبن أبي الحديد، شرح نهج، جـ٢، ص٥٢٣

(٢) إبن أبي الحديد، المصدر نفسه، جـ٢، ص٥٢٥

(٣) إبن أبي الحديد، المصدر نفسه، جـ٢، ص٥٢٣

(٤) إبن تيمية، منهاج السنة، جـ٣، ص١٩٧.

(٥) إبن تيمية، المصدر نفسه، جـ٣، ص١٩٧-١٩٨.

ويعجب إبن تيمية من أمر الذين يظنون في عثمان، ويتهمونه في مخالفة أمر رسول الله (ص)، ومن المعروف أن سيدنا عثمان أتقى لله من أن يقدم على مثل هذا بل هذا ما يدخله الإجتهاد، فلعل أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، لم يرداه لأنه لم يطلب ذلك منهما، وطلب من عثمان فأجابه إلى ذلك، أولعله لم يتبين لهما توبته، وتبين ذلك لعثمان رضى الله عنه.[1]

كذلك يرى إبن تيميه أن الحكم من الطلقاء، والطلقاء حسن إسلام أكثرهم ومجرد ذنب يقدر عليه لا يوجب أن يكون منافقاً في الباطن والمنافقون تجري عليهم في الظاهر أحكام الإسلام- ولم يكن أحد من الطلقاء بعد الفتح يظهر المحاده لله ورسوله، بل يرث ويورث ويصلّي عليه، ويدفن في مقابر المسلمين، وتجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على غيره، ويرى أنه قد عرف نفاق جماعة من الأوس والخزرج كعبد الله بن أبي السلول وأمثاله، ومع هذا كان المؤمنون يتعصبون لهم أحياناً كما تعصب سعد بن عباده لإبن أبيّ بين يديّ رسول الله (ص)، وقال لسعد بن معاذ والله لا تقتله ولا تقدر على قتله، وهذا وإن كان ذنباً من سعد لم يخرجه عن الإيمان، بل سعد من أهل الجنة ومن السابقين الأولين من الأنصار[2] فكيف بسيدنا عثمان إذا أوى رجلاً لا يعرف أنه منافق، ولو كان منافقاً، لم يكن الإحسان إليه موجباً للطعن في عثمان، فإن الله تعالى يقول «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم إن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين». وقد ثبت في الصحيح أن أسماء بنت أبي بكر قالت يا رسول اله إن أمي قدمت، وهي راغبة فأصلها قال نعم صلى أمّك، كذلك أوصت صفيّة بنت حيّ بن أخطب لقرابة لها من اليهود ، فإذا كان الرجل المؤمن قد يصل أقاربه الكفار ولا يخرجه ذلك من الإيمان، فكيف بأمير المؤمنين إذا أحسن إلى عمه المظهر للإسلام[3].

وبعد أن رده رضى الله عنه، بادر إلى إكرامه، وإغداق الأموال عليه، وتصف المصادر حالته عند قدومه بأنه كان يلبس الثياب الباليه «قزر خلق» وعندما خرج من

---

(١) إبن تيمية، المصدر نفسه، جـ٢، ص١٩٨.

(٢) إبن تيمية، المصدر نفسه، جـ٢، ص١٩٧.

(٣) إبن تيمية، المصدر نفسه، جـ٢، ص١٩٧-١٩٨.

دار عثمان كان يلبس جبه خز وطيلسان[1] كما منحه مائة ألف درهم[2] وبقي الحكم

يعيش الحياة المترفة، مثله مثل باقي أفراد بني أميه في خلافة عثمان إلى أن توفي سنة ٣٢هـ، ويظهر أن الخليفة عثمان لم يكتف بإكرامه في حياته، بل إنه بادر إلى إكرامه بعد موته، وذلك ببناء فسطاط على قبره[3] الأمر الذي أدى إلى إزدياد غضب المسلمين عليه، إلا أنه إحتج في هذا الأمر بأن الخليفة عمر كان قد ضرب فسطاطا على قبر السيّده زينب بنت جحش زوج النبي (ص)[4].

وفيما يتعلق بوالدة مروان، فإنه حصل الإختلاف بين المصادر سواء من حيث إسمها، ومن حيث ثبوت البغاء فيما يتعلق بها أم بجدّته، حيث تذكر أغلبيه المصادر على أن أمه هي آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أميه الكنانية، وهي كما يظهر من إسمها من بني كنانة أي ليس من قريش[5] بينما يرى الفريق الآخر أن إسمها أرنب

(١) اليعقوبي، تاريخ، جـ٢، ص١٦٤، سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندريه، ١٩٨٨، ص ٢٧٧، وسيشار إليه سالم، السيد عبد العزيز.

(٢) إبن قتيبه، المعارف، ص١٩٩، إبن أعثم، الفتوح، جـ٢، ص.٣٧، المقدسي ، البدء والتاريخ،مج٣ ، جـ٥، ص.٢٠٠، أبو هلال العسكري، الأوائل، جـ١، ص٢٧٥، إبن عبد ربه ، العقد الفريد، جـ٤، ص٢٨٣، مجهول، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦أ، الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، ٤جـ في ٢مج، د.م، د.ن.د.ت، جـ٤، ص ٤٧٦، إبن العبري، غريغوريوس الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، دار المسيره، بيروت، د.ت، ص١٠٤، وسيشار إليه إبن العبري، تاريخ مختصر الدول، إبن الكردبوس، الإكتفاء، ميكروفلم، ص١٥٢ب.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١، ق١، ص٥١٤، المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٤٦، إبن حجر، الإصابة، جـ١، ص٣٤٦.

(٤) إبن حجر، الإصابه، جـ١، ص٣٤٦.

(٥) إبن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م)، جمهرة النسب، راوية السكّري عن إبن حبيب، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب: بيروت، ١٩٨٦، ص ١٢٨. وسيشار إليه إبن الكلبي، جمهرة النسب. . إبن خياط، خليفة العصفرى (ت.٢٤٠هـ/٨٥٤م)، الطبقات ، راوية أبي عمران موسى بن زكريا يحيى التسترى، ٤جـ في ٢مج، حققه سهيل زكار، مطابع وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٦٦، ج٤، مج٢، ص٥٨٢-٥٨٣. وسيشار إليه : خليفة ، الطبقات. إبن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م)، تاريخ الخلفاء راوية أبي بكر السدوسي، تحقيق محمد مطيع، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت، ص٢٩، وسيشار إليه إبن ماجه، تاريخ الخلفاء، المسعودي، مروج الذهب، جـ٣، ص٩٤، إبن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص٢٢٧.

بنت علقمة بن صفوان بن أميه الكنانية[1] وهي الزّرقاء التي كان يعيّر بها مروان وبنوه[2].

ويؤكد هذا الأمر المحاوره التي جرت بين مروان بن الحكم، وأروى بنت الحارث بن عبد المطلب في مجلس معاويه «فقال مروان أيتها العجوز الضّالة ماخ[3] بصرك، مع ذهاب عقلك فلا تجوز شهادتك، فردت عليه يا بنيّ تتكلم يا إبن الزرقاء، فوالله لأنت إلى سفيان بن الحارث بن كلده أشبه منك بالحكم، وإنك لشبهه في زرقه عينيك، وحمرة شعرك مع قصر قامته، وظاهر دمامته، ولقد رأيت الحكم ماداً القامة ظاهر الأمة، سبط الشعر، وما بينكما قرابة إلا كقرابة الفرس من الآتان القرب، فأسأل أمك كما ذكرت لك، فإنها تخبرك بشأن أبيك إن صدقت»[4].

ويظهر لنا من خلال هذه الرواية أن الزرقاء هي أم مروان بن الحكم، وقد بقيت فيما بعد معره لبني أميه من الفرع المرواني، وأشهر مثال على ذلك قول أحد الشعراء مخاطباً عبد الملك، ومعيّراً إياه بأمه.

فسعدد مثلهن أباذبان	فيعلم ما تقول ذوو العقول
فما الزرقاء لي أمّاً فأخزى	ولا لي في الأزارق من سبيل[5]

«البحر الوافر»

---

(١) إبن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨٧.

(٢) إبن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، رسالة أسماء الخلفاء والولاة، وذكر مددهم، تحقيق، إحسان عباس، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، (وقعت في الجزء الثاني، رسائل إبن حزم).

(٣) ماخ: سكن، فيقال ماخ الغضب وغيره إذا سكن، إبن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٥٨ مادة «موخ».

(٤) أبو طاهر، الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م)، بلاغات النساء، وطرائف كلامهن وملح نوادرهن، وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية والإسلام، صححه أحمد الألفي، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٨٥، ص٣٢-٣٣، وسيشار إليه أبو طاهر، بلاغات النساء، الأبي، أبو سعيد منصور بن الحسين (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، نثر الدر، ٦جـ، تحقيق محمد إبراهيم، مراجعة علي محمد البجاوي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٧، جـ٤، ص٢٧، ٢٨، إبن عبد ربه، العقد الفريد، جـ٢، ص١٢٠-١٢١، الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ/١١٢٤م)، مجمع الأمثال، ٢جـ، د.ن- مصر، ١٣٥٢، جـ١، ص٤٢٢، وسيشار إليه الميداني، مجمع الأمثال.

(٥) جرار، فاروق أنيس، عبد الملك بن مروان، مجلة أفكار، ع٤، ١٩٧٤، ص٢٢ وسيشار إليه جرار، عبد الملك بن مروان.

بينما يرى ابن الأثير أن الزرقاء هي الزرقاء بنت موهب جده مروان، وكانت من ذوات الرايات التي يستدل بها على ثبوت البغاء، إلا أنه يرجح أنها ربما كانت تمارس البغاء قبل زواجها من أبي العاص، لكونه كان من أشراف قريش، ولا يعقل برأيه أن تمارس البغاء وهي زوجه له[1] وهذا ما نميل إليه، إذ لا يعقل أن يتزوج أبو العاص مثل هذه المرأة، وهو معدود من رجالات بني أميه، ومن زعماء قريش، وخاصة إذ علمنا أن للشرف قيمة عالية في مجتمعنا العربي، كما أننا لا نستبعد أن يكون ذلك تلفيق من المؤرخين لإلحاق العار ببني أميه من الفرع المرواني، لدورهم البارز في التاريخ الإسلامي، وما إرتكبوه في المجتمع الإسلامي أبان ولايتهم.

(١) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي بكر الشيباني الملقب بعز الدين (ت.٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ١٠هـ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٧، جـ٤، ص١٥.

٢- ثقافة مروان

أ- مروان وروايته للحديث

عندما إنتهى الأمر إلى معاوية تجده، يتخذ مروان والياً على المدينة، وكان مروان في هذا الوقت لا زال في فترة الشباب، حيث لم يكن يتجاوز الثامنة والثلاثين، وقد إستفاد مروان من ولايته على المدينة، إستفادة بالغة في حصوله على مبتغاه من العلم، حيث أخذ ينهل منه على أيدي أكابر الصحابة والتابعين الذين كانوا على قيد الحياة.

وفيما يتعلق بروايته للأحاديث، فإن المصادر تجمع على أن مروان لم يحدث له شرف السماع من رسول الله (ص)، وذلك لصغر سنه، مع إن إبن صلاح لا يجد لذلك مبرراً، لأنه رأى أن المحدث تقبل روايته وإن كان سمع وهو في سن دون البلوغ، حتى ولو كان عمره دون الخامسة مشيراً إلى أن الناس قبلوا رواية أحداث الصحابة كالحسن بن عليّ وإبن عباس وإبن الزبير، والنعمان بن بشر وأشباههم من غير فرق بين ما تحملوه قبل البلوغ وما بعده[1].

ومع تقرير المصادر لهذا الأمر تجمع على أن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة[2] هما اللذان يعتمد عليهما فيما يتعلق بحديث الحديبية، ولا يعلم من أين

---

(١) إبن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بإبن الصلاح (ت٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م)، مقدمة في علوم الحديث، منشورات دار الحكمة، دمشق، د.ت، ص٦٠-٦١، وسيشار إليه إبن الصلاح، مقدمة في علوم الحديث، مدني، تهذيب الكمال، جـ٣، ص١٣١٦، الفاسي، العقد الثمين، جـ٧، ص١٦٦-١٦٩، إبن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، تهذيب التهذيب، ١٤هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤، جـ١، ص ٨٣، وسيشار إليه إبن حجر، تهذيب التهذيب، عابدين، محمد أبو اليسر، أغاليط المؤرخين، د.ن، دمشق ١٩٧٢، ص١٥٢، وسيشار إليه عابدين، أغاليط المؤرخين.

(٢) الواقدي، المغازي، جـ٢، ص٢٦٦، ٤٠٠، خليفة، تاريخه، ص٨١، البسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)المعرفة والتاريخ راوية عبد الله بن جعفر درستويه النحوي، ٣جـ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨١، جـ٢، ص٧٢٣، وسيشار إليه البسوي، المعرفة والتاريخ، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، صحيح البخاري، ٩جـ، ترجمة محسن فان هلال يانيلري، انقره، ط٢، ١٩٧٦، جـ١، ص٥٢، وسيشار إليه البخاري، صحيحه ، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ١١جـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧، جـ٢، ص٦٣٧، وسيشار إليه الطبري، تاريخه، محب الدين الطبري، أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر (ت٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م)، القرى القاصد أم القرى، تحقيق مصطفى السقا، مصطفى البابي، مصر، ١٩٤٨، ص٥٢٨، وسيشار إليه محب الدين الطبري، القرى القاصد، أم القرى.

أخذ مروان والمسور روايته، الأمر الذي أثار إعتراض المحدث إبن كثير، الذي أبدى إعتراضه على ذلك لأن مروان والمسور بن مخرمة كانا صغيرين يوم الحديبية[1] ويفسر بعضهم هذا الأمر مؤكدين أنهما أخذا روايته عن الصحابة رضي الله عنهم، مع إن المصادر الفقهية لم ترد في سند الحديث إسم أي صحابي أخر غيرهما[2] كذلك روى مروان قوله (ص): «إن من الشعر لحكمة»[3].

هذا فيما يتعلق برواية مروان للأحاديث التي إنفرد بها هو وأحد الأشخاص الآخرين، إلا أن المصادر تذكر أنه روى عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، فقد روى عن سيدنا عمر قوله «من وهب وهبه لصلة رحم فإنه لا يرجع فيها»[4].

وروى عن سيدنا عثمان وعليّ خاصة، فيما يتعلق بالجمع بين الحج والعمرة، وهو ما يعرف بالمتعة «إن عثمان نهى عن المتعة، وأن يجمع الرجل بين الحجّ والعمرة، ومخالفة عليّ له «ما كنت لأدع سنّة النبيّ لقول أحد»[5].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٢، ص٦٣٧، إبن كثير، البداية والنهاية، جـ٤، ص٢٧٧، ٢٧٨.

(٢) إبن كثير، البداية والنهاية، جـ٤، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٣) الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت٢١١هـ/٨٢٦م)، المصنف، ١١جـ، عني بتحقيقه حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، د.م، ١٩٧٢، جـ١، ص٢٦٣، وسيشار إليه الصنعاني، المصنف، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الفارقي الدمشقي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تذكره الحفاظ، ٤جـ في ٢مج، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، ط.٤، ١٩٦٨، جـ١، ص٤٠٥-٤٠٦ وسيشار إليه الذهبي، تذكرة الحفاظ.

(٤) إبن سعد ، الطبقات الكبرى، جـ٥، ص٤٣.

(٥) إبن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٥، ص٤٣، النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار (ت ٣٠٢هـ/٩١٥م) سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، ٨جـ في ٤ مج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، مجـ٥-٦، جـ٥، ص١٤٨، وسيشار إليه النسائي ، سنن النسائي، الرازي، أبو محمد بن عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس التميمي، الجرح والتعديل، ٨جـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، ١٩٥٣، جـ٨، ص٢٧، وسيشار إليه الرازي، الجرح والتعديل، إبن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، لسان الميزان، ٧جـ، دار الفكر، بيروت، د.ت، جـ٧، ص٢٨٢،وسيشار إليه إبن حجر، لسان الميزان.

كما أن ولاية مروان على المدينة كان لها أثر في روايته على أكابر الصحابة، حيث تشير المصادر بحرص مروان على ذلك، وإهتمامه بأخذ العلم عنهم، وظهر هذا في الرواية التي يوردها إبن سعد من أن مروان في أحد الأيام إستدعى زيد بن ثابت إلى مجلسه، ووضع شخصاً وراء الحجاب، ليكتب له كل ما يرويه زيد بن ثابت، فأخذ مروان يسأل ويكتبون[1].

ويظهر من هذه الرواية أن زيد بن ثابت كان ينهى عن الكتابة عنه، ويأبى أن يكتب لأحد، وإن كان لا يظن على أحد بعلمه، وما سمعه من سيد المرسلين، الأمر الذي دفع مروان إلى إتباع إسلوب آخر من أجل الحصول على مبتغاه، وتؤكد المصادر أن مروان قد روى عن زيد بن ثابت حديث رسول الله (ص)، فيما يتعلق بالسور التي تقرأ في صلاة المغرب قال زيد «إن رسول الله «ص» كان يقرأ بطولي الطولّين، وهما الأنعام والأعراف»[2]وقوله عليه السلام «يؤدي المكاتب بقدر ما عتق من ديه الحر، وبقدر ما رق من ديه العبد»[3].

وأخذ عنه بعض مناسبات السور منها قوله تعالى «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله غير أولى الضرر» نزلت في إبن أم مكتوم[4].

كذلك تروى المصادر مجالسه المتعددة مع أبي هريرة، الذي يعد في مقدمة الذين رووا أحاديث رسول الله (ص) لكثرة مصاحبته له، وظهر هذا الأمر بوضوح وكثرة محادثة مروان لأبي هريره من رواية البسوي بقوله «فقام مروان فقال يا أبا هريره ما تزال تحدث بأحاديث لا نعرفها»[5].

---

(١) إبن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٢، ص٣٦١.

(٢) أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن أبي داوود، ٤جـ، مراجعة وضبط أحاديثه محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنّة، د.م، د.ت، جـ١، ص٢٠٥. وسيشار إليه أبو داوود، سنن أبي داوود، البخاري، صحح، جـ١، ص٤٠٧.

(٣) إبن عبد البر، الإستيعاب، جـ٣، ص١٣٨٩-١٣٩٠، عابدين، أغاليط المؤرخين، ص١٥٠.

(٤) البخاري، صحيحه، جـ٤، ص٦٣، إبن عبد البر، الإستيعاب، جـ٣، ص١٣٨٩-١٣٩٠.

(٥) البسوى، المعرفة والتاريخ، جـ٢، ص١٢٥.

فقد أخذ عنه كيفية الصلاة على الميت[1]وصلاة الخوف[2] وآداب صلاة الفجر قال أبو هريرة، قال عليه السلام «إذا صلى أحدكم ركعتين قبل الصبح فليضطجع على يمينه»[3] والإفطار إذا أصبح الصائم جنباً[4]وقوله عليه السلام «هلك أمتي على أيدي غلمه من قريش»[5].

كما أخذ عن أبي سعيد الخدري في عدم الجلوس قبل أن توضع الجنازة[6]وفي النهي عن النّفخ في الشراب[7] وقوله عليه السلام في قوله تعالى: «إذا جاء نصر الله والفتح»[8].

كذلك أخذ مروان عن بسره بنت صفوان خالته[9] حديث رسول الله (ص) فيما يتعلق بالوضوء إذا مسّ الشخص ذكره قال مروان سمعت بسره تقول «إذا مسّ أحدكم ذكره فليتوضأ»[10].

---

(١) البسوي، المصدر نفسه، جـ٣، ص١٢٥.

(٢) النسائي، سنن النسائي، مج٣-٤، ج٣، ص١٧٢-١٧٤.

(٣) أبو داود، سنن أبي داود، جـ٢، ص٢١.

(٤) مالك بن أنس (ت١٧٩هـ/٧٩١م)، الموطأ، ٢جـ في مج١، رقّمه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الثقافية بيروت، ط٢، ١٩٩٢، جـ١، ص٢٩٠، وسيشار إليه الإمام، مالك، الموطأ.

(٥) البخاري، صحيحه، جـ٤، ص٥١٥، العامري، غربال الزمان، ص٥٥.

(٦) البخاري، صحيحه، جـ٢، ص٢٢٣.

(٧) الدارمي، أبو أحمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)سنن الدارمي، ٢جـ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، جـ٢، ص١٩، وسيشار إليه الدارمي، سنن الدارمي.

(٨) إبن عبد البر، الإستيعاب، جـ١، ص٨-٩، إبن كثير، البداية والنهاية، جـ٤، ص٣١٩-٣٢٠.

(٩) النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ق١، جـ٢، ص٣٣٢.

(١٠) الإمام مالك، الموطأ، جـ١، ص٤٢٤، الدارمي، سنن الدارمي، جـ١، ص١٨٥، النسائي، سنن النسائي، جـ١، ص١٠٠-١٠١. الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، ميزان الإعتدال في نقد الرجال، ٤جـ في ٢مج، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، جـ٤، ص٨٩، وسيشار إليه الذهبي، ميزان الإعتدال.

وعلى أثر هذا الإهتمام الكبير من مروان بالأحاديث وروايتها، فقد روى عنه أكابر التابعين من الفقهاء والمحدثين، وكما يرى إبن العربي فقد كانوا من أعلى مرتبة في الإسلام وكانوا يعظمونه ويتلفتون إلى فتواه، والإنقياد إلى روايته[1].

فقد روى عنه عروة بن الزبير، وعلي بن الحسين، وعبد الله بن عبد الله بن عتبه، وسهل بن سعد الساعدي، ويزيد بن حبيب، وسعيد بن المسيب، ومجاهد بن جبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام، وإبن عباس، وإبنه عبد الملك والزهري[2].

ب- مروان والإفتاء

كما كان مروان راوياً للحديث، فإنه كان مفتياً، ومن يطّلع على فتاويه، يرى ما وصل إليه مروان في الفقه، ففي أثناء ولايته على المدينة قام بإخراج المنبر وتقديم الخطبة على الصلاة يوم العيد، والجلوس بها، الأمر الذي دفع العديد من الصحابة إلى الإعتراض على ذلك قائلين «خالفت السنّة يا مروان» وكان رد مروان واضحاً من أن الناس إعتادوا عدم الجلوس بعد الصلاة، الأمر الذي دفعه إلى القيام بتقديم الخطبة[3] ومما يزيد تأكيد علو كعب مروان في الفقه، أن إمرأة أيام ولايته على المدينة، كانت قد نذرت أن تنحر إبنها عند الكعبة في أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقدمت إلى المدينة لتستفتي في نذرها أكابر الصحابة، وجهابذه العلم بها، وكان أول الأشخاص الذين إستفتتهم عبد الله بن عمر، فكان جوابه بوجوب الوفاء به، وإستفتت إبن عباس فكان رده أن الله أمر بالوفاء بالنذر، وإن النذر دين، وفي النهاية أفتاها إبن عباس

---

(1) إبن العربي، العواصم من القواصم، ص٨٩-٩٠.

(2) الرازي، الجرح والتعديل، جـ١، ص٢٧١، ٢٠٢، مدني، تهذيب الكمال، جـ٣، ص١٣١٦، الفاسي، العقد الثمين، جـ٧، ص١٦٦-١٦٩.

(3) الصنعاني، المصنف، جـ٣، ص٢٨٥، أبو داود، سنن أبي داود، جـ١، ص٢٩٧، البخاري، صحيحه، جـ٢، ص٤٠-٤١، إبن كثير، البداية والنهاية، جـ٨، ص٢٦٠-٢٦١، تشير المصادر المذكوره أن أحد الأشخاص قام إلى مروان قائلاً «خالفت السنة فقال له مروان قد ترك ما هنا لك، فقال أبو سعيد الخدري أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله (ص) يقول: «من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسان، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

بجواز نحر مائة من الإبل مكان إبنها، وحين قدمت إلى مروان رأي بعلمه وفقهه، أن ما أفتى به إبن عمر وإبن عباس غير صحيحين، وأنه لا نذر في معصية الله، وطلب منها إستغفار الله والتوبة إليه، والتصدق في سبيله، وكان لفتوى مروان هذه أثر في بعث السرور والفرح عند الناس، ويروي المصدر من أن الناس لم يزالوا يفتون بالأنذر في معصية الله[1].

كما أفتى مروان الناس بصحة الإحرام والطواف وهم مخمرون الوجوه[2] رغم أن المصدر لم يرو الحكمة من وراء هذا العمل الذي أفتى به مروان ومارسه بنفسه، وحين سُئل عن جواز الضرب في المسجد، نجده ينهى عن ذلك لما للمسجد من حرمة لا يجوز تجاوزها[3].

وعلى أثر رمي البحر أيام ولايته على المدينة سمكاً كثيراً ميتاً، أصاب الناس الشك بجواز أكله، الأمر الذي دفعهم إلى إستفتاء أكابر الصحابة أمثال أبي هريرة، فأفتاهم بجواز أكله، ويبدو أن إفتاء أبي هريرة لم يكن مقنعاً لهم، الأمر الذي دفعهم إلى الذهاب إلى مروان وإستفتائه فأجاب بصحة فتوى أبي هريرة[4].

كذلك نجد أكابر الصحابة والفقهاء في المدينة مثل عبد الله بن عباس يستفتونه فيما يقتله المحرم، ولم يبين القرآن ما على المحرم من الفدية، فكانت فتوى مروان بوجوب البعث بقيمتها إلى الكعبة إن قتلها المحرم[5] وعلى أثر هذه الشهرة التي نالها مروان من حيث فقهه وعلمه، نجد حجاج العراق يستفتونه حول جواز الصلاة خلف إبن زياد الذي سفك الدماء، وقتل الأبرياء في العراق، فأفتاهم مروان بجواز الصلاة خلفه، إلا أن صلاتهم تكون بمثابة السبحه لله سبحانه وتعالى[6].

---

(١) الإمام مالك، الموطأ، جـ٢، ص١٩٥، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٢، ص٢٣٩-٢٤٠، الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (عهد معاوية حوادث (٤١-٦٠هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩، ص٢٣٠-٢٣١.

(٢) محبّ الدين الطبري، القرى القاصد أم القرى، ص١٩٢.

(٣) الصنعاني، المصنف، جـ١، ص٤٢٦-٤٢٧.

(٤) الإمام مالك، الموطأ، جـ٢، ص٤٩٥، الصنعاني، المصنف، جـ٤، ص٥٠٦.

(٥) الصنعاني، المصنف، جـ٤، ص٤٣٨.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١، ق٤، ص٣٨.

جـ- مروان والقضاء

كذلك كان مروان قاضياً، وتشير المصادر إلى أقضية متعدده لمروان أيام ولايته على المدينة، وكانت هذه الأقضية على درجة عالية من الحساسية، بحيث لم يستطيع أحد من الفقهاء قبل مروان من الحكم فيها، والتي أصبح يحتج بها، ويؤخذ بأحكامها، من ذلك أن الأئمة قبل مروان كانوا يستنكفون عن قبول شهادة الغلمان، حتى كان أيام مروان، وكانت حجة مروان في ذلك، أنه إذا إجتمعت شهادة الغلمان على أمر واحد، فهو على ما شهدوا به، فإن إختلفوا ترد شهادتهم[1] كذلك إحتج بقضاء مروان فيمن أصابه حجر عائد فقتله، حيث قضى مروان أنه إذا لم يعرف القاتل ضربت دية المقتول على الناس[2].

وحين حدثت مشكلة بالمدينة، أثر ضرب شخص شخصاً آخر بالسيف، نجد أن عمر بن عبد العزيز الذي كان والياً عليها يتردد في تنفيذ الحكم، فما كان من الوليد إلا أن كتب إليه بقطع يد الشخص الذي ضرب الآخر بالسيف، إلا أن عمر بما كان لديه من فقه لم يستسغ طلب الوليد، وكان فيما إستشهد به أنه أيام مروان ضرب فلان فلاناً بالسيف فلم يقطع مروان يده[3].

ومن الأقضية الأخرى التي تذكر له، أنه قضى على رجل بأربعين درهماً أثر إفزاعه رجلاً آخر[4] وقضى في الشفة العليا بخمس وأربعين من الإبل وفي الشفة السفلى

---

(١) الصنعاني، المصنف، جـ٨، ص٣٥١، السكتواري، علاء الدين على دره، محاضره الأوائل ومسامره الأواخر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٧٨، ص٦٤، وسيشار إليه السكتواري، محاضرة الأوائل.

(٢) الصنعاني، المصنف، جـ١٠، ص٤٦.

(٣) الصنعاني، المصدر نفسه، جـ١٠، ص١٦١-١٦٢.

(٤) إبن قتيبه الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، عيون الأخبار، ٤جـ في ٢مج، شرحه وضبطه وعلّق عليه يوسف علي الطويل، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، د.ت، جـ٢، ص١٤١، وسيشار إليه إبن قتيبه، عيون الأخبار.

بخمس وخمسين[1] وقضى أنه إذا أصاب العبد جراح نتيجة مشاكسة مع الآخرين، فإن على : نقص من ثمن العبد[2].

كما أكد مروان علي حق العبد في أن يتحرر إذا قدّم ثمن ذلك إلي سيّده، وكان لفعل مروان أن أصبح يحتج به الإمام مالك، الذي أكد أنه إذا أراد العبد التحرر، فعليه تأدية جميع ما عليه، ولا يجوز لسيده أن يأبى ذلك[3].

وفيما يتعلق بالمشاكل العائلية، تذكر المصادر أن مروان قضى في شخص طلّق إمرأته ولم يكن مسسها، بدفع الصداق كاملاً، بعد أن كان في السابق يؤخذ نصف الصداق[4] وقضى أنه إذا طلّق رجل إمرأته البته عدّها ثلاث تطليقات[5] وعدّ أن الرجل إذا آل من إمرأته بعد أن مضت أربعة أشهر، أنها تطليقه واحدة، وله عليها حقه الرجعة ما دامت في عدتها[6].

وحين حصل الخلاف بشأن المرأة التي يطلقها زوجها، هل تبقى في بيته، أم تذهب منه، نجد أن مروان يقضي بوجوب بقائها في بيت زوجها، رغم أن فاطمه بنت قيس حين طلّقها زوجها أيام رسول الله (ص)، سمح لها بالخروج من بيته[7] إلا أن مروان يستنكف عن قبول ذلك ويأخذ بالعصمة التي إعتاد عليها الناس.

---

(١) الصنعاني، المصنف، جـ٩، ص٣٤٣.

(٢) الإمام مالك، الموطا،جـ٢، ص٨٦٣.

(٣) الإمام مالك، الموطا ، جـ٢، ص٨٠٠.

(٤) الصنعاني، المصنف، جـ٦، ص٢٨٦.

(٥) الإمام مالك، الموطا، جـ٢، ص٥٥١.

(٦) الإمام مالك، المصدر نفسه، جـ٢، ص٥٥٧.

(٧) الإمام مالك، المصدر نفسه، جـ٢، ص٥٧٩، أبو داوود، سنن أبي داود، جـ٢، ص٢٨٧-٢٨٨.

د- مروان الشاعر

كذلك فإننا نجد أن مروان بن الحكم كان شاعرا[1] بصيراً بالشعر في معناه ولفظه، ولعل الذي دفعنا إلى إتخاذ مثل هذا الرأي من الرواية التي يوردها صاحب العقد الفريد، من أن مروان بن الحكم قال لخالد بن يزيد بعد أن إستنشده بيتين من الشعر:

فلو بقيت خلائف آل حرب ولم يلبسهم الدهر المنونا

لأصبح ماءُ أهل الأرض عذبا وأصبح لهم دنياهم سمينا

«بحر الوافر»

فقال له مروان منوناً وسمينا، والله إنها لقافية ما إضطرك إليها إلا العجز[2].

وقد أوضحنا سابقاً أنه شاعرٌ، ولم تقتصر شاعريته على نقد الشعر، وإنما قال العديد من الأشعار، إلا أنها في مجملها قليلة، لا تعيننا في الوقوف على مقدرته الفنية، مع العلم أنه لا يعد من الشعراء الذين إشتهروا بالعصر الأموي، وذلك لأنه ليس شاعراً متخصصاً، رغم إطلاق الكتاب عليه لقب شاعراً كأخيه عبد الرحمن، وإنما كان رجل دين وفقه وسياسة، ولكنه ربما قال هذه الأشعار، وثارت قريحته للأحداث التي مر بها في حياته، إلا أن ما وصل إلينا من أشعاره كان قليلاً ومبعثراً في بطون الكتب التاريخية والأدبية، ولعل هذا الأمر يعزى برأينا إلى ضياع شعره، وإسقاط الرواه لمعظمه، مع إنه قد يكون كثيراً، لكونه عاش في بيئه شاعريه، فجدّه أبو العاص كان شاعراً حكيماً[3] وأخوه كان شاعراً مشهوراً، وهذه البيئة لا بد أن تؤثر فيه.

وقد ذكرت الكتب التاريخية والأدبية عدداً من الأشعار، قالها في مناسبات متعدده ومنها قوله:

---

(١) إبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، جـ٤، ص٦٥٣.

(٢) إبن عبد ربه، العقد الفريد، جـ٦، تح محمد سعيد العريان، ص١٥٧.

(٣) إبن حبيب، المنمق، ص٤٩.

كان مروان بن الحكم إذا ذكر الإسلام يقول:

بنعـمت ربي لا بما قـدّمت يدي ولا بتراثي إنني كنت خاطئاً[1]

«بحر الطويل»

ولما وليّ مروان بن الحكم المدينة، وولّى مصعب بن عبد الرحمن بن عوف على شرطته، قال لمروان إني لأضبط بحرس المدينة، فابغني رجالاً من غيرها، فأعانه بمائه رجل من أهل أيله فضبطها ضبطاً شديداً، فدخل المسور بن مخرمه على مروان، فقال أما ترى ما يشكون من مصعب، فقال:

ليس بهـذا من سـياق عـتبٌ يمشي القطوف إذ ينام الركب[2]

«بحر البسيط»

ويروي أن مروان بن الحكم قال:

إعمل وأنت من الدنيا على حذرٍ وأعلم بأنك بعد الموت مبعوث

وأعلم بأنك ما قدمت من عملٍ محصىٌ وما خلّفت موروث[3]

«بحر البسيط»

ولما حضر سعيد بن العاص الوفاه، أوصى إبنه عمرا، أن يسدّد دينه من خالص ماله، فلما مات ركب عمرو إلى معاوية، فلما دخل عمرو عليه نعى إليه سعيداً، وأخبره بوصيته في دينه، فقال معاوية نحن قاضون عنه الدين، فقال عمرو إنما أوصاني أن يكون من صلب ماله، قال فإني أفعل مع أني أكره أن أخشن بصدر مروان وذويه من قريش، بقضاء دين أبيك، فبعني بعض ضياعه، فباعه ضيعه بألف ألف، فغضبت بنو

---

(١) خمّاش، نيال تيسير، شعر الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي، د.ن، د.م، ١٩٨٤، ص١٢٢،وسيشار إليه خمّاش، شعر الخلفاء.

(٢) خمّاش، شعر الخلفاء، ص١٢٢.

(٣) إبن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، كتاب الحلّة السيراء، ٢جـ في مج١، حققه وعلّق عليه حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣، مج١+٢، ج١، ص٢٩، وسيشار إليه إبن الأبار، الحلّة السيراء.

أميه لذلك، وقالوا أيخدع معاويه نفسه أم يكيدنا فقال مروان:

يكايدنا معاويه بن حرب	ولسنا جاهلين بما يكيد
أتاه ناعيا لأبيه عمرو	وعمرو من خديعته بعيد
فكابدنا بشرف المال فيه	وقد علمت قريش مبا يريد
ولو أعطى معاويه بن حرب	سعيداً ألف ألف أو يزيد
فما أعطى بذاك ولا رآه	كثيراً في مروءته سعيد
كذلك قدره حيا وميتاً	له منه الضنانه والمزيد
ففيم يكيدنا ويقول إما	هلكت فأنتم حيّ شديد
فإما تهلكن فلا لذاكم	كسوف الشمس أو أرض تميد
ولا قمر يخرّ ولا سماء	ونحن لوارث الدنيا عبيد
سيغنيك الذي أغناك عنا	وعند الله خيرٌ لا يبيد [1]

«بحر الوافر»

وإجتمع مروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير ذات يوم في حجرة عائشة رضي الله عنها، والحجاب بينهما يحدّثانها ويسألانها، فجرى الحديث بين مروان وإبن الزبير ساعة وعائشة تسمع، فقال مروان:

فمن يشأ الرحمن يخفض بقدره وليس لمن لم يرفع الله رافع

فقال إبن الزبير:

ففوّض إلى الله الأمور إذا إعترت	وبالله لا بالأقربين أدافع

فقال مروان:

وداو ضمير القلب بالبرّ والتقى	فلا يستوى قلبان قاس وخاشع

فقال إبن الزبير:

ولا يستوي عبدان هذا مكذّب	عتلٌ لأرحام العشيره قاطع

---

(١) الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)، المغانم المطابه في معالم طابه، تحقيق محمد جاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٦٩، ص٢٥٤-٢٥٥،وسيشار إليه الفيروز أبادي، المغانم المطابة.

فقال مروان:

وعبدُ يجافي جنبه عن فراشه	يبيت يناجي ربّه وهو خاشع

فقال إبن الزبير:

وللخير أهل يعرفون بحدتهم	إذا إجتمعت عند الخطوب المجامع

فقال مروان:

وللشرّ أهل يعرفون بشكلهم	تشير إليهم بالفجور الأصابع

«بحر الطويل»

فسكت إبن الزبير، ولم يجب، فقالت عائشه يا عبد الله مالك لم تجب صاحبك، فوالله ما سمعت رجلين تجادلا تجادلا في نحو ما تجادلتما فيه، أحب اليّ من تجادلكما، فقال إبن الزبير إنيّ خفت عوار القول فكففت، فقالت عائشه أما إن لمروان إرثاً في الشعر ليس لك من قبل[1].

ولما كان مروان والياً على الحجاز، كتب إلى عامله على المدينة بضرب الشاعر الفرزدق مائه سوط وبحبسه، وكان مروان قد نهى الفرزدق عن قول الفسق والخنا في شعره، فلم يستجب الفرزدق لذلك، ثم عدل مروان عن ذلك، وخاف أن لا يسلم من لسان الفرزدق هو وأهل بيته إن ضربه عامله، فصفح عنه وقال:

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها	إن كنت تارك ما نهيتك فاجلس
ودع المدينة أنهـا مذمومة	واقصد لمكة أو لبيت المقدس
وإن إجتنيت من الأمور عظيمة	فاعمد لنفسك بالزماع والأكيس[1]

«بحر الكامل»

---

(١) الازدي، علي بن مظفر ، بدائع البدائة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠، ص١٩٢-١٩٣، وسيشار إليه الازدي، بدائع البدائه، إبن الابار، الحلة السيراء، جـ١، ص٢٧-٢٨.

(٢) المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، دمشق، د.ت، ص٢١٧، وسيشار إليه المرزباني، معجم الشعراء، الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن أحمد (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، الأغاني، ٢٤جـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٩، جـ٢٢، ص٥٤٨، وسيشار إليه الأصفهاني، الأغاني.

ويروى أن مروان بن الحكم، أنشد لما جيىء برأس الحسين ونصب صرخت نساء آل أبي طالب فقال:

عجّت نساء بني زبيد عجّه | كعجيج نسوتنا غداه الأرنب

ثم صحن فقال مروان:

ضربت دوشر فيهم ضربه | أثبتت أركان ملك فاستقر[1]

وقوله أيضاً:

يا حبذا بردك في اليدين | ولونك الأحمر في الخدين[2]

«البحر الكامل»

ويروي أنه قال يوم الدار حين حصر عثمان بن عفان في بيته:

وما قلت يوم الدّار للقوم حاجزوا | رويداً أو لا إختاروا الحياة على القتل

ولكنني قد قلت للقوم قاتلوا | بأسيافكم لا يوصلن إلى الكهل[3]

«بحر الطويل»

وقال أيضاً:

قد علمت ذات القرون الميل | والكفّ والأنامل الطفول

أنـي أروع أوّل الرّعيل | بغارة مثل القطا الشليل[4]

«البحر الرجز»

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، جـ٣، ص٢١٨، البكري، أبو عبيد، سمط اللآلئ، القاهرة، ٢جـ، صححه ونقّحه وحققه عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦، ج١، ص٣٢٠، وسيشار إليه البكري، سمط اللآلئ.

(٢) خمّاش، شعر الخلفاء، ص١٢٧.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١، ق٤، ص٥٧٢.

(٤) البلاذري، المصدر نفسه، جـ١، ق٤، ص٥٧.

وقوله أيضاً:

قد علم القوم إذ الحرب إشتعل　　وانتضى الأسياف فيها الأشل

وإحولت الأحداق فيها المقل　　إني أنا الليث هناك والقلل[1]

«البحر السريع»

وقال وقد سلّ سيفه وتهيّأ للقتال وهو يقول:

أليت جهداً ألا أبايع بعده　　إماماً ولا أصغى لما قال قائل

وأصلي بحرّ الحرب ما هبت الصبا　　بذى رونق قد صقلته الصياقل

حسام كلون الملح ليس بعائد　　إلى الجفر ما هبت رياح الشمائل

أجالد من دون إبن عفان أنه　　إمام وقد حلّت لديه الفضائل[2]

«بحر الطويل»

وقوله:

وما بلغت عثمان حتى تخطّمت　　رجالٌ ودانت للصغار رجال

لقد رجعت عوداً على بدءٍ كونها　　وإن لم تجد فالمصير زوال

سيبديء مكنون الضمائر قولهم　　ويظهر منهم بعد ذاك فعالُ

فإن تقعدا لا تطلبا ما ورثتما　　فليس لنا طول الحياة مقالُ

نعيشُ بدار الذل في كل بلدٍ　　وتظهر منا كآبة وهزال[3]

«بحر الطويل»

وله يخاطب معاوية بن أبي سفيان، وقد أجلس عبد الله بن الزبير على سريره:

للّه درك من رئيس قبيلة　　يضع الكبير ولا يربى إلا صغير[4]

«بحر الكامل»

---

(١) إبن أعثم، الفتوح، مج١+٢، ج٢، ص٤٢٥.

(٢) إبن أعثم، المصدر نفسه، جـ٢، ص٤٢٥.

(٣) إبن أبي الحديد، شرح نهج، ج٢، ص٥٣٢.

(٤) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٣١٧.

ولما ورد كتاب معاوية بن أبي سفيان، على مروان بن الحكم من أجل طلاق إبنة الأعرابي، التي تزوّجها مروان بعد أن طلّقها قسراً من زوجها، جعل مروان يؤامر نفسه في طلاقها فلا يقدر، فلما أزعجه وفد معاوية طلقها وسلمها إليهم، وكتب كتاباً إلى معاوية ودفعه إلى الوفد فكان مما كتب فيه:

لا تحنثن أمير المؤمنين فقد ... أوفى بعهدك في رفق وإحسان

وما ركبت حراماً حين أعجبني ... فكيف سُمّيت باسم الخائن الزاني

أعذر فإنك لو أبصرتها لجرت ... منك الأماني على تمثال إنسان

وسوف يأتيك شمس ليس يعدلها ... عند البرية من إنس ومن جان

حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت ... أقول ذلك في سر وإعلان[1]

«البحر البسيط»

وقال بعد أن قتل عثمان متهماً عليّاً، بأنه كان وراء قتله قائلاً:

إن تكن يا عليّ لم تصب ... المقتول جهراً أصبته أنت سرا

إن عماراً الذي قتل الشيخ ... وهذا محمد قد أقرا

بالذي يوجب القصاص على الناس ... ولو حاذر القصاص لفرّا

يا إبن أبي طالب جزعت بالأنف ... وأبقيت بعدُ شراً شمرا

قتلوا والذي يحجّ له الناس ... بريًا من الفواحش برّا

أقرب الناس بالمدينة خيراً ... لقريب وأبعد الناس شرّا

إن أعش أو يعش معاوية العام ... تذق طعم ما جنوا لك مُرّاً[2]

«البحر الخفيف»

---

(١) خماش، شعر الخلفاء، ص١٢٧.

(٢) المالقي، التمهيد والبيان، ص ١٨٤.

وقال يوم المرج والرؤوس تنبذ عن كواهلها

ومــاذا لهم غـيــر حين النفـوس أي أمــيــري قــريش غلب[1]

وقال أيضاً:

لما رأيت الناس مـــــالوا والملك لا يؤخـذ إلا غـصـبـا

أعـــددت غـســان لهم وكلبـا والسكسكين رجـالاً غلبـا

وطيـــئـاً يأبون إلا ضـــربا والقين تمشي في الحديد نكبا

ومن تنوخ مـشـمـخـراً صعبـا بالأعـوجـيـات يثبن وثبـا

وإن دنت قيس فقل لا قربا[2]

«البحر السريع»

ويروى له في فناء الإنسان وموته:

وهل نحن إلا مثل من كان قبلنا نموت كما ماتوا ونحيا كما حيوا

وينـقـص مـنـا كل يـوم وليـلـة ولا بدّ أن نلقي من الأمر ما لقوا

نؤمل أن نبـــقى وأين بقــاؤنا فهلا الأول كانوا مضوا قبلنا بقوا

فنوا وهم يرجـون مثل رجـائنا ونحن سنفنى مثل ما أنهم فنوا

وننزل داراً أصبحوا ينزلونها ونبلي على ريب الزمان كمابلوا[3]

«البحر الطويل»

---

(1) البياسيّ، أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت٦٠٣هـ/١٢٠٦م) الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام، ٢جـ، تحقيق شفيق جاسر أحمد، د.ن، عمان، ١٩٨٧، جـ٢، ص٢٥٢، وسيشار إليه البياسي، الإعلام بالحروب. المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٤٧.

(2) المسعودي، التنبية والإشراف، ص٢٦٧، قارن بالبياسي، الإعلام بالحروب، جـ٢، ص٢٥٢.

(3) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٣١٧، الحميري، أبو سعيد بن نشوان (ت٥٧٣هـ/١١٧٧م)، الحور العين، حققه وضبطه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه كمال مصطفى، أعادت طبعة في طهران، ١٩٧٣، ص٩٤-٩٥، وسيشار إليه الحميري، الحور العين.

ولما كان يزيد قد أعطى الله عهداً أن يوثق إبن الزبير في سلسلة فبعث إليه سلسلة من فضة مع عطاء الأشعري، وسعد وأصحابهما ليأتوه به فيها: وبعث معهم برنس خزّ ليلبسوه عليها لئلا تظهر للناس، فاجتاز إبن عطاء بالمدينة، وبها مروان بن الحكم فأخبره ما قدم له، فأرسل مروان معه ولدين له أحدهما عبد العزيز، وقال اذ بلغته رسل يزيد فتعرضا له وليتمثل أحدكما بهذا القول:

فخذها فليست للعزيز بخطة	وفيها فعال لأمري متذلل
أعامر إن القوم ساموك خطة	وذلك في الجيران غزل لا بمغزل
أراك إذا ما كنت للقوم ناصحاً	يقال له بالدّلو أدبر وأقبل[1]

«بحر الطويل»

وقوله في معاتبته الجهال ومصاحبتهم:

إذا أمن الجهال جهلك مرّة	فعرضك للجهّال غنمُ من الغنم
وإن أنت يا ذين السفيه إذا بذا	فأنت سفيه مثله غير ذي حلم
فلا تعرضن عرض السفيه وداره	بحلم فإن أعيا عليك فبالعزم
ومن عاتب الجهال لم يشف غيظه	ولكنه يزداد سقما إلى سقم
فدع عنك في كلّ الأمور عتابه	فإنك إن عاتبته صار كالخصم
وعمّ عليه الحلم والجهل والقه	بمنزله بين العداوة والسّلم
فيرجوك أحياناً ويخشاك تاره	ويأخذ فيما ذلك بالحزم
فإن لم تجد بدًا من الجهل فاستعن	عليه الجّهال فذاك من العزم[2]

«البحر الطويل»

---

(١) إبن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٤، ص١٠٠.

(٢) إبن عبد البر النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس، ٢جـ، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكاتب العربي، د.م، د.ت، ج١، ص٦٢١، وسيشار إليه إبن عبد البر، بهجة المجالس.

هـ- مروان والخطابة

يشير الجاحظ إلى أن مروان يعد من الخلفاء الأمويين الذين إشتهروا بفن الخطابة[1] إلا أنه من خلال إطلاعنا على المصادر نجد أنها لا تذكر أي شاهد يدل على هذه المقدره، كباقي الخلفاء الأمويين، والتي كان في الإمكان الإحتجاج بها في تأكيد هذا الأمر، إلا أنه يمكن أن نلمس ذلك من خلال بعض المواقف، والرسائل والوصايا التي حفظتها لنا المصادر:

فمن هذه المواقف أن معاوية بعد موت الحسن بن عليّ رضي الله عنه بايع لإبنه يزيد بالشام، وكتب ببيعته إلى الآفاق، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم، فأبى مروان البيعة، وأباها الناس وسار إلى دمشق، ودخل إلى معاوية فقال بعض كلام:

«قد أصبحنا اليوم في أمور مستحيره ذات وجوه مستديره، تفتح بأزّمه الغلال وتجلس بأسوأ الرّحال، يؤكل جذورها وتمّق أحلامها، فما لنا لا نستأمر في رضاعها، ونحن فطامها وأولاد فصامها، وأيم الله لولا عهود مؤكده ومواثيق معقده، لأقمت أود وليّها، فأقم الأمر يا بن أبي سفيان، وأعدل عن تأميرك الصبيان وأعلم أن لك في قومك نظراء، وإن لهم على مناوأتك وزراء»[2].

ومن الرسائل، تلك الرسالة التي بعث بها مروان إلى النعمان بن بشر يخطب إليه إبنته أم أبان لإبنه عبد الملك بن مروان، فقد كتب إليه «بسم الله الرحمن الرحيم من مروان بن الحكم إلى النعمان بن بشر، سلامٌ عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنّ الله ذا المن والبرهان والعظمة والسلطان، قد خصكم معاشر الأنصار بنصر دينه، وإعزاز نبيه محمد (ص)، وقد جعلك منهم في البيت العميم، والفرع القديم، وقد دعاني إلى إحباب مصاهرتك، والإيثار لك على الإكفاء من ولد أبي، وقد أحببت أن تزوّج إبني عبد الملك بن مروان إبنتك أم أبان بنت النعمان، وقد جعلت

---

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البيان والتبين، ٤جـ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ن،ج١، ص٣٥٢، وسيشار اليه: الجاحظ، البيان والتبين.

(٢) درويش، محمد طاهر، الخطابة في صدر الإسلام، ٢ جـ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧، جـ٢، ص.١١٠، وسيشار إليه درويش، الخطابة في صدر الإسلام.

صداقها ما نطق به لسانك. وترنمت به شفتاك وبلغة مناك، وحكمت به في بيت المال قبلك »[1].

فمن هذا الموقف، والرسالة، تظهر مقدرة مروان على الخطابة، بما فيها من التجانس وجزالة الألفاظ وعمق المعاني.

وأثر عنه وصيته لإبنه عبد العزيز بعد فتح مصر قوله مخاطباً إياه « أوصيك بتقوى الله في سرّ أمرك وعلانيتك، فإن الله مع الذين أتقّوا والذين هم محسنون، وأوصيك أن تجعل لداعي الله عليك سبيلاً، فإن المؤذنين يدعون إلى فريضة إفترضها الله عليك، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وأوصيك أن لا تعد الناس موعداً إلا أنفذته، وإن حُملت على الأسنّة، وأوصيك أن لا تعجل في شيء من الحكم، حتى تستشير فإن الله عزّ وجل لو أعنى أحداً على ذلك لأعنى نبيّه محمد (ص) على ذلك بالوجه الذي يأتيه، قال عزّ وجل « وشاورهم في الأمر »[2].

فمن هذه الأمثلة المقدمة، يمكن أن نلمس مقدرة مروان على الخطابة.

آراء المؤرخين والفقهاء في مروان وروايته»

حصل الإختلاف بين الفقهاء والمؤرخين في قبول رواية مروان والوثوق به ، وكان لكل طرف وجهة نظر فيما ذهب إليه، فمن الفقهاء من كان يرى أن مروان من الرجال الثقات الذين يوثق بهم، ولا يتهم في الأحاديث المروية عنه[3].

---

(١) الأبي، نثر الدّر، جـ٣، ص٤٢.

(٢) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف المصري (ت.٣٥٠هـ/٩٦٢م)، الولاة والقضاة، تهذيب وتصحيح رفن كست، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨،ص٤٧-٤٨، وسيشار إليه الكندي، الولاة والقضاة.

(٣) روى البخاري عن عروة عن أبيه « أخبرني مروان بن الحكم قال فلا أخاله يتهم علينا » البخاري ، أبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، كتاب التاريخ الكبير ، ٩جـ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، جـ٧، ص٣٦٨، و سيشار إليه البخاري، التاريخ الكبير ، وروى صاحب الإستيعاب والعقد الثمين، وتهذيب التهذيب « وقال عروة وكان مروان لا يتهم في الحديث إنتهى » إبن عبد البر الإستيعاب، جـ٣، ص١٣٨٩، ١٣٩٠، الفاسي، العقد الثمين، جـ٧، ص١٦٦، إبن حجر، تهذيب التهذيب، جـ١، ص٨٣.

ولتأييد ما ذهبنا إليه، ننقل رأي إبن العربي في وصفه لمروان، وطعنه فيمن يصمه بالعار فقال «أما قول القائلين في مروان والوليد فشديد عليهما، وحكمهم عليهما بالفسق فسق منهم، مروان رجل عدل . من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين، أما الصحابة فإن سهل بن الساعدي روى عنه، وأما التابعون فأصحابه في السنة، وإن جازهم بإسم الصحبة في القولين، وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه وإعتبار خلافته، والتلفت إلى فتواه، والإنقياد إلى روايته، وأما السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم»[1].

هذا وقد تنبه الهيتمي إلى قضية الطعن في مروان وروايته، وبين أن هذا الطعن يعود إلى الدور الذي لعبه مروان في الأحداث السياسية التي حدثت في التاريخ الإسلامي، بالإضافة إلى ولايته على المدينة، وما ذكره المؤرخون من بغضه للعلويين بها، ولعنه لهم، ومع ذلك فإن الهيتمي يؤكد أن ما ينسب إليه، ليس من الحقيقة في شيء، وأن كان صحيحاً فيما نسب إليه، فإنه يؤكد أن هذا لا يعني عدم قبول روايته، وإنما عدّه الهيتمي مبتدعاً، والمبتدع برأيه غير الداعيه تقبل روايته،

---

(١) إبن العربي، العواصم من القواصم، ص٨٩-٩٠. ويقول الأستاذ محب الدين الخطيب محقق كتاب إبن العربي «والذي يتأمل الأحاديث المروية عن مروان يجد جملتها من الأئمة الثقات الذين تتسلسل روايتهم عنه مده جيلين وأكثر، وكلهم أعلي مرتبة في الإسلام من الذين يبّرءون الغل الذي في قلوبهم، بالطعن في مروان ومن هو خير من مروان، بل في رواه أحاديث مروان عبد الرزاق إمام أهل اليمن وكانت فيه نزعة تشيّع، وفي مسند أحمد حديث عبد الرحمن بن هشام، أنه كان رسول مروان إلى أم المؤمنين أم سلمه في تحقيق بعض الأحكام الشرعية، وفي مسند أحمد نموذج لعظيم عناية مروان لسنة رسول الله (ص)، بأقصى ما يمكن أن يصدر عن أئمة المسلمين وأمرائهم» هامش ص ٨٩-٩٠.

ويقول أبو اليسر عابدين «وفي تفسير الفاتحه من إبن كثير بسند أبي داود الى إبن شهاب، أنه بلغه أن رسول الله (ص)، وأبا بكر وعمر ومعاوية وإبنه يزيد بن معاوية كانوا يقرؤون مالك يوم الدين قال إبن شهاب وأول من أحدث «ملك يوم الدين» مروان، قلت مروان عنده علم بصحة ما قرؤوه ، فلم يطلع عليه إبن شهاب والله أعلم، وكلاهما صحيح متواتر في السبع، فانظر كيف إستدل القراء لصحة القراءة بما عليه معاوية وإبنه يزيد، وبما عليه مروان الذين يصمهم أعداء الإسلام بوصمات تسقط الإحتجاج بهم لو صمت مما لا تخفي عليه أئمه القراءه والمحدثين الثقات، أن يمتنعوا عن قبولهم في القراءات، لو ثبت عنهم تلك الأكاذيب».

أغاليط المؤرخين، ص٩٩.

ودليل ذلك أن البخاري في صحيحه روى عن جماعة من المبتدعين، ومع ذلك فإنه لم يؤثر في روايتهم[1].

وأكد ما ذهب إليه الهيتمي من أسباب الطعن في مروان الذهبي في كتابة ميزان الإعتدال «وله أعمال موبقة نسأل الله السلامة، رمى طلحة بسهم وفعل وفعل»[2].

بالإضافة إلى إمكاننا أن نضيف سبباً آخر في الطعن في مروان، وهو ما ترويه المصادر من لعن مروان وأبيه على لسان رسول الله (ص)[3]رغم ما أكده العديد من الباحثين في رفضهم لهذا الأمر، وعدم الوثوق به، لكونه يتنافى مع ما وصف عليه السلام من الرحمة ونهيه عن اللعن «إن هذه الأحاديث والأخبار ليغنينا ظاهرها الدال على الكذب عن مناقشة سندها، فكم نهى عليه السلام عن اللعن وكم أنزل أصحابه عن الإبل التي كانوا يلعنونها، وقوله «ما بعثت لعاناً» فمن هذا يتبين كذب هذه الأحاديث التي كثر اللعن في روايتها، والتي لم يرد مثلها في حق أبي جهل وأبي لهب وغيرهم من رؤساء المشركين، مع شدة كفرهم وعنادهم»[4].

إزاء هذا القبول لرواية مروان، وطعنهم فيمن يطعن في صدق مروان وروايته، نجد أن هناك من ينكر أن يكون لمروان ذاك القدر من الفقه ورواية الآثار، أمثال المقريزي «وكان رجلاً لافقه له ولا يعرف بالزهد ولا برواية الآثار »[5] وإبن أبي الحديد يصف مروان كذلك ممن ليس له فقه «كان رجلاً لا فقه له ولا يعرف بالزهد ولا الصلاح ولا بروايه الآثار »[6].

---

(١) الهيتمي، الجنان واللسان، يقع في نهاية كتاب الصواعق المحرقه للمؤلف نفسه، ص ٢٦، عابدين أغاليط المؤرخين، ص،١٥٠-١٥١.

(٢) الذهبي، ميزان الإعتدال، جـ٤، ص٨٩.

(٣) إبن عبد البر، الإستيعاب، جـ١، ص،٣٦٠، إبن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص٢٢٧، الذهبي، تاريخ الإسلام (عهود الخلفاء الراشدين)، ص٢٦٧، الدياربكري، تاريخ الخميس، جـ٢، ص٢٠٧.

(٤) محمود، شاكر، الأمويون والتاريخ، مجلة كلية العلوم الإجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٦، ص١٩٨٢، الرياض، ص٦٤، وسيشار إليه، محمود، الأمويون والتاريخ.

(٥) المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٤٧.

(٦) إبن أبي الحديد، شرح نهج ، جـ٢، ص٦٣٩.

هذا الوصف لمروان من هذين الكاتبين لا يعتد بهما، وخاصة إذا علمنا أنهما كانا لا يتوانيان في شن الهجوم على بني أميه في كثير من الأحيان في كتاباتهما والذي ربما يعود إلى إستئثار بني أمية بالخلافة دون العلويين، لهذا كانت كتاباتهما كلها فيها شيء من النعرة والهجوم على الأمويين، وتتعصب للعلويين وأشياعهم، رغم ما كان لبني أمية من مكانة في رواية الآثار.

الفصل الثاني

مروان في العهد الراشدي

١- مروان والفتوح

٢- مروان والعمل الإداري

٣- مروان مستشار للخليفة

٤- الفتنة وأسبابها

٥- نشاط مروان في الفتنة ومسؤوليته فيها

٦- محاولات مروان لإخماد الفتنة

٧- دور مروان في الدفاع عن عثمان

٨- البيعة لعليّ وموقف مروان منها

٩- مروان والجمل

١- «مروان والفتوح»

كانت أولى جهود مروان في الفتوح في عهد سيدنا عثمان، حيث كان عبدالله بن أبي السرح واليّ مصر، قد كتب إلى الخليفة عثمان بن عفان يستأذنه في غزو أفريقية، وفعلا نجد الخليفة يوافق على ذلك، بعد أن إستشار أكابر الصحابة في هذا الأمر، فأمده بأربعة الآف وثمانمائة من أخلاط القبائل[1] وعهد إلى مروان بقيادة الجند وإلى الحارث بن الحكم أخيه بقيادة الرجّالة[2] في حين نفهم من رواية البلاذري، أن مروان كان من ضمن الأفراد الذين ساروا في الحملة، دون أن يكون الخليفة قد عهد إليه بالقيادة، قال البلاذري «وأمده بجيش عظيم فيه معبد بن العباس بن عبد المطلب، ومروان بن الحكم، وعبدالله بن الزبير...»[3]

وفي أثناء مشاركة مروان في هذه الحملة، نجد أن إبن أبي السرح يختار مروان من ضمن الأفراد الذين عهد إليهم بإجراء المفاوضات مع الروم وقائدهم جرجير[4] حيث كان مروان من بين أعضاء الوفد الذين تكلموا مع قائد الروم في محاولة منه لإقناعه بالإستجابة لشروط إبن أبي السرح[5] إلا أن المفاوضات كما يظهر لم تؤدِ إلى نتيجة، الأمر الذي دفع إبن أبي السرح لمواصلة عملية الفتح، ولما وجد رؤساء المدن الأفريقية تغلغل إبن أبي السرح في بلادهم، نجدهم يصالحونه على ألفي

---

(١) إبن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٣٥٨-٣٥٩.
- إبن الأبار، الحلّة السيراء، ج١، ص٢٨

(٢) إبن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٣٥٩.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، نشرة ووضع ملاحقة وفهارسه صلاح الدين المنجد، ٣ جـ في مج١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.ج١، ص٢٦٧، وسيشار إليه البلاذري، فتوح البلدان.

(٤) إبن بكار، الأخبار الموفقيات، ص١١٧.

(٥) إبن بكار، المصدر نفسه، ص ١١٧.

ألف وخمسمائة ألف وعشرين ألف دينار[1] وفي رواية أخرى عن الواقدي على ثلاثمائة قنطار ذهب[2].

وقد عمد إبن أبي السرح إلى تقسيم هذه الاموال، فأعطى المقاتلة أربعة أخماس الغنيمة، وبعث بالخمس الباقي إلى المدينة، وبهذا قسّم إبن أبي السرح الغنيمة على حسب النصوص الشرعية[3].

وأما ما ذكرته المصادر من إعطاء سيدناعثمان مروان الخمس[4] فأمر فيه نظر، إذ أن جهل الرواه بكيفية التصرف بالغنيمة، والمبالغ المفرطة في تقديرها، يجعل الباحث لا يطمئن إلى رأي صالح للإحتجاج، وهذا ما أكده شيخنا إبن تيمية الذي يرى في هذا الأمر ما هو إلا من الكذب المبين، على إعتبار أنه لا سيدنا عثمان و لا غيره من الخلفاء الراشدين أعطوا أحدا ما يقارب هذا المبلغ، ويؤكد ذلك أن معاوية كان يعطى من يتألفه أكثر من عثمان، ومع ذلك فغاية ما أعطى الحسن بن على مائة ألف

---

(١) خليفة، تاريخه، ص ١٠٧، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٢٥٦، اليافعي، مرأة الجنان، ص ١٨٣، إبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ إبن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، جـ٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج٢، ص ٤٥٩، وسيشار إليه إبن خلدون، تاريخه.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٥٦.

(٣) حيث يذكر إبن سلام أن الغنيمة تقسم إلى خمسة أخماس، فاربعة منها لمن قاتل عليها، وخمس واحد مقسم إلى أربعة، ربع لله ورسوله ولذي القربى، وربع لليتامى، وربع للمساكين، وربع لإبن السبيل، طبقا لقوله تعالى «وأعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وإبن السبيل» إبن سلام، أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م)، كتاب الاموال، تحقيق وتعليق محمد خليل هرّاس، عني بطبعه عبدالله بن إبراهيم الانصاري، إدارة أحياء التراث الإسلامي، قطر، ط٢، د ت، ص ٢٤.

(٤) إبن قتيبة، المعارف، ص ١١٢-١١٣، البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤ ص ٥١٤-٥١٥، المقدسي البدء والتاريخ، ج٥، ص ٢٠٧، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، ٢٣جـ، تحقيق محمد رفعت فتح الله، مراجعة ابراهيم مصطفى الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥، ج١٩، ص ٤١٣-٤١٤ وسيشار إليه النويري، نهاية الإرب. الدوري، عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٠، ص ١٤٩، وسيشار إليه الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ.

وثلثمائة ألف درهم، وفي النهاية يؤكد إبن تيمية أنه كان رضى الله عنه يعطى أقاربه ما يعطيهم، ويعطى غير أقاربه كذلك، إلا أنه لا يمكن أن يصل إلى هذا الحد[1].

وذهب هذا المذهب كذلك إبن العربي، ذاكراً أن ما ذكر لم يصح، وإن صح ذلك لا يوجد أي إعتراض عليه من الناحية الفقهية بذكره أن الإمام مالك وجماعة ذهبوا إلى أن الإمام يرى رأيه في الخمس، وينفذ فيه ما أداه إجتهاده وإن أعطاه لواحد جائز[2] وكذلك إبن خلدون الذي ذكر أن ما ذكر لم يصح[3].

وبالإضافة إلى مشاركة مروان في الفتوح على الجبهة الأفريقية، نجده يشارك مرة أخرى في الفتوح على الجبهة الشرقية، إلا أن المصادر لا توضح جهوده في تلك الفتوح، وإنما تكتفي بالذكر أنه وليّ مدينة جور في عام ٢٩هـ[4] بعد أن تمكن إبن عامر من القضاء على تمرد أهلها عليه[5] وهذا ما أكده المقريزي بالقول أنه وليّ رستاقاً من رساتيق دار ابجرد[6] وفي رواية أخرى رستاقا من رساتيق أزد شيره[7].

٢- «مروان والعمل الإداري»

كانت أولى المناصب الإدارية التي تولاها مروان في عهد سيدنا عثمان هو ولايته لمدينة جور عام ٢٩هـ بعد أن تمكن إبن عامر من القضاء على تمرد أهلها عليه[8]

---

(١) إبن تيمية، منهاج السنة، ج٣، ص ١٩٠.

(٢) إبن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٠٣.

(٣) إبن خلدون، تاريخه، ج٢، ص ٥٤٩.

(٤) جور: مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرين فرسخا، وهي في الأقليم الثالث، ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان، ٥جـ دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩، ج٢، ص ١٨١، وسيشار إليه ياقوت، معجم البلدان.

(٥) خليفة، تاريخه، ص ١٨٠، الذهبي، تاريخ الإسلام (عهود الخلفاء الراشدين، ص ٣٢٦-٣٢٧)

(٦) المقريزي، النزاع والتخاصم، ص ٤٧.

(٧) إبن قتيبة، المعارف، ص ١٩٩.

(٨) الذهبي، تاريخ الإسلام (عهود الخلفاء الراشدين، ص ٣٢٦-٣٢٧).

وبعد أن عاد مروان إلي الحجاز نجد أن الخليفة قد عهد إليه منصب أخر وهو ولايته عاملاً على الصدقات[1].

ثم لم يلبث الخليفة أن إتخذ مروان كاتباً له في أواخر سنة ٢٩هـ، ويؤكد ذلك أن مروان قد برز كمستشار رسمي للخليفة في هذه السنة في قضية توسيع مسجد رسول الله (ص)[2]وكان لإتخاذ سيدنا عثمان مروان كاتباً له الأثر في إزدياد غضب العامة عليه،و يؤكد ذلك قول ابن تيمية[3] أنه إتخذ مروان كاتباً له مع إن الله تعالى قال «لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كان أباءهم أو أبناءهم»[4] وقد بقى مروان كاتباً للخليفة من هذا الوقت الذي إتخذه له كاتباً حتى إنتهاء خلافته رضى الله عنه بمقتله، ولم تشر المصادر عدا عن هذه المناصب الإدارية، إلى أي مناصب أخرى تولاها مروان.

٣- «مروان مستشار للخليفة عثمان»

يرى بعض المؤرخين أنه كان لاتخاذ مروان كاتباً للخليفة الأثر في تمكن مروان منه والتأثير عليه، حتى ذهب ابن أبي الحديد[5] إلى القول بأن سيدنا عثمان كان لا

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٥١٥.

(٢) خليفة، تاريخه، ص ١٧٩، الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، رسائل الجاحظ، ٢جـ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٥، ج٢، ص ١٨٩، ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص ٧٢، ابن عبد البر، الإستيعاب، ج٢، ص ١٣٨٧-١٣٨٨، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص ١٩٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص ١٦٩، ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن علي أيدمر (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين، ٢جـ في مج١، تحقيق محمد كمال الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥، ج١، ص ٢٥، وسيشار إليه ابن دقماق، الجوهر الثمين.

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة، ج٢، ص ١٧٣.

(٤) سورة يونس، أية ٥٢.

(٥) ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن عبد الحميد بن هبه الله محمد بن محمد المدائني، وهو كاتب شاعر شيعي، مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ٤ جـ، دار العلم للملايين، بيروت متعدد الطبعات، د ت، ج٤، ص ٢٤٩، وسيشار إليه مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون.

يملك من الأمر شيئاً، وأن الخلافة لمروان في المعنى ولعثمان في الرسم[1].

والواقع أننا من خلال رجوعنا للمصادر للتأكد من ذلك، وجدنا أن ما ذكره إبن أبي الحديد لم يكن صحيحاً، وأن الأمور التي أشار فيها مروان على الخليفة، كان منها ما أخذ عثمان برأي مروان ومنها ما لم يأخذ برأيه.

فمن القضايا التي برز فيها دور مروان قضية توسيع مسجد رسول الله، حيث ذكر السمهودي[2] أنه لما أراد سيدنا عثمان أن يكلم الناس على المنبر ويشاورهم قال له مروان فداك أبي وأمي هذا أمر خير لو فعلته ولم تذكر لهم، فقال له سيدنا عثمان ويحك إني أكره أن يروا أني أستبد عليهم بالأمور، قال مروان فهل رأيت عمر حين بناه وزاد فيه ذكر ذلك لهم[3] ويبدو أن سيدنا عثمان إقتنع بكلام مروان، حيث لم تشر المصادر إلى فعل سيدنا عثمان لذلك، وهذا الرأي من مروان يدل على حنكته ودرايته بالأمور، وحرصه على بقاء الخلافة قوية، وعدم السماح للعامة بالتدخل بشؤونها.

كذلك برز دور مروان في قضية أخرى، وهو ما يرويه البلاذري عن الواقدي[4] من أن سيدنا عثمان شكا علياً إلى العباس بن عبد المطلب، أنه قطع رحمه وألّب الناس عليه، وبعد أن عرض العباس وساطته نجد أن الخليفة يوافق على ذلك، إلا أن الرواية تذكر أن سيدنا عثمان لم يلبث إلا فترة قصيرة حتى عاد إلى العباس بعد أن أزاله مروان عن رأيه، وطلب تأخير النظر في الأمر إلى وقت آخر، وتدعم الرواية دور مروان بقول العباس لإبنه عبيد الله يا بني ليس إلى هذا الرجل من أمره شيء[5].

---

(١) إبن أبي الحديد، شرح نهج، ج٣، ص ١٤٤.

(٢) السمهودي، نور الدين أبو الحسن علي بن القاضي عفيف الدين عبد الله بن أحمد بن علي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، كاتب ثقة، مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٤، ص ٤١٢.

(٣) السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (ت٩١١ هـ/١٥٠٥م)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ٤ جـ في ٢مج، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة دار السعادة، مصر، ١٩٥٥، ج٢، ص ٥٠٤ وسيشار إليه السمهودي، وفاء الوفا.

(٤) الواقدي، راوية ليس عدل قال البخاري عنه متروك الحديث، وقال أحمد بن حنبل عنه كذاب، أنظر آراء العلماء إبن حجر، تهذيب التهذيب، ج٩، ص ٣٦٢-٣٦٨.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٤٨٧.

ويبدو لنا أنه ما كان سيدنا عثمان يتراجع عن رأيه لولا قناعته بصحة رأي مروان، الذي أدرك بحنكته أن توسط أشخاص بين الخليفة والناس، فيه توهين للخليفة ورضوخه للآخرين.

كذلك برز دور مروان في قضية عمّار بن ياسر، الذي يذكر أنه لما قدّم إعتراض الصحابة على الخليفة، قال مروان يا أمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود جرأ عليك الناس وإنك إن قتلته نكلت من ورائه[1] إلا أن الخليفة لم يقابل طلب مروان بالقبول، وما كان رضي الله عنه يعمد إلى قتل وإهانة أحد من أصحاب رسول الله (ص)، وهو على هذا القدر من الصحبة والتضحية في سبيل الدعوة الإسلامية.

كذلك برز دور مروان في قضية عامر بن عبد قيس، حيث يذكر أنه لما قدم عامر على الخليفة، بعد أن أخذ يطعن بسيرته رضي الله عنه في الكوفة، أشار مروان على الخليفة الحزم في أمره وعدم التهاون معه، قال يا أمير المؤمنين حلمك على مثل هذا أطمع فيك الناس[2] وفي قول آخر حلمك أغرى مثل هذا بك وجرأه عليك[3] ومع أن رأي مروان كان صحيحاً على إعتبار أن التهاون في السماح للعامة بإهانة الخليفة، يعني ضمنياً ضعف الخليفة وسقوط هيبته كإمام للمسلمين، إلا أنه ما كان سيدنا عثمان يأخذ برأي مروان لولا إساءة عامر إلى الخليفة، لذا كان من حق الخليفة معاقبة من يستحق العقاب، ولم يكن سيدنا عثمان الوحيد الذي لجأ إلى ذلك، بل من سبقه لجأ إلى أكثر من ذلك، فهذا سيدنا عمر علا سعد بن أبي وقاص بالدره على رأسه، حيث لم يقم له، وقال له إنك لم تهب الخلافة فأردت أن تعرف أن الخلافة لم تهابك[4].

---

(١) إبن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، ٢ جـ في مج١، تحقيق طه محمد الزّيني، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت، ج١، ص ٣٦، وسيشار إليه إبن قتيبة، الإمامة والسياسة.

(٢) إبن أعثم، الفتوح، ج٢، ص ٣٩٢.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٥٢١.

(٤) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج٢، ص ٢٧٠.

ويضيف إبن سعد إلى ما سبق أن مروان لم يكتف بدور المستشار للخليفة، وإنّما كان يحمله على الصحابة وعلى الناس، ويبلغه ما يتكلمون فيه ويهددونه به[1] وفي هذا الإتجاه ذكر البلاذري رواية عن الزهري[2] قال فيها أن مروان كان يأتي سيدنا عثمان ويخبره أن علي بن أبي طالب يؤلب الناس عليه، وأبلغه أن قوماً قدموا من مصر، فاستقلّ سيدنا علي عدتهم وطالبهم بالعودة والتأني، لحين قدوم أفواج أخرى من العراق[3] ويبدو أن صح ذلك، أن مروان لم يكن يظن بعلي بن أبي طالب ظنا حسناً، وكان يحمّله التأليب على عثمان، بينما كان الناس يأتون عليا لسابقته وفضله، قال الزهرى في الرواية نفسها «أن الناس كانوا يأتون عليا لسابقته وقرابته وفضله لا أنه أراد ذلك منهم».

ويظهر لنا مما ذكره إبن سعد والزهري، أن مروان كان يهدف من وراء ذلك إطلاع الخليفة على كل ما يجري حوله، ليتمكن من منع إشتعال الفتنة بين المسلمين، ويؤكد حرص مروان على ذلك من رواية أبي مخنف[4] التي يذكر فيها أن سيدنا عثمان بعث حمران بن أبان خادمه إلى الكوفة حين شكا الناس الوليد ليأتيه بحقيقة خبره، وبعد ذهاب حمران إلى الكوفة وقدومه علي الخليفة كذّب عن الوليد ما ذكر عنه وقرّظه، ثم إن مروان لقي حمران فسأله عن الوليد فقال الأمر جلل، وعندما سمع مروان ذلك نجده لا يتوانى عن إخبار الخليفة بحقيقة الأمر[5] وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على حرص مروان على وحدة المسلمين، وعدم السماح للفتنة بالإشتعال بينهم، وإن كان المخطئون من بني أمية.

---

(١) إبن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٣٦.

(٢) الزهري: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، راوية عدل ثقة، أنظر عنه مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ط٢، ص ١٥٧-١٥٨.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٥٥١، عطوان، حسين، الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت.، ١٩٨٦، ص ١٦٣، وسيشار إليه عطوان، الرواية التاريخية.

(٤) أبو مخنف: راوية عراقية شيعي، يذكر الأستاذ الدوري عنه أنه كان يمثل وجهة نظر العراق، إلا أن أخباره على العموم ليست متحزبة، الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ، ص ٢٥.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١، ق٤، ص ٥٤٧.

ونخلص إلى القول، إن كل الآراء التي أدلى بها مروان على الخليفة كانت تنم عن محبة مروان للخليفة، ورغبته في بقائه قوياً، وعدم السماح لعناصر الشغب بالحط من شأنه، وإحداث الفتنة بين المسلمين، وبالمقابل فإن الخليفة ما كان يعمد إلى الأخذ برأي مروان إذا كان فيه تجنّ على البعض، وبالتالي فإن ما ذكره البعض من سيطرة مروان على الخليفة، كان غير صحيح، وأنه ما كان يهدف من وراء ذلك إلا الطعن في سيدنا عثمان وكاتبه مروان.

٤- «نشاط مروان في الفتنة ومسؤوليته فيها»

بعد أن ألمحنا إلى أسباب الفتنة، لا بد من طرح سؤال ماهو نشاط مروان في الفتنة وما مسؤوليته عن حدوثها؟ وقبل الحديث عن ذلك، نذكر أن المصادر تشير إلى أن البداية العملية للفتنة قد بدأت منذ قدوم الوفود من الأمصار، ممثلة بالمصريين وعليهم عبد الرحمن بن عديس البلولي، وبالكوفيين وعليهم زيد بن صوحان العبدي، والبصريين وعليهم حكيم بن جبلة العبدي[١].

وما أن نزلت هذه الوفود على مقربة من المدينة بذي خشب، حتى بدأ مروان يتحرك نشطاً، في محاولة منه لدفع الشر عنه وعن سيده عثمان، حيث أننا لا نستبعد أن يكون مروان وراء إصرار سيدنا عثمان على سيدنا عليّ للتوسط بينه وبين الثائرين، ويؤكد لنا هذا الإحتمال، إذا عرفنا أن مروان عندما بدأ الحصار لشديد على الخليفة كان هدفه الأول هو إقناع سيدنا عليّ بالعدول عن رأيه في عدم التدخل، والتحرك للدفاع عن سيدنا عثمان[٢].

وتشير المصادر إلى أن سيدنا علياً وافق على الذهاب إلى المصريين الذين كانوا ينزلون في ذي خشب، ورافقه في ذهابه هذا مجموعة من المهاجرين والأنصار بالإضافة إلى مروان[٣] ويذكر أن سيدنا علياً بعد ذهابه إلى المصريين كان مطلبهم الرئيس في العدول عن الخليفة هو عزل مروان عن كتابته، وابن أبي السرح عن مصر[٤] وبعد أن أعطاهم سيدنا عليّ ما سألوا بناء على أوامر الخليفة له، عاد الوفد، في حين نجد رواية تؤكد أن سيدنا علياً نجح في مهمته بعد أن قدم بأشرافهم إلى الخليفة

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص: ٣٢٨-٣٢٩.
- النويري، نهاية الإرب، ج١٩، ص: ٤٧٣.
- ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص: ١٧٦.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص: ٥٨٧.
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص: ٣٧٧- ٣٧٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص: ٥٤.

(٤) ابن الوردي، تاريخه، ج١، ص: ٢٠٥.

والإتفاق معه على كتابة كتاب تعهد فيه الخليفة بالعمل على كتاب الله وسنة رسوله وإن المحروم يعطى والخائف يؤمن، والمنفى يرد، وأن المال يرد على أهل الحقوق، وعزل ابن أبي السرح، وتوليه محمد بن أبي بكر[1].

ويبدو أن مروان كان موافقاً على هذه الشروط التي أملاها الوفد على سيدنا عثمان ويؤكد ذلك أنه ما أن عاد الوفد حتى بادر مروان إلي دفع سيدنا عثمان بالخروج إلى المسجد، وإعلام الناس أن أهل مصر قد رجعوا وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً[2]في محاولة منه لقطع الكلام في سيدنا عثمان، والتأكيد على أن سلطة سيدنا عثمان وهيبته مستقرة وقوية في الأمصار، بإستثناء عناصر الشغب منهم.

إلا أن إستجابة سيدنا عثمان لسيدنا عليّ بالخروج إلى الناس ونزوعه إلى التوبة على كل المآخذ التي أخذت عليه، أفشل مروان في مسعاه، الأمر الذي أثار غضب مروان، وعدّ عمله تأكيداً لكونه مذنباً، كما يؤكد ضعفه ورضوخه لمطالب القوم، ويؤكد هذا الأمر معاتبة مروان للخليفة بالقول «بأبي أنت وأمي والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع لكنت أول من رضي بها وأعان عليها، ولكنك قلت ما قلت وقد بلغ الحزام الطبين»[3].

ويبدو أنه كان لكلام مروان أثره عند الخليفة الذي إقتنع بكلام مروان وحرصه عليه، لهذا نجده يطلب من مروان أن يخرج إلى الناس المجتمعين على بابه، ويكلمهم بما يريد، وكان لهذا التصرف من سيدنا عثمان الأثر في إزدياد غضب العامة عليه وخاصة بعد الكلام الشديد الوقع الذي ألقاه مروان إليهم، حيث ذكر الطبري في روايته عن الواقدي أن مروان خرج إليهم شاتماً إياهم معتبراً هذا التحرك من جانبهم ما هو إلا وسيلة لإنتزاع السلطة من بني أمية «شاهت الوجوه جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا

---

(١) خليفة، تاريخه، ص: ١٦٩.
- ابن العربي، العواصم من القواصم، ص: ١٢٥.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص: ٣٦٠.
- النويري، نهاية الإرب، ج١٩، ص: ٤٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص: ٣٦٢.
- ابن قتيبة،، الإمامة والسياسة، ج١، ص: ٣٤-٣٥.

من أيدينا، أخرجوا عنا والله لئن رمتمونا ليمرّن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غبّ رأيكم»[1].

ويؤكد هذا الغضب الذي أثاره كلام مروان عند العامة من تصرف سيدنا عليّ، الذي بادر إلى الدخول على سيدنا عثمان لائماً له على مطاوعة مروان، ومؤكداً أن هذه المطاوعة ستورده مورد الهلاك «وأيم الله إني لأراه يوردك ولا يصدرك»[2].

وكان كلام سيدنا عليّ والمعبّر خير تعبير عن حالة الهيجان التي سببها كلام مروان من إزدياد غضب العامة عليه، الأثر عند نائلة بنت الفرافصة زوجة سيدنا عثمان التي بادرت بدورها إلى إقناع سيدنا عثمان بالعدول عن سياسته بإتباع مروان بإعتبار أن مروان ليس من الأشخاص الذين لهم هيبة وقدر عند الناس «فإنك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة»[3].

ويبدو أن سيدنا عثمان قد إقتنع بكلامها وبكلام سيدنا عليّ، وظهر هذا الأمر بوضوح في زجره لمروان عندما قدم في اليوم التالي وحاول معاتبة نائلة لقولها فيه بقوله «لا تذكرنها بحرف فأسودّ وجهك، هي والله أنصح لي منك»[4].

في هذا الوقت الذي أصاب المدينة الفوضى والإضطراب نتيجة لتصرفات مروان وفعله مع الناس، عاد الوفد المصري وفي نفسه الإنتقام من سيدنا عثمان، وتذكر المصادر أن سبب هذه العودة على أثر أنهم وجدوا كتاباً مرسلاً مع غلام إلى واليّ مصر يطلب فيه أن يقتل بعضهم، ويصلب البعض، ويقطع أيدي وأرجل البعض من خلاف[5].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص: ٥٥٤- ٥٥٥.
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص: ٣٦٢.
- النويري، نهاية الإرب، ج١٩، ص: ٤٨٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص: ٥٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص: ٣٦٢-٣٦٣.

(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٤، ص: ٣٦٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص: ٥٧.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص: ١١٣، المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص: ٢٥٣، الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي (ت ٧٩٠هـ/١٣٨٨م)، الجمان في أخبار الزمان، ميكروفلم رقم ٦٧٦، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، صورة مصورة عن الخزانة العامة، الرباط، ص: ٢٧٦ب.

وتشير المصادر إلى أن محمد بن أبي بكر عندما وجد الكتاب في الطريق بادر إلى عرضه على الوفد وختمه بخاتمهم، والعودة إلى المدينة لمحاسبة سيدنا عثمان على فعله، وما أن وصل الوفد إلى المدينة حتى قابل سيدنا علياً وطلحة والزبير وعائشة، وأخبرهم بخبر الكتاب، في هذا الوقت نجد أن تحرك سيدنا عليّ كان حكيماً، حيث بادر إلى تهدئة المصريين، والقدوم بأشرافهم إلى الخليفة لمعاتبته ومقابلته بالأمر، وعندما قوبل رضي الله عنه أقسم بالله أنه ما كتب ولا أرسل ولا علم، وأكد أنه قد يكتب على لسان الرجل وينقش بخاتمه[1].

وقيل أنه قال لهم إما أن تقيموا عليَّ رجلين من المسلمين أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت ولا علمت، وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل وقد ينقش الخاتم على الخاتم[2] وعندما قابلوه بالقول أن بريدك على جملك وكتاب كاتبك عليه خاتمك، أجاب أما الجمل فمسروق وقد يشبه الخط الخط، وأما الخاتم فانتقش عليه[3]وفي قول آخر عندما قابلوه بالقول فالكتاب كتاب كاتبك قال أجل ولكنه كتبه بغير أمري، فأجابوه إن الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك قال أجل ولكنه خرج بغير أذني، فأجابوه فالجمل جملك، قال أجل ولكنه أخذ بغير علمي[4] وفي رواية أخرى عن الواقدي قوله والله ما كتبت ولا أمرت ولا شورت ولا علمت[5] في حين يذكر المقدسي أنه قال رضي الله عنه لعن الكاتب والمملّ والآمر به[6].

وهنا تجمع المصادر أن سيدنا عثمان ليس له يد في هذا الأمر، وهو الصادق لما يحلف، أما فيما يتعلق بمروان فإنها تجمع بأن الكتاب هو مرسل من عنده فقال ابن

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص: ٥٥٥، المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص: ٣٥٢، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص: ٢٨٨.

(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٣٥٦.

(٣) الطبري، المرجع نفسه، ج٤، ص٣٧١.

(٤) الطبري، المرجع نفسه، ج٤، ص٣٧٥.

(٥) الطبري، المصدر نفسه، ج٤، ص: ٣٧٤.

(٦) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص: ٢٠٥.

أعثم «وعرف الناس الخط أنه خط مروان وقد كتبه من غير علم عثمان»[1]، وقال ابن عساكر «وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان»[2].

وقال ابن أبي الدم «وكان مروان هو الذي كتب الكتاب وكان خاتم عثمان مع مروان فختمه ولم يعلم به»[3] وقال اليافعي «إن الذي زوّر عليه مروان والله أعلم»[4] وقال الشاطبي «كتبه على لسانه كاتبه مروان والذي قال فيه رسول الله لمّا أتى به إليه هذا الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون»[5].

وقال ابن كثير «قد كتبه مروان على لسان عثمان متأولاً قوله تعالى: {الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم}»[6].

ونجد رواية عند المقدسي يقطع قطعاً تاماً أنه من فعل مروان، وذلك أن سيدنا عثمان لما أعطى المصريين ما رغبوا به، قال مروان لحمران بن أبان إن عثمان قد خرف فاكتب إلى ابن أبي السرح أن يضرب أعناقهم إذا قدموا عليه. قال مروان بن الحكم لحمران بن أبان «إن هذا الشيخ قد وهن وخرف قم فاكتب إلى ابن أبي السرح أن يضرب أعناق من ألّب على عثمان، ففعلاً وبعث الكتاب مع غلام لعثمان يقال له مدسّ على ناقة من النوق»[7].

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص: ٤١٢.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص: ٣١٩ب.

(٣) ابن أبي الدم، تاريخ المظفري، ص: ١٦٥.

(٤) اليافعي، مرآة الجنان، ص: ٩٠.

(٥) الشاطبي، الجمان في أخبار الزمان، ميكروفلم، ص: ٢٧٦ب.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص: ١٦٤.

(٧) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص: ٢٠٤-٢٠٥.

هكذا نجد أن المصادر تجمع أن هذ التصرف لم يكن من سيدنا عثمان الذي أقسم بالله أنه ليس له علم بذلك، وهو الصادق لما يحلف، وتعترف بأن الكتاب مرسل من عند مروان لما رأى أن الخليفة قد رضخ لمطالب المصريين بعزل واليهم ابن أبي السرح وتوليه محمد بن أبي بكر، والسير على سيرة الخليفتين بعد رسول الله (ص)، ومع تقرير المصادر لذلك، إلا أننا نجد أن الأستاذ محبّ الدين الخطيب يرى عكس ذلك، ويرى أنها مكيدة مدبّرة من الأشتر وصحبه الذين كان لهم مصلحة في تجديد الفتنة، وأن مروان وعثمان كانا بريئين من هذا الأمر «ولا يعقل أن يكون تدبير هذا الدور التمثيلي صادر عن عثمان أو مروان أو أي إنسان يتصل بهما، لأنه لا مصلحة لهما في تجديد الفتنة بعد أن صرفها الله، إنما المصلحة في ذلك للدعاة الأولين إلى إحداث هذا الشغب ومنهم الأشتر وحكيم بن جبلة اللذين لم يسافرا مع جماعتهما إلى بلديهما»[1].

كذلك ذهب هذا المذهب الأستاذ يوسف العش، الذي ينفي أن يكون الكتاب من مروان أو سيدنا عثمان، ويستدل من طريقة مسك الكتاب مع الغلام أن وراء هذا مكيدة مدبّرة، ولا يستبعد أن يكون أمر تدبير الكتاب تم بين الوفود قبل رحيلها من المدينة ليجدوا حجة في تنفيذ رغباتهم في قتل سيدنا عثمان[2].

وذهب إلى ذلك الأستاذ طه حسين الذي يرى في قصة الكتاب أنها قصة ملفقة من أصلها، وليس بمعقول برأيه أن يكيد سيدنا عثمان للمسلمين هذا الكيد، فيعطي فريقاً منهم الرضا، ثم يرسل إلى عامله سراً من يبلغه الأمر أن يبطش بهم ويرهقهم من أمرهم عسرا، وكذلك برأيه ليس بمعقول ولا مقبول أن يجترئ مروان على الخليفة، فيكتب هذا الكتاب ويمضيه بخاتمه ويرسله مع غلامه على جمل من إبله[3].

ويبدو أن الوفد المصري قد صدّق سيدنا عثمان الذي برأي ابن تيمية لم يكن يأمر بقتل محمد ولا أمثاله، والذي ما عرف عنه قط أنه قتل أحدا، وأكد ذلك أن محمد

---

(١) ابن العربي، العواصم من القواصم، هامش، ص: ١٢٦.

(٢) العش، يوسف، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها إبتداء من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٥، ص: ٧٢، وسيشار إليه العش، الدولة الأموية.

(٣) حسين، الفتنة الكبرى، ص: ٢٠٩-٢١٠.

بن أبي بكر دخل عليه فيمن دخل وهو لا يأمر بقتالهم، وبرأيه أنه وإن كان سيدنا عثمان قد أمر بقتل محمد لم يكن في ذلك طعناً عليه لكونه خليفة، والخليفة أولى بالطاعة، ولكونه إمام الهدى وخليفة الله الراشد، يجب عليه سياسة رعيته وقتل من لا يدفع شره إلا بقتله[1].

وكانت مطالب الوفد بعد أن حلف لهم الخليفة تنحصر في أن يسلّم إليهم مروان لإمتحانه ومعرفة أمر هذا الكتاب، وكيف يأمر بقتل رجال من أصحاب سيدنا محمد (ص)، بغير حق إلا أن سيدنا عثمان أبى وخشى عليه القتل[2] فيكون بذلك سبباً في قتل إمرئ مسلم وما فعل من الأمر ما يستحق عليه القتل[3].

وقد أيد سيدنا عثمان في عمله ابن تيمية الذي يرى أنه وإن كان من الأفضل والأولى تسليمه، إلا أن سيدنا عثمان في ذلك لم يكن مخطئاً، وذلك يعود إلى مجموعة من المبررات التي يقدمها، حيث يرى أنه وإن كان قتل مروان لا يجوز فقد فعل الواجب، وإن كان يجوز فقد فعل الجائز، وإن كان قتله واجباً فذا كان من موارد الاجتهاد لديه، الذي يرى أن مجرد التزوير لا يوجب القتل[4].

ولهذا يرى أن الذين طلبوا قتل مروان هم قوم من الخوارج المفسدين في الأرض وليس لهم إقامة الحد، وإن كان مروان في فعله قد ظلمهم، إلا أنه ليس من الواجب أن يقتل المظلوم بيده كل من ظلمه ولا يقيم عليه الحدّ، كذلك يرى ابن تيمية أنه من الأولى في ذلك قتل محمد بن أبي بكر الذي لم يكن مروان أولى بالفتنة والشر منه، ولا أشهر بالعلم والدين من مروان[5] وفي النهاية يرى ابن تيمية أنه وإن كان مروان مذنباً في

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة، ج٣، ص: ١٨٨-١٨٩.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص: ٤٢.
- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص: ٢٨٩-٢٩٠.
- الذهبي، تاريخ الإسلام (عهود الخلفاء الراشدين)، ص: ٢٥٩.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص: ١٨٨.

(٤) ابن تيمية، منهاج السنة، ج٣، ص: ١٨٨.

(٥) ابن تيمية، منهاج السنة، ج٣، ص: ١٨٨-١٨٩.

عمله، إلا أن عمله لم يتم، ويرى أنه من سعى لقتل إنسان ولم يقتله لم يجب قتله، وإن كان من الأولى تأديبه، أما الدم فهو برأيه أمر عظيم لا يجب لأحد الإقتراب منه لعظيم العقاب عند الله سبحانه وتعالى، والذي جاءت الكثير من الآيات القرآنية تحذر من الإقتراب منه[1].

ويذهب إلى الرأي الذي ذهب إليه ابن تيمية، ابن أبي الحديد الذي يرى أنه لو كان عثمان إستجاب لمطالب القوم في تسليم مروان لكان ظلماً منه، لأن من الواجب على الإمام أن يقيم الحد على من يستحقه، أو التأديب ولا يحلّ له تسليمه لغيره[2].

لأن من الواجب في البداية أن يثبتوا عنده ما يوجب في مروان الحد والتأديب ليعمله به، وكان إذا لم يفعل والحال هذه يستحق التعنيف، كذلك أن الفقهاء رأوا أن الأمر بالقتل لا يجوب قودا ولا ديّة ولا حدّا، فلو ثبت في مروان ما ذكروه لم يستحق القتل، وإن إستحق التعزير، ويبدو أن سيدنا عثمان عدل عن تعزيره لأنه لم يثبت عليه ذلك، ولظنه أنه ربما كان هذا الفعل من عناصر أخرى معادية لمروان، تقبيحاً لأمره وطريقة لإبعاده عن الخليفة[3].

وذهب في هذا الإتجاه أيضاً ابن العربي الذي يرى أنه لو عمد سيدنا عثمان إلى تسليم مروان إليهم لكان ظالماً، لأنه من الواجب عليهم أن يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه فمن ثبت عليه كان هو المنفذ وحده[4].

وبعد هذا العرض لنشاط مروان نخلص إلى القول أن تحرك مروان في الفتنة كان تحركاً نشطاً، بحيث عمل ما في وسعه في جعل موقف الخليفة يتسم بالقوة في مواجهة الخارجين وعدم الرضوخ لمطالبهم، وعندما وجد أن عناصر الشغب إستطاعت التأثير على الخليفة، وجدنا أن مروان لم يقف مكتوف الأيدي إزاء ذلك، حيث أملى

---

(١) ابن تيمية، المصدر نفسه، ج٣، ص: ١٩٠.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج، ج١، ص: ٥١٣.

(٣) ابن أبي الحديد، المصدر نفسه، ج١، ص: ٥١٣.

(٤) ابن العربي، العواصم من القواصم، ص: ١١٠.

عليه منصبه ككاتب ومستشار للخليفة، في العمل ومقاومة الأمر، وذلك بالكتابة إلى والِيّ مصر يطلب فيه منه عند قدوم هؤلاء الخارجين على الخليفة بمعاقبتهم بما يستحقونه، وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على عدالة مروان وحرصه على الخلافة وبقائها قوية ذات هيبة أمام الناس.

٥- «محاولات مروان لإخماد الفتنة»

يشير الطبري إلى أن سيدنا عثمان بادر على أثر الكتاب وتشديد الحصار عليه بالإجتماع مع أهل بيته لمناقشة هذا الأمر، الذي أسفر عنه الكتاب من تشديد الحصار عليه، وبعد أن أدلى الحاضرون رأيهم، أشار عليه مروان بإعطاء المحاصرين ما يريدون والعمل على مطاولتهم لحين وصول النجدات من الأمصار[١].

وفعلاً نجد أن الخليفة يعمل بمشورة مروان، حيث إستدعى سيدنا عليّ وطلب منه أن يرد المحاصرين على أن يعطيهم ما يريدون، وأن يمهلوه ثلاثة أيام لتنفيذ ذلك، وفعلاً نجد أن سيدنا عليا ينجح في ذلك[٢] ولما مضت ثلاثة أيام ولم ينفذ الخليفة ما وعدهم، قدم المصريون لمحاصرته، وكان رد سيدنا عثمان «إن كنت مستعملاً من أردتم وعازلاً من كرهتم فلست في شئ والأمر إليكم»[٣].

وعلى أثر ذلك نجد أن مروان يتحرك نشطاً، حيث أرسل إلى سيدنا عليّ طالباً منه التدخل لكونه ذا شأن عندهم «أرسل مروان إلى عليّ ألا تأتي هذا الرجل فتمنعه فإنهم لن يبرموا أمراً دونك ولو كنت بمقطع التراب»[٤] إلا أن سيدنا عليا كما تشير الرواية لم يتدخل لمنع إبنه محمد بن الحنفية إياه خوفاً عليه. وبعد أن فشل مروان في ذلك نجده لا يقطع الأمل، حيث أرسل إليه سعد بن أبي وقاص لإقناعه، وهذا ما أكده الطبري بالقول أن مروان قال لسعد إن كنت تريد الذب عنه عليك بإبن أبي طالب فإنه مستتر وهو لا يجبه إلا أن سيدنا عليا رفض ذلك، وإعتذر أنه كلما كلّمه جاء مروان يلعب به ويثنيه عن رأيه[٥].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص: ٣٧٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص: ٦١.

(٣) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٣، ص: ٦١.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص: ٥٨٧.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص: ٢٧٧-٢٧٨.

ولما لم تجد محاولة مروان في جذب سيدنا عليٍّ للتدخل، نجده يتجه إلى زوج النبيّ عليه السلام عائشة، والتي كانت قد تجهزت للحج، حيث تشير الرواية إلى أن مروان بن الحكم قد أتاها طالباً منها التدخل لعلّ الله يدفع بها عن دم الخليفة «لو أقمت فأصلحت بين هذا الرجل وبين الناس»[١].

وفي قول آخر قوله «لو أقمت فلعل الله يدفع بك، عن هذا الرجل»[٢] وفي رواية أخرى عن سيف قوله «لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل»[٣] إلا أن عائشة رفضت ذلك، وتختلف المصادر في تقرير السبب الذي منعها من ذلك، فالطبري يذكر عن سيف أنها رفضت ذلك خوفاً أن يصيبها ما أصاب أم المؤمنين أم حبيبة عندما تدخلت حيث كادت تقتل، وظهر هذا من قولها لمروان «أتريد أن يصنع بي كما صنع بأم حبيبة ثم لا أجد من يمنعني»[٤] والرأي الثاني يرى أنها رفضت ذلك لأنها جهزت نفسها للحج، وقد كلفها ذلك كثيراً رغم أن مروان أكد لها أنه سيدفع بدل الدرهم درهمين مما كلفها جهازها[٥] والرأي الثالث يرى أنها رفضت للتدخل في هذا الأمر، لأن لها رغبة في قتل سيدنا عثمان وظهر هذا من رواية الواقدي أنها ردت على مروان «وددت والله أنه في غراره من غرائري هذه وأني طقت حمله حتى ألقيه في البحر»[٦].

ويبدو أن مروان قد إتجه إلى ابن عباس، لما يتميز به من القدر عند الناس يدعوه أن يمدّ يد العون للخليفة، وفعلاً نجد أن ابن عباس يقدم على الخليفة وبعد أن

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص: ٣٦-٣٧، اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص: ١٧٥.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص: ٥٦٥.
- ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص ٤٢٠.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص: ٣٨٦.

(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٤، ص: ٣٨٦.

(٥) اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص: ١٧٥-١٧٦.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص: ٣٧.
- البلاذري،، أنساب الأشراف، ج٤، ق٤، ص: ٥٦٥.
- اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص: ١٧٦.

أوضح موقف عليٍّ منه، نجد أن مروان يعترض على كلام ابن عباس قائلاً له دعنا من تخطئتك فأنت كما قال الشاعر:

دعوت للغياث ولست أدري   أمن خلفي المنية أم أمامي
فشققت الكلام رضي بال وقد   جُلّ الفعال عن الكلام[1]

«البحر الرجز»

وبعد أن فشلت جهود مروان في ذلك، نجده يبعث رسالة إلى الولاة الأمويين في الشام واليمن موضحاً لهم فيها، أن هذا التحرك ما هو إلا تحرك لإغتصاب السلطة من بني أمية، موضحاً الموقف الذي سيصبح عليه بنو أمية إذا قتل الخليفة، طالباً منهم المساعدة للحفاظ على بني أمية في المدينة، وحفاظاً على ولايتهما على تلك البلدان «أبرد مروان بخبره بريد أحدهما إلى الشام والآخر إلى اليمن، وفيهما يومئذ يعلى بن منية، ومعاوية بن أبي سفيان، ومع كل واحد منهما كتاب فيه أن بني أمية في الناس كالشامة الحمراء، وأن الناس قد قعدوا لهم برأس كل محجّة وعلى كل طريق، فجعلوهم مرمى العرّ والعضيهة[2]ومقذف القشب[3] والأفيكة، وقد علمتم أنها لم تأت عثمان إلاّ كرهاً، تجبذ من ورائها، وإني خائف إن قتل أن تكون من بني أمية بمناط الثريا، إن لم نصر كرصيف الأساس المحكم، ولئن وهى عمود البيت لتتداعين جدرانه، والذي عيب عليه إطعامكما الشام واليمن، ولا شك أنكما تابعاه إن لم تحذرا، أما أنا فمساعف كل مستشير ومعين كل مستصرخ، ومجيب كلّ داع، أتوقع الفرصة فأثب وثبة الفهد أبصر غفله مقتنصة، ولولا مخافة عطب البريد وضياع الكتب لشرحت لكما من الأمر ما لا تفزعان معه إلى أن يحدث الأمر، فجداً في طلب ما أنتما وليّاه، وعلى ذلك فليكن العمل إن شاء الله»[4].

ونخلص مما سبق إلى أن مروان قد بذل أقصى جهد عنده للعمل على إخماد الفتنة وحماية الخليفة، وذلك بالتوجه إلى العناصر التي كان من الممكن أن يكون لها

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص: ٣٤٢أ.

(٢) العرّ والعضيهة: الإفك والبهتان.

(٣) القشب من الكلام: الفرى.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج، ج٣، ص: ٥٢١-٥٢٢.

دور في إخماد الفتنة، إلا أن جهود مروان ذهبت أدراج الرياح، مما دفعه إلى العمل على طلب المساعدة من الولاة الأمويين في الأمصار، إلا أن جهد مروان في هذا المجال جاء متأخراً.

٦- «دور مروان في الدفاع عن عثمان»

إلا أن رسالة مروان إلى الولاة من بني أمية لإنقاذ عثمان جاءت متأخرة، حيث أن المحاصرين ما أن وجدوا نفور أهل الأمصار للحج، حتى وجدوا أنه لا يخرجهم مما هم فيه إلا قتله رضي الله عنه، في هذا الوقت نجد أن مروان بن الحكم يدافع عنه دفاعاً مريراً، حيث تشير المصادر أن مروان كان من بين أبناء الصحابة الذين قدموا إلى دار سيدنا عثمان للدفاع عنه[١].

وحين طلب الخليفة من المدافعين عدم الدفاع عنه، ويخلّوا بينه وبين المحاصرين، نجد أن مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير لم يستجيبا لذلك ويردا عليه قائلين ونحن نعزم على أنفسنا أن لا نبرح[٢] وفي قول آخر لمروان وأنا أعزم على نفسي إن لم أقاتل[٣]وفي قول ثان مقرون بالتحدي والله لا يصلون إليك وفيَّ روح[٤] وفي قول ثالث والله لا تقتل ولا يخلص إليك وأنا أسمع الصوت[٥].

ومما يدل على الرغبة الجامحة عند مروان في الدفاع عن أمير المؤمنين وأنه سيقدم نفسه رخيصة في سبيله، أنه رضي الله عنه حين زاد التأكيد على أولاد الصحابة بتركه، نجد أن مروان لا يستجيب لذلك، حتى بادر إلى الإختباء في أحد

---

(١) خليفة، تاريخه، ص٧٤، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٢٨٧-٢٨٨، ابن عبد البر، الإستيعاب، ج٣، ص١٠٤٦، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص٣٥٦أ، ابن العربي، العواصم من القواصم، ص١٤١، النويري، نهاية الإرب، ج١٩، ص٥٠٨، الذهبي تاريخ الاسلام (عهود الخلفاء الراشدين)، ص٤٥٢-٤٥٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص١٩٠، ابن الكردبوس، الإكتفاء، ص٧٦ب، الدياربكري، تاريخ الخميس، ج٢، ص٢٦٤.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٤١، ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٤٢٣، ٤٢٤، الشاطبي. الجمان في أخبار الزمان، ميكروفلم، ص٢٧٦ب.

(٣) خليفة، تاريخه، ص٧٤.

(٤) مجهول، تاريخ الخلفاء، ص٣٧.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٨٠.

الأماكن الخفيه في داره رضي الله عنه[1] وإن دل هذا على شيء، فإنه يدل على التصميم القوي لدى مروان في الدفاع عن أمير المؤمنين عثمان، وحين أخذ أهل الدار الاستعداد لمواجهة المحاصرين نجدهم يضعون مروان على ميسرتهم[2] وعلى أثر بدء المناوشات نجد أن مروان يقاتل قتالاً شديداً حتى إن محمد بن أبي بكر قد وجه إليه وإلى عبدالله بن الزبير التهديد الصارم بترك المحاصرين يدخلون على سيدنا عثمان، وعدم إعتراض طريقهم وفي ذلك يقول ابن أبي بكر:

لأعرفنك إذ نيرانها إضطرمت — تصوّت من شرّها إذاً فمن تبتهل

حتى يصيبك منا فرط سابقه — أنت المبان وأنت الخائف الوجل

وأنت إن تلغنا عن غب معركه — لا تلغنا من دماء القوم تنتفل[3]

«البحر البسيط»

وشوهد عندما بدأ الهجوم أنه قد سلّ سيفه وهو يقول:

أليت جهداً ألا أبايع بعده — إماماً ولا أصغى لما قال قائل

وأصلي بحرّ الحرب ما هبّت الصبا — بذي رونق هذا صقلته الصياقل

حسام كلون الملح ليس بعائد — إلى الجفر ما هبّت رياح الشمائل[4]

«البحر الطويل»

وحين بدأ القتال خرج مروان من الدار وهو حامل سيفه ويرتجز ويقول:

قد علم القوم إذ الحرب إشتعل — وانتضى الأسياف فيها والأسل

وأحولت الأحداق فيها والمقل — إني أنا الليث هناك والقلل[5]

«البحر الرجز»

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص٣٦٢أ.

(٢) ابن عساكر، المصدر نفسه، ج١١، ص٣٦٢ب.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ٣٩٣، المالقي، التمهيد والبيان، ص٢٠٣.

(٤) ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٤٢٣-٤٢٤.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص٥٦٩-٥٧٠.
- ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٤٢٥.

ثم نادى للمبارزة فبرز إليه الحجاج بن عمرو، فشد عليه مروان بكل حماس وشده الأمر الذي أدى إلى أصابته بجراح شديدة[1] إلا أن مروان لم تؤثر فيه تلك الجراح، حيث إستمر في القتال بجد ونادى إلى المبارزة فبرز إليه رجل من بني ليث الأمر الذي أدى إلى إصابته على عاتقه حتى قطع إحدى علباويه فعاش من هذا التاريخ أوقص، وخرّ مروان على الأرض مغشيا عليه، حتى كاد يقتل لولا إنقاذ فاطمة بنت شريك الأنصاريه وهي مرضعته[2] وبعد قتل الخليفة كان مروان من بين الأشخاص الذين أخرجوا من داره رضي الله عنه وهو مضرج بالدم[3].

وبعد أن قتل، رضي الله عنه بقي ثلاثة أيام لا يجرؤ أحد على دفنه[4] حتى بادر حكيم بن حزام، وجبير بن مطعم في الإذن من الثائرين بدفنه[5] وقيل تولي مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه دفن عثمان[6] وهكذا نجد مروان يلقى النظرة الأخيرة على سيدنا عثمان ويصلى عليه ويدفنه في الموضع المعروف بحش كوكب[7] وهو عازم على الإنتقام من القتلة ومن ساعد على قتله.

---

(١) ابن أعثم، المصدر نفسه، ج٢، ص٤٢٥.

(٢) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص١٩، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٧، البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص٥٦٩، ٥٧٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٩٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٦٦، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص١٤٤-١٤٥، المالقي، التمهيد والبيان، ص١٣٧-١٣٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص١٩٦.

(٣) ابن عبد البر، الإستيعاب، ج٣، ص١٠٤٦، النويري، نهاية الإرب، ج١٩، ص٥٠٠، ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص٧٨ب.

(٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٩. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص١٩٩.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٦٩.

(٦) االطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤١٢، ابن أبي الحديد، شرح نهج، ج٢، ص٢٧١، الديار بكرى، تاريخ الخميس، ج٢، ص٦٥.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٧٠، حش كوكب: هو بستان إشتراه سيدنا عثمان وزاده في البقيع، ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص٧٢، النويري، نهاية الإرب، ج١٩، ص٥٠٢.

٧- «البيعة لعليّ وموقف مروان منها»

كان سيدنا عليٌ بن أبي طالب بعد مقتل سيدنا عثمان، وموت أبي بكر وعمر، وعبدالرحمن بن عوف أكبر الصحابة سناً وأكثرهم حظاً في تولي الخلافة، ونتيجة لهذه الميزات كان يتمتع بثقة الأنصار والمهاجرين بالإضافة إلى المصريين[١] باستثناء البصريين الذين كان هواهم في الزبير، والكوفيين الذين كان هواهم في طلحة وفق رواية الطبري[٢].

ويذكر أنه كان رضي الله عنه قد تلقى البيعة في نفس اليوم الذي قتل فيه سيدنا عثمان[٣] وفي رواية أخرى عن سيف أن المدينة بقيت خمسة أيام بعد مقتل سيدنا عثمان دون خليفة حتى تم إنتخاب سيدنا علي[٤] وفي روايات المصادر خلاف حول الطريقة التي تمت فيها له البيعة، وعن مدى إجماع الناس على بيعته، ففي حين تذكر بعض الروايات أن بيعته كانت جماعية شارك فيها الأنصار والمهاجرون، وغيرهم من الناس بالإضافة إلى طلحة والزبير، ومن هذه الروايات رواية عن سيف قوله أنه حين قتل عثمان أجمع المهاجرون والأنصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا علياً وقالوا يا أبا الحسن هلمّ نبايعك[٥].

واليعقوبي بالقول بايعة طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار[٦] والمقدسي بالقول بويع على بيعة عامة، وبايع له اهل البصرة والكوفة، وبايع طلحة والزبير[٧]

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، والملوك، ج٤، ص٤٣٤.

(٢) الطبري، المصدر نفسه، ج٤، ص٤٣٤.

(٣) البسوي، المعرفة والتاريخ، ج٣، ص٣١١. المقدسي، البدء، والتاريخ، ج٥، ص٢٢٥. ابن عبد البر، الإستيعاب، ج٣، ص١١٢١.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٤٠.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٢٧.

(٦) اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص١٧٨.

(٧) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص٢٢٧.

وابن عبد ربه بالقول وأقبل طلحه والزبير فبايعوا ثم بايعه المهاجرين والأنصار وبايعة الناس[1] وابن خلدون بالقول لما قتل عثمان إجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار وأتوا عليا يبايعونه[2].

كما إن بعض الروايات تنكر ذلك ولا تذكر الإجماع على بيعته، وتظهر وجود معارضة له تزعمتها فئة من رجالات المدينة، كسعد بن أبي وقاص وابن عمر، وصهيب، وزيد بن ثابت، ومحمد بن سلمة، ومن هذه الروايات رواية عن عمر بن شبه، أنه قال لما قتل عثمان رضي الله عنه بايعت الأنصار كلها إلا نفراً يسيراً منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشر وغيرهم[3]وفي رواية أخرى عن الشعبي قوله أتى بعبيد الله بن عمرملبّبا والسيف مشهور عليه فقال له بايع فقال لا أبايع حتى تجتمع الناس عليه، وجيئ بسعد بن أبي وقاص فقال له بايع فقال يا أبا الحسن إذا لم يبق غيري بايعتك، وبعث عليّ إلى محمد بن مسلمة ليبايع فقال إن رسول الله أمرني إذا إختلف الناس أن اخرج بسيفي فأضرب به عرض حائط حتى ينقطع ودعا سيدنا عليّ اسامة بن زيد مولى رسول الله إلى البيعة فقال عاهدت الله أن لا أقاتل رجلاً يقول لا إله إلا الله[4].

وقال ابن خلدون وبايعت الأنصار وتأخر منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشر وزيد بن ثابت ورافع بن خديج ومسلمة بن سلامة، وصهيب بن سنان وأسامة بن زيد وقدامه بن مظعون[5].

كذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير وموقفهما منه، فكما لاحظنا سابقاً ان هناك من أظهر بيعتهما الطوعية، نجد هناك من ينكر هذا الحماس ويرفض أنهما بايعا

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٣٠٠.

(٢) ابن خلدون، تاريخه، ج٢، ص٥٧٥.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٢٩-٤٣٠.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٠٧-٢٠٨، ابن عبد ربه الإستيعاب، ج٣، ص١١٢١.

(٥) ابن خلدون، تاريخه، ج٢، ص٥٧٦.

عن طواعيه، ومن هذه الروايات رواية عن الزهري قوله إنما بايع طلحه والزبير عليا كرها[1] ورواية ابن سعد بقوله وذكر أن طلحة والزبير أنهما بايعا كارهين غير طائعين[2] ورواية ابن خلدون بقوله جاء حكيم بن جبله في البصريين فأحضر الزبير كرها، وجاء الأشتر في الكوفيين فاحضر طلحه كذلك وبايعوا لعلي[3] والنويري بالقول انه لما جاءوا بطلحة ليبايع قال إنما أبايع كرها فبايع، ثم جيىء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع[4].

أما فيما يتعلق بمروان وبني أمية وموقفهم من بيعته رضي الله عنه، نجد أن المصادر تختلف في ذلك، فالبعض يرى أن مروان وغيره من الأفراد الأمويين كانوا قد هربوا من المدينة دون مبايعة قال الطبري «ووجدوا بني أمية قد هربوا إلا من لم يطق الهرب وهرب الوليد وسعيد إلى مكة في أوّل من خرج وتبعهم مروان وتتابع على ذلك من تتابع»[5] وقال المقدسي «وتخلّف عن بيعته بنو أمية ومروان بن الحكم ولم يبايعه العثمانيه من الصحابة»[6] وقال ابن عبد ربه «وطلب (عليّ) مروان فهرب منه»[7] وقال ابن عساكر «وطلب (عليّ) مروان فهرب منه وطلب نفر من ولد مروان وبني أبي معيط فهربوا منه»[8] وقال ابن العبري «وتخلف عن بيعة عليّ بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة ولم يبايعه العثمانية من الصحابة»[9] وقال السيوطي «وهرب مروان وولده»[10].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٣٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣١.

(٣) ابن خلدون، تاريخه، ج٢، ص٥٧٦.

(٤) النويري، نهاية الإرب، ج٢٠، ص١٥.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٣٣.

(٦) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٩١.

(٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١١، ص٣٧١أ.

(٩) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١٠٥.

وفي حين نجد المصادر الآنفة الذكر تذكر أن مروان وبني أمية هربوا من المدينة ولم يبايعوا عليّ نجد مصادر أخرى تذهب مذهب مخالفا، فذكر اليعقوبي[1] أنه بايع الناس إلا ثلاثة نفر من قريش وهم مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبه، وعندما أرسل إليهم سيدنا عليّ طالباً «البيعة- كان لسان القوم الوليد بن عقبة حيث قال يا هذا إنك وترتنا جميعا، أما أنا فقتلت أبي صبرا يوم مكة وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر، وأما مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمّه إليه، وأضاف إنّا نبايعك على أن تضع عنّا ما أصبنا، وتعطى لنا ما في أيدينا، وتقتل قتلة صاحبنا فردّ عليّ أما ما ذكرت من وترى إياكم فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله تعالى، وأما إعطائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل سبقكم، وأما قتلي قتلة عمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غدا[2].

وذكر ابن أعثم[3]أن سيدنا عليا بعد أن بايعه الناس طلب من بني أمية وخاصة من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة المبايعة له، إلا أنّ هذه الجماعة رفضت في البداية المبايعة على إعتبار أنهم كانوا أكثر الناس وتراً منه، فالوليد بن عقبة قتل سيدنا عليّ أباه صبراً يوم مكة، وخذل أخاه عثمان، وأما سعيد فقد قتل أباه يوم بدر، وأما مروان فقد كان سيدنا عليّ من أكبر المعارضين لرده هو وأباه من الطائف، إلا أن الرواية تستكمل وتذكر أن القوم لم يلبثوا أن بايعوا بعد أن اشترطوا عدة أمور منها، أن يقتل سيدنا عليّ قتلة عثمان، وأن يسوّغهم ما في أيديهم وأن يلجؤوا إلى الشام إن خافوا منه، وكان رد سيدنا عليّ على ذلك أن وترهم كان وتر حق، وأما تسويغهم ما في أيديهم فإنه لن يتنازل عن حق الله، وأما قتلة عثمان فقد أكد لهم

---

(١٠) السيوطي، مناهل الصفا، ميكروفلم، ص٩١أ.

(١) اليعقوبي، هو أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م)، يقول الأستاذ شاكر مصطفى عن كتاباته أنه واضح فيها الميل العلوي او بالأحرى انه كانت وجهة نظره إمامية، مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ص٢٥٢.

(٢) اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص١٧٨-١٧٩.

(٣) ابن أعثم: محمد بن علي بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م) وهو كما يرى الأستاذ شاكر مصطفى، تغلب على كتبه الرواية القصة كا تظهر لديه وجهة النظر الشيعية، أنظر مصطفى، التاريخ العربي، والمؤرخون، ج٢، ص٥٢.

أنه لو ترك اليوم قتلهم لقتلهم غدا، وأما خوفهم منه فقد أمنهم مما يخافون، وبعد ذلك تستكمل الرواية وتذكر أن القوم لم يلبثوا حتى بايعوا[1].

وفي إطار هذا الإختلاف بين المصادر حول بيعة مروان وبني أمية، نميل إلى الرأي الذي يرى أنهم هربوا، دون مبايعة، وذلك يعود إلى خوف بني أمية من سيدنا علي والناس بعد قتل شيخهم عثمان بن عفان، وخاصة أن الناس ومنهم سيدنا عليَ كانوا حانقين عليهم لتصرفهم وسيطرتهم في عهد سيدنا عثمان، ويؤكد ما ذهبنا إليه قول سيدنا عليّ إن صح ما ذكره ابن الأثير من توعّده رضي الله عنه لبني أمية بقوله لئن وليت بني أمية لأنفضهم نفض القصّاب التراب الوذمه» ويفسر ابن الأثير كلامه، رضي الله عنه بقوله إنه يعني لئن وليتهم لأطهرنهم من الدنس ولأطيبنّهم بعد الخبث[2].

ويزيد تأكيد مخاوف بني أمية وبخاصة مروان من سيدنا عليّ ما ذكره ابن عبد البر أن سيدنا عليا كان دائماً عندما يواجه مروان يقول ويلك وويل أمّة محمد منك ومن بنيك[3]ويمكن أن نضيف أن ما ذكرته بعض المصادر من أنهم بايعوا، هي محاولة منها التأكيد أن بني أمية كانوا بمثابة الخارجين على السلطة الشرعية، رغم ان العلماء ناقشوا قضية ثبوت بيعة عليّ أم لا، وما يترتب على ذلك من الحكم على الخارجين على سلطته رضي الله عنه.

٨- «مروان والجمل»

عرفنا سابقاً أن مروان وغيره من الأفراد الأمويين كانوا قد هربوا إلى مكة قبل بيعة سيدنا عليّ، ويبدو أن جلّ بني أميّة قد هربوا، وهذا ما يميل إليه الأستاذ نبيه عاقل الذي يرى أن أغلب من كان من بني أمية في المدينة حين قامت فتنة عثمان قد هجرها إلى مكة بعد مقتله تحسبا وخوفا[4].

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٤٤١-٤٤٢.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١، ص١٨٥.

(٣) ابن عبد البر، الإستيعاب، ج٣، ص١٣٨٨.

(٤) عاقل، خلافة بني أمية، ص٢٩.

ويبدو أن الأفراد الأمويين بعد وصولهم إلى مكة كانوا يعملون على الأخذ بثأر سيدنا عثمان، وخاصة بعد أن وجدوا التأييد من أم المؤمنين عائشة، التي يذكر عنها أنها عندما وصل إليها الخبر بمقتل سيدنا عثمان نادت إلى الأخذ بثأره، وأكد ذلك الطبري بروايته عن سيف أنها بعد رجوعها إلى مكة نزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فسترت وإجتمع إليها الناس فقالت يا أيها الناس إن عثمان قتل مظلوماً ووالله لأطلبن بدمه[1] وفي رواية أخرى عن سيف قوله أنها إنصرفت راجعة إلى مكة إذ دخلتها أتاها عبدالله بن عامر الحضرمي، وكان أمير عثمان عليها فقال ما ردك يا أم المؤمنين قالت ردني أن عثمان قتل مظلوما وإن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء، امر فاطلبوا بدم عثمان تعزّوا الإسلام[2].

وكان لكلام أم المؤمنين هذا الأثر عند مروان وغيره من الأفراد الأمويين، الذين أخذوا يجوبون مكة ويدعون إلى الأخذ بدم عثمان، ويؤكد هذا الطبري بروايته عن سيف بالقول أنه كان أول من أجابها عبد الله بن عامر الحضرمي، وذلك أول ما تكلمت بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم[3] وفي رواية أخرى عن سيف قوله أنه بعد أن سمع ابن عامر منها ذلك أخذ يجرّ الدنيا[4] وخليفة بروايته عن الشعبي بالقول أنه لما سمع ابن عامر الحضرمي كلامها قال ها أنا أول طالب فكان أول منتدب[5].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٥٩.
- ابن قتيبة، المعارف، ص١٢٠-١٢١.
- ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٧٩.
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٠٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٤٩-٤٥٠.
- ابن قتيبة، المعارف، ص١٢١.
- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١٠٥.
- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١، ص٤٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج٤، ص٤٥٠.

(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٤، ص٤٥٢.

(٥) خليفة، تاريخه، ص١٥٧.

وفي قول أخر لإبن الجوزي أنه كان أول من أجاب إلى كلامها عبدالله بن عامر وبنو أمية[١] والمسعودي بالقول «وكان مروان في أخرين من بني أمية وممن حرّض على الطلب بدم عثمان[٢] وذهب إلى ذلك أيضاً صاحب الفخري بالقول أنه عندما سمع بنو أمية كلامها أخذ مروان بن الحكم وجماعة من الأمويين يقولون للناس إن الغوغاء من أهل الأمصار وعبيد أهل المدينة، إجتمعوا على هذا الرجل المسكين يعني عثمان فقتلوه ظلما وعدواناً فسفكوا الدم الحرام في البلد الحرام في الشهر الحرام[٣].

هكذا نلاحظ أن مروان والأمويين كانوا نشيطين في مكة بالدعوه للأخذ بثار سيدنا عثمان، الذي يعتبر شيخهم وسيّدهم، ويزيد تأكيد ما ذكرته من شدة الدعوه الأموية للأخذ بثأره من الرواية التي تذكر أن عبدالملك سئل أأدركت قتل أمير المؤمنين، فقال نعم فقيل له كيف كان جزعك عليه قال شغلني الحنق لأن أدرك بثاره على الحزن عليه[٤].

في هذا الوقت الذي كان فيه بنو أمية يتحركون بشده، وصل طلحة والزبير هاربين من المدينة، وعمدوا إلى زيادة تحريض بني أمية وعائشة على الطلب بدم عثمان، ويؤكد ذلك البلاذري بروايته عن الواقدي قال قدم طلحة والزبير على عائشة فدعواها إلى الخروج للطلب بدم عثمان[٥].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٨٠.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص

(٣) ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٧٠-٧١.

(٤) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد الازدي (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م)، التعازي والمراثي حققه وقدم له محمد الديباجي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦، ص٥١ وسيشار إليه المبرد، التعازي والمراثي.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٢٢.

يشير ابن أبي الحديد إن المحرّض الرئيسي لبني أميه للتحرك للمطالبة بدم عثمان كان معاوية، حيث كان قد بعث إليهم رسائل بذلك ومما بعث الى مروان رسالة يقول فيها «أما بعد فقد وصل إلى كتابك بشرح خبر أمير المؤمنين، وما ركبوه به ونالوه منه، جهلا بالله وجرأة عليه، وإستخفافاً بحقه، ولأماني لوّح الشيطان بها في شرك الباطل ليدهدهم في إهويات الفتن ووهدات الضلال، ولعمري لقد صدق عليهم ظنّه، ولقد إقتنصهم بأنشوطه فخّه، فعلى رسلك أبا عبدالله ليمشي الهويني، ويكون أولا فإذا قرأت كتابي هذا فكن كالفهد لا يصطاد إلا غيله ولا يتشازر إلا عن حيله وكالثعلب لا يفلت إلا روغانا، وأخف نفسك منهم إخفاء القنفذ رأسه عند لمس الأكف، وإمتحن نفسك إمتهان من ييأس القوم من نصره وإنتصاره، وابحث عن أمورهم بحث الدجاجة عن حبّ الدخن عند فقاسها، وأنغل الحجاز فإني منغل الشام والسلام» ابن أبي الحديد، شرح نهج، ج٢، ص٥٢٣.

وقال اليعقوبي فلحقا بعائشة بمكة فحرّضاها على الخروج[1] وقال الدينوري إن طلحه والزبير قالا إن أطعتنا طلبنا بدم عثمان قالت وممن تطلبون دمه قالا إنهم قوم معروفون وأنهم بطانة علي ورؤساء أصحابه فأخرجي معنا[2]، ويرى الأستاذ البطاينة أن هدف طلحة والزبير لم يكن دم عثمان فقط، وإنما كانوا يريدون إعادة النظر في الموقف برمته، من الطلب بدم عثمان وإقامة الحد على قتلته من جهة والإلتزام بشورى عمر بن الخطاب في إختيار الخليفة من جهة أخرى، وتحكيم القرآن في كل ما جرى وهو مطلب جعل عائشة وغيرها من المسلمين يدعون إليه وينصرونه[3].

ويضيف الأستاذ البطاينة أن هذا الموقف منهما مخالفا لموقف عليّ الذي كان يرى الدخول في الجماعة والمحافظة على وحدتها وتعزيزها السبيل إلى صلاح الأمر، بإعتباره يمثل الدولة، وإن اليد العليا لا تكون إلاّ يد الدولة، وإن الناس جميعا في أخذ الحقوق يرجعون إليها، لهذا كان يرى أن يدخل الجميع في الطاعة، معاوية وآل عثمان والطالبون بدم عثمان ثم يحاكمون القتلة إليه، أي إلى الدوله فيحملهم وإياهم على ما في كتاب الله وسنة نبيه[4].

ويبدو أن تركيز طلحة والزبير على عائشة يعود إلى رغبتهم في الحصول على التأييد من البصرة لهم، وهذا ما أكده الطبري بروايته عن سيف بالقول إن القوم قدموا إلى أم المؤمنين عائشة وقالوا دعى المدينة فإن من معنا لا يقرنون لتلك الغوغاء التي بها وأشخصي معنا إلى البصرة، إناناتي بلداً مضيّعا ويحتجون علينا ببيعة عليّ فتنهضينهم كما أنهضت أهل مكة ثم تقعدين[5].

---

(١) اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص١٨٠.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٤٤.

(٣) البطاينة، محمد ضيف الله، وصول بني أمية إلى منصب الخلافة، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ع٨٣-٨٤، ١٤٠٩، ص٥٣، وسيشار إليه البطاينة، وصول بني أمية، الى منصب الخلافة.

(٤) البطاينة، المرجع نفسه، ص٥٣.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٥٠، ٤٥١.

والدينوري بالقول أنهم قالوا لها إن أهل البصرة لو قد رأوك كانوا جميعا يداً واحدة معك[1] وذهب إلى ذلك الاستاذ نبيه عاقل الذي يرى أنهم عمدوا إلى جذبها إلى جانبهم لكي يضمنوا مزيدا من القوة لما لهذه السيدة من مكانة في نفوس المسلمين، ولما لها من كلمة مسموعة في نفوس الكثيرين[2].

ويبدو أن مروان والأمويين لم يقتصر هدفهم في جذب أم المؤمنين عائشة، بل نجدهم يتجهون إلى ابن عمر ويعرضوا عليه البيعة كوسيلة لإقناعه بالمسير معهم، وهذا ما أكده ابن عبد البر والنويري بالقول أن مروان بن الحكم دخل في نفر على عبدالله بن عمر بعد قتل عثمان فعرضوا عليه أن يبايعوا له، إلا أن ابن عمر رد بالقول كيف لي بالناس قالوا تقاتلهم ونقاتل معك، إلا أنه رفض ورد عليهم بالقول والله لو إجتمع عليَّ أهل الأرض لا أهل فدك ما قاتلتهم فخرجوا من عنده »[3].

ويبدو أن مروان بعد أن فشل في مسعاه هذا نجده يعاود الكره على ابن عمر وذلك ببعث طلحه والزبير إليه، وهذا ما أشار إليه صاحب الإمامة قال إن مروان غدا إلى طلحة والزبير فقال لهما عاودا ابن عمر فلعله ينيب، وفعلاً تشير الرواية أنهم عاوداه وكلماه بالقول أن عليا يرى إنفاذ بيعته وإن معاويه لا يرى أن يبايع له، وإنا نرى أن نردّها شورى، فإن أنت سرت معنا ومع أم المؤمنين صلحت الأمور، وإلا فهي الهلكة، إلا أن ابن عمر رد عليهما بالقول إن يكن قولكما حقا ففضلا صنعت وإن يكن باطلا فشر منه نجوت وأعلما أن بيت عائشة خير لها من هو دجها، وأنتما المدينة خير لكما من البصرة، والذل خير لكما من السيف، ولن يقاتل عليا إلا من كان خيراً منه، وأما الشورى فقد والله كانت فقدّم وأخرتما ولن يردها إلا أولئك الذين حكموا فيها فأكفياني أنفسكما[4].

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٤٤.

(٢) عاقل، خلافة بني أمية، ص٢٨.

(٣) ابن عبد البر، الإستيعاب، ج٢، ص٩٥٢.
- النويري، نهاية الإرب، ج١٩، ص٢٠٥.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٥٨-٥٩.

وأورد هذا الخبر ولكن بطريقة أخرى الطبري في روايته عن سيف بالقول أنه لما أجمع الرأي من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومن بمكة من المسلمين على المسير إلى البصرة، والإنتصار من قتلة عثمان رضي الله عنه، خرج الزبير وطلحه حتى لقيا ابن عمر ودعواه إلى الخفوف، فرد عليهما بالقول إني إمرؤ من أهل المدينة، فإن يجتمعوا على النهوض أنهض، وإن يجتمعوا على القعود أقعد فتركاه ورجعا[1].

وبعد أن فشل الجميع في جذب ابن عمر نجدهم يخرجون إلى البصرة في ثلاثة آلاف رجل[2] بعد أن جهزهم ابن عامر بألف ألف درهم ومائة من الإبل[3] ويعلى بن منيه الذي أعطاهم أربعمائة ألف درهم وفي رواية أخرى ستمائة ألف درهم وستماية بعير وأعطى عائشة جملا يلقب عسكرا إشتراه من اليمن بمائتي دينار[4]

وبعد أن سار القوم إلى البصرة، كان مروان مؤذنهم، ويؤكد ذلك الرواية التي تكررت في العديد من المصادر وهي أن مروان في الطريق قال لطلحة والزبير على أيكما أدعو للصلاة وأسلم بالإمارة، الأمر الذي أحدث الخلاف، فقال عبدالله بن الزبير أدع أبا عبدالله، وقال محمد بن طلحه أدع أبا محمد، فما كان من عائشة إلا أن تدخلت بالقول ليصلي بالناس الزبير.[5]

هذا التأمير للزبير يدل على حسن النية عندهم، وإذا صح إختلافهم في تسمية الأمير أول الأمر فهذا أمر عادي لأن كل واحد منهم يصلح أن يكون أميرا، وعدم تمسك كل واحد بأن يكون أميرا يدل على الصفاء وأنهم بصدد العمل للوصول إلى حلَ وعلى أساس هذا الأمر فإننا نرفض الرأي الذي ذهب إليه الأستاذ نبيه عاقل الذي عقّب على هذه الرواية بالقول أنها تكشف عن أن إتفاقهم كان إتفاق مصلحة، جمعتهما ضد عدو

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٦٠.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٢٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٠٢.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٢٣.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٦، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٢٥.
النويري، نهاية الإرب، ج٢، ص٢٠-٢١، الذهبي، تاريخ الإسلام (عهد معاوية حوادث ٤١-٦٠هـ) ص٢٢٦-٢٢٧.

مشترك وهو عليّ بن أبي طالب، فإذا ما إنتهى أمرهما بالفوز عليه فلا بد من نشوب خلاف جديد بينهما[1].

وما أن وصل القوم إلى مشارف البصرة، حتى بادرعثمان بن حنيف عامل سيدنا عليّ عليها بإرسال عمران بن حصين، وأبي الأسود الدؤلي إلى أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير لمعرفة حقيقة قدومهم، وبعد أن وضّح كل من طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة موقفهم عاد الوفد وأخبر عثمان بن حنيف بذلك، إلا أن عثمان بن حنيف أصرّ على منعهم من الدخول إلى البصرة حتى يأتي أمير المؤمنين عليّ، ويذكر سيف في هذا المجال أن عثمان نادى في الناس وأمرهم بالتهيؤ ولبس السلام، وخرج بهم لملاقاة القوم، إلا أنه عندما وقف في صفهم، إختلف أصحاب عثمان وإفترقوا فرقتين، فرقة ثبتت مع عثمان بن حنيف، وفرقة ذهبت وإنضمت إلى أم المؤمنين عائشة[2].

ويبدو أن الأمر تطور إلى حدوث قتال بين الطرفين وأكد ذلك الطبري في روايته عن سيف من أن حكيم بن جبله قد خرج وهو على الخيل فأنشب القتال، إلا أن الليل حجز بينهم وفي اليوم التالي أصبح عثمان بن حنيف فغاداهم وغدا حكيم بن جبله وهو يبربر، وفي يده رمح وأخذ يسب أم المؤمنين عائشة، الأمر الذي أدى إلى حدوث قتال شديد بين الطرفين، ولما كثر القتل في أصحاب عثمان بن حنيف إستجابوا إلى الصلح، وكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة للتأكد من أن طلحة والزبير بايعا مكرهين، فإن كان الأمر كذلك خلّى عثمان لهما البصرة، وإن لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير[3].

هذا الموقف المتأرجح لعثمان بن حنيف بين الشدة واللين يعود إلى أنه كان يتصرف في البداية على أنه يمثل الخليفة الشرعي، ويعتقد أن طلحة والزبير بايعا طائعين وعليهما الطاعة، ولكن لما علم أنهما بايعا مكرهين وأن هناك ما يحتاج إلى مناقشة، قبل أن يبعث رسول إلى المدينة، للتأكد من أن طلحة والزبير بايعا مكرهين

---

(١) عاقل، خلافة بني أمية، ص٢٩.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف،ج٢، ص٢٥٥، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٦٣-٤٦٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٦٦-٤٦٧، النويري: نهاية الإرب، ج٢٠، ص٢٠-٢١.

إلا أن الرسول عاد وأكد أنهما بايعا مكرهين، في حين وصل كتاب من سيدنا عليّ إلى عثمان بن حنيف يقول فيه والله ما أكرها إلا كرها عن فرقة، ولقد أكرها على جماعة وفضل، فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما، وعلى أثر الكتاب رفض عثمان التخلي عن البصرة فما كان من طلحة والزبير إلا أن جمعا الرجال في ليلة مظلمة وهجما على عثمان وأصحابه وقت العشاء في المسجد، وقتلوا أربعين رجلا من حرسه، في حين أخذ عثمان وما بقي في وجهه شعره[1] وأكد ذلك خليفة بالقول أخذوا عثمان بن حنيف فنتفوا لحيته وشعر حاجبيه وأشفاره[2] في حين يزعم صاحب الإمامة أن الذي صنع بعثمان ذلك هو مروان بن الحكم الذي أسره ونتف لحيته ورأسه وحاجبيه[3].

وبعد أن دخل طلحة والزبير البصرة كان تحرك مروان نشطا في محاولة منه لإقناع أهلها بإتباعهم، وأكد ذلك الصنعاني الذي ذكر أن مروان كان من ضمن الأفراد الذين كلموا أهل البصرة وحدثوهم أن عثمان قتل مظلوما، وأنهم جاءوا تائبين مما كانوا أغلوا به في أمر عثمان فأطاعهم عامة أهل البصرة[4].

وبعد أن إستقر القوم في البصرة كان سيدنا عليّ في أثرهم، حيث كان قد سار بالجيش الذي كان قد أعده لقتال معاويه والذين بلغ عددهم على حد زعم الطبري سبعمائة[5]وكان رضي الله عنه لما وصل ذي قار بعث وجوه صحبه ومعهم إبنه الحسن إلى الكوفة ليستنهضوا أهلها، وقد نجح وفد سيدنا عليّ في مهمته في الكوفة وحصل على تأييد واسع حتى بلغ عدد الذين إنضووا تحت لوائه تسعة آلاف وستمائة وخمسين رجلاً[6] ولما إجتمع القوم بذي قار سار إلى الخريبة[7]. ولما دنا رضي الله عنه من

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل الملوك، ج٤، ص٤٦٨.

(٢) خليفة، تاريخه، ص١٨٠.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٦٦.

(٤) الصنعاني، المصنف، ج٥، ص٤٥٧.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٤٥٥.

(٦) الطبري، المصدر نفسه، ج٤، ص٤٧٨، وما بعدها.

(٧) الطبري، المصدر نفسه، ج٤، ص٤٨٨.

البصرة كان من رأى مروان على حد زعم ابن أعثم مهاجمة عسكره رضي الله عنه، وهو في هذه الحالة من السفر وتعب الطريق[1] إلا أن القوم لم يوافقوه.

وعندما أخذ كل فريق يستعد لمواجهة الأخر، كان مروان كما تشير المصادر على ميمنة عائشة[2] وفي رواية أخرى على المقدمة[3] وفي رواية ثالثة على الميسرة في أهل اليمن[4].

وبعد أن فشلت الجهود لإحلال السلام بين الطرفين، ووقع القتال كان مروان في المعركة يقاتل قتالاً شديدا، حتى يذكر أنه جرح جراحات كثيرة[5] وفي تعبير أخر أنه قاتل حتى أثخنته الجراح[6] كما يذكر عنه أنه كان من أبرز المدافعين عن أم المؤمنين عائشة حتى قطع على خطام الجمل على حد زعم صاحب الإمامة ما يقرب من عشرين يد رجل من أهل المدينة والحجاز والكوفة[7].

وعندما إقترب جيش عائشة من الهزيمة قام مروان كما تجمع المصادر بضرب طلحة بن عبيد الله بسهم فقتله في محاولة منه للثأر، لسيدنا عثمان منه لدوره في قتله، فقال ابن سعد «روى أن مروان بن الحكم رمى طلحة يوم الجمل وهو واقف إلى جانب عائشة بسهم، فأصاب ساقه ثم قال والله لا أطلب قاتل عثمان بعدك»[8] وقال خليفه «نظر مروان بن الحكم إلى طلحه بن عبيدالله يوم الجمل فقال لا أطلب بثاري

---

(١) ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٤٦١.

(٢) ابن أعثم، المصدر نفسه، ج٢، ص٤٦٣.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٦٦.

(٤) خليفة، تاريخه، ص٨٤.

(٥) الغلابي، محمد بن زكريا بن دينار (ت، ٢٩٨هـ/ ٩١٠م)، وقعة الجمل، راوية محمد بن الحسين بن عبد الله بن العباس الصولي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٠، ص٤٢، وسيشار إليه الغلابي، وقعة الجمل، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٥٠٢.

(٦) محمود، الأمويون والتاريخ،ص٤٦.

(٧) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٧٢، ابن شهراشوب ، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٣٨١.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٥٣.

بعد اليوم فرماه بسهم»[1] وفي قول أخر له «رمى مروان طلحة بن عبيدالله بسهم ثم إلتفت إلى أبان بن عثمان فقال قد كفيتك بعض قتله أبيك»[2] وقال الدينوري «ويقال أن طلحة لما علم بإنصراف الزبير وهمّ أن ينصرف علم مروان ما يريده فرماه بسهم فوقع في ركبته فنزف حتى مات[3].

وقال اليافعي «وقتل طلحة قيل رماه مروان بن الحكم من أجل ضغن كان في قلبه منه»[4] وقال ابن عبد البر «طلحة رماه مروان بسهم فقتله فقال لا أطلب بثأري بعد اليوم وذلك أن طلحة فيما زعموا كان ممن حاصر عثمان وإستبد عليه، ولا يختلف العلماء الثقات في أن مروان قتل طلحة»[5].

ومع هذا الإجماع نجد أن الطبرى يشكك في الأمر، وظهر هذا في روايته عن سيف بالقول «أنه لما عقر الجمل وهزم الناس أصابت طلحة رميه فقتلته فيزعمون أن مروان بن الحكم رماه»[6]وذهب هذا المذهب ابن العربي بالقول ومن يعلم أن الذي رماه إلا علاّم الغيوب ولم ينقله ثبت، وقد روى أنه أصابه سهم بأمر مروان لا أنه رماه، ويضرب مثل على ذلك أن كعب بن سورقد خرج والمصحف منشور بيده ويناشد الناس أن لا يريقوا دماءهم، فأصابه سهم غرب فقتله، ولعل طلحه مثله ومعلوم أنه عند الفتنة وفي ملحمة القتال يتمكن أولى الإحن والحقود من حلّ العري ونقض العهود، وكانت أجالاً حضرت ومواعيد إنتجزت[7].

وذهب إلى ذلك أيضاً ابن كثير بالقول «رماه مروان بن الحكم وقال لأبان بن عثمان قد كفيتك رجالاً من قتلة عثمان، وقد قيل أن الذي رماه غيره، وهذا عندي

---

(1) خليفة، تاريخه، ص١٨١.

(2) خليفة، المصدر نفسه، ص١٨٥.

(3) الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٤٨.

(4) اليافعي، مرآة الجنان، ج١، ص ٩٧.

(5) ابن عبد البر، الإستيعاب، ج٢، ص ٧٦٦.

(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٥٠٩.

(7) ابن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٥٨-١٥٩.

أقرب وإن كان الأول مشهوراً والله أعلم»[1] ويبدو لنا أن هذا الإختلاف بين المصادر حول الأمر يدل على عدم صحته، وأنه ما كان مروان وهو في هذا المقدار المشهود له بالدين والعلم يقدم على مثل هذا العمل، وبخاصة أن طلحة كان من الصحابة المشهود لهم بالتقوى و الصلاح، لهذا نميل إلى الرأي الذي يرى أن مروان بريء من هذا الأمر، وأن ما ذكر عنه هو محاولة من الأعداء لوصمه هو وبنيه بالعار.

وبعد تفرّق الناس نجد أن المصادر تختلف في مصير مروان، حيث يرى البعض أنه أسر فيمن أسر مع أم المؤمنين عائشة، ومن هؤلاء البلاذري بروايته عن أبي مخنف حيث ذكر أن عليا أخذ يوم الجمل مروان بن الحكم وموسى بن طلحة ثم أرسلهما[2] وابن شهراشوب بالقول أن مالكاً الأشتر أسر يوم الجمل مروان بن الحكم ثم أرسله[3].

غير أن هذا الأمر ليس صحيحاً، ويؤكد ذلك الرواية التي تذكر أن سيدنا عليا كان يوم الجمل حين إنهزم الناس يكثر السؤال عن مروان، فقيل له في ذلك فقال أنه يعطفني عليه رحم ماسه وهو سيّد من شباب قريش[4].

والرأي الثاني يرى أنه لجأ إلى أهل بيت من عنزة، ثم طلب من الحسن والحسين وابن جعفر وابن عباس بأخذ الأمان له من سيدنا عليّ، ويؤكد ذلك، رواية البلاذري عن الواقدي الذي ذكر أن مروان قال دخلت يوم الجمل دارا ثم أرسلت إلى الحسن والحسين وابن جعفر وابن عباس فكلموه (سيدنا عليّ) فقال هو آمن فليتوجه حيث ما شاء[5].

والرأي الثالث يرى أنه أوى إلى أهل بيت من عنزة، ثم طلب من مالك بن مسمع إجارته، وأخذ الأمان له، ويؤكد ذلك رواية الطبري عن سيف قوله أن مروان يوم الجمل أوى إلى أهل بيت من عنزة ثم طلب منهم مروان إعلام مالك بن مسمع بمكانة، وتشير الرواية أنه عندما سمع مالك بذلك إستشار أخاه بقوله كيف نصنع بهذا

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٢٥٨.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص ٢٦٢.

(٣) ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص ٣٨١.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٦٠.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص ٢٦٢-٢٦٣.

الرجل الذي قد بعث إلينا يعلمنا بمكانة، فأشار عليه أخوهُ بإجارته وأخذ الأمان له، وإن لم يؤمنه سيدنا عليٌ خرجنا به بأسيافنا فإن عرض له جالدنا دونه بأسيافنا، فإما أن نسلم وإما أن نهلك كراما، وفعلاً تشير الرواية أن مالكاً أرسل إليه وأنزله في داره وعزم على منعه إن إضطر إلى ذلك، وقال الموت دون الجوار[1] وهذا ما نميل إليه ويؤكد ذلك الرواية التي تذكر أن بني مروان بعد ذلك حفظوا لمالك صنعية مع أبيهم وشرّفوه[2].

وبعد تأمينه يذكر البعض أن مروان أتاه فبايعه، ويؤكد ذلك رواية سيف بقوله أنه بايع عليا أهل البصرة حتى الجرحى والمستأمنة فلما رجع مروان لحق بمعاوية[3].

ويؤكد ذلك ابن سعد بقوله إن مروان بعد تأمينه قال ما تغرّني نفسي حتى أتيه فأبايعه فأتاه فبايعه[4] في حين يذكر البلاذري رواية عن أبي مخنف أن مروان رفض بيعته بقوله أن سيدنا عليا عرض عليه أن يبايعه حين بايعه الناس بالبصرة فأبى، وقال ألم تؤمنني قال بلى قال لا أبايعك حتى تكرهني، قال عليٌ فإني لا أكرهك فوالله أن لو بايعتني بإستك لقدرت ثم أنه مضى إلى معاوية[5] إلا أننا لا نقبل هذا الرأي ونميل إلى الرأي الذي يرى أنه بايعه بعد أن أمنه رضى الله عنه، وبعد ذلك تشير المصادر أنه خرج مع أم المؤمنين عائشة، فلما سارت هي إلى مكة سار هو إلى المدينة[6].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٥٣٦، الجمحي، محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ/٨٤٥م) طبقات فحول الشعراء، ٢ جـ، قرأه وشرحه محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت، ج١، ص ٢٥٦، وسيشار إليه الجمحي، طبقات فحول الشعراء، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص ٢٦٣، ابن خلدون، تاريخه، ج٢، ص ٥٩٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٥٣٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص ٢٥٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٥٤١.

(٤) ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٣٨.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص ٢٦٣.

(٦) الصنعاني، المصنف، ج٥، ص ٤٥٧، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٥٤٢، الذهبي، تاريخ الإسلام (عهود الخلفاء الراشدين) ص ٢٣٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص ٢٥٧، ابن خلدون، تاريخه، ج٢، ص ٥٩٣.

الفصل الثالث

مروان في العهد السفياني

١- مروان ومعركة صفين

٢- صلح معاوية مع زياد وإستلحاقه وموقف مروان وبني أمية من ذلك.

٣- مروان وجهود معاوية لبيعه يزيد.

٤- نظرة في علاقة مروان مع معاوية

٥- أ- ولاية مروان بن الحكم على المدينة في خلافة معاوية

ب- مروان والعلويون بالمدينة

جـ- مروان وتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية

د- إنجازات مروان العمرانية

هـ- الإنجازات الاقتصادية

و- مروان والعطاء بالمدينة

٦- أ- مروان وخلافة يزيد

ب- مروان ومقتل الحسين

جـ- مروان و ابن الزبير

د- مروان ووقعة الحرَّة.

١- «مروان ومعركة صفين»

عرفنا سابقا أن مروان بعد معركة الجمل ذهب إلى المدينة، ويبدو أن مروان لم يكن مخلصاً لسيدنا عليّ حتى الآن على الرغم من مبايعته إياه، حيث يذكر أنه أخذ يمارس نشاطه في المدينة بالدعوة إلى معاوية، الذي يعدّ في هذا الوقت من أبرز المناهضين لسيدنا عليّ، ومن تلك الرواية التي تذكر أن قيس بن سعد بعد أن عزله سيدنا عليّ من مصر قدم إلى المدينة، إلا أنه إضطر إلى الخروج من المدينة نتيجة خوفه من مروان، وكان لتصرف مروان هذا الأثر في لوم معاوية له الذي يذكر أنه كتب إلى مروان أنه لو أمددت علياً بمائة ألف مقاتل لكان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه وقوه مكيدته[1].

ونجد بعض الأخبار التي تفيد بأن مروان لم يزل بالمدينة حتى ولّي معاوية بن أبي سفيان الخلافة، وأنه لم يشارك في معركة صفين[2] ويبدو للباحث أن هذا الأمر فيه نظر، وذلك لأنه يناقض الموقف الذي ما زال مروان يمارسه حتى هذا الوقت، وهو الوقوف إلى جانب البيت الأموي وزعيمهم معاوية بن أبي سفيان باعتباره في هذا الوقت من أبرز الأشخاص القادرين على إعادة الخلافة إلى البيت الأموي بعد قتل شيخهم عثمان بن عفان.

ولذلك فإننا نؤيد الأخبار التي تفيد أن مروان لم يلبث أن انتقل إلى الشام، وهناك إجتمع مع معاوية، ولكن دون أن تذكر الأسباب التي دعته إلى الالتقاء بمعاوية، ولعلّ ذلك كان بسبب ما ذكرنا سابقا ما يوجد في نفس مروان من ميل لمعاوية ومناصره له، وهناك تذكر الأخبار أنه لعب دوراً في العمل على استمالة كبار الصحابة، حيث يذكر ابن أعثم في هذا المجال أن معاوية لما كتب إلى محمد بن مسلمة كتاباً يدعوه إلى الانضمام إليه، عرضه على مروان، إلا أن مروان لما وجد فيه الغلظة.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٠٠-٢٠١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٧٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٨.

عمد إلى تغيره والكتابة عليه أبيات من الشعر في محاولة منه لإستمالة محمد ومطلعها:

أيا فارس الأنصار في كل ملحمه ويا أيها الباني لها كل مكرمه

«بحر الطويل»

إلا أن محمد بن مسلمة رفض الإنضمام إلى معاوية، وأثر الأعتزال راداً على أبيات مروان بأبيات أخرى مطلعها:

أمروان دع هذا وفي الأمر جمجمه ولا تطلبن منّا جواب ابن مسلمه[1]

«بحر الطويل»

وتذكر بعض المصادر أن إنضمام عمرو بن العاص إلى معاوية كان بتأثير مروان بن الحكم[2] ويبدوأن تأثير مروان لقى إهتماماً من معاوية بضم عمرو بن العاص إليه وإعطائه مصر، وذلك لما كان يتميز به عمرو من الحنكة، وأيضاً أن عمراً كان على رأس الجيش الذي فتح مصر، ثم أميراً عليها، وخلال ولايته كانت صلته بأهلها صلة طيبة، وهذا كله ما يسرّ ضم مصر وأهلها إلى معاوية، وبعدوقعة صفين ودخول مصر في حوزة معاوية، أعاد معاوية عمراً والياً عليها، كما كان من قبل، ولعلّ إعادة توليه عمرو على مصر هو الذي جعل الكثير من المصادر في رواياتها تقول أن مصر أعطيت طعمه لعمرو[3].

---

(١) يشيد مروان بالبيت الأول بقوة محمد بن مسلمه، الذي أثبت شجاعته في كلّ ملحمه من الملاحم التي دخلت الأنصار بها، وكان لذلك الأثر في رفع مكانه قومه وبناء المكارم لهم، وفي البيت الثاني ينصح محمد بن مسلمه مروان بترك الأمر والإعتزال وعدم الطلب منه بالإنضمام إليهم، طالما بقى الأمر على هذه الحالة من الغموض، ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٥٤٧-٥٤٨.

(٢) المنقرى، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ/٨٢٧م)، وقعة صفين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، مكتبة الخانجي، مصر، د.ت، ص٢٤، وسيشار إليه المنقرى، وقعة صفين، ابن قتيبة،الإمامه والسياسة، ج١، ص٣٩، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٨٨، الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٥٧، اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص١٨٦.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٨٨، البلاذري، أنساب الأشراف،ج٢، ص٢٨٨، ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٥٢٥.

وبعد أن تمكن معاوية من أخذ كافة الإستعدادات لمواجهة الإمام عليّ، نجده يخرج في جيشه إلى صفين، وأثناء الخروج كان مروان في المقدمة بين يدي معاوية[1] على فرس أغرّ محجّل وقد تقلد سيف عثمان بن عفان[2] وما أن نزل القوم صفين، حتى بادر مروان بالكتابة إلى سيدنا عليّ محذراً ومعتزاً بالقوة الشامية، فقد ذكر أنه كتب إليه بأبيات من الشعر مطلعها:

نسير إلى أهل العراق وإننا   لنعم ما في السيّر من شرف القتل

«بحر الطويل»

إلا أن سيدنا عليّ ردّ عليه أيضا بأبيات من الشعر مطلعها:

نسير إليكم بالقبائل والقنا   وإن كان فيما بيننا شرف القتل[3]

«البحر الطويل»

وعندما شارف القوم على الحرب، وأخذ كلّ فريق في تعين القوّاد على أقسام الجيش، نجد أن معاوية يخصّ مروان ويعقد له رايه بإعتباره من الرجال الذين لهم خبره بالحرب، وكان من الأشخاص الأخرين الذين عقد لهم معاوية عمرو بن العاص، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعتبه بن أبي سفيان والضحاك بن قيس وأشباههم من قريش[4] هكذا كان مروان مشاركاً في تنظيم الجيش وإدارة الحرب.

---

(١) المنقري، وقعة صفين، ص٣٥١.

(٢) ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٥٥٦.

(٣) يشير البيت الأول إلى ما كان يسود نفس مروان من الإعتزاز والفخر بهذه القوة القادمة إلى مقارعه عليّ وأتباعه، حيث يؤكد مروان فيهالعزم الأكيد على القتال، وإنه ان قتل ففيه الشرف والفخر، وفي البيت الثاني يردّ الإمام عليّ عليه بنفس النبره، حيث يؤكد إننا نحن أيضاً قادمون إليكم يا أهل الشام بالقبائل وأداة الحرب، وأنه إن قتلنا ففيه الشرف والفخر، بإعتبارنا نقاتل على الحق دون الباطل، ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٥٥٦-٥٥٧.

(٤) خليفة، تاريخه، ص١٩٥-١٩٦، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١١-١٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص١٨٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٧٦، الذهبي، تاريخ الإسلام، (عهود الخلفاء الراشدين)، ص٥٤٢.

وبعد إنتهاء وقعة صفين والإتفاق على التحكيم، كان مروان من بين الأشخاص الذين حضروا التحكيم ضمن الوفد الذي أرسله معاوية لمقابلة جماعة عليّ، وهناك لا بدّ أن مروان سعى في إقناع جماعة عليّ في أحقية معاوية بمطالبه، وعندما إتفق الجانبان على مجموعة من الشروط، ووضعها في وثيقة كان مروان من بين الشهود على تلك الوثيقة التي تخصّ معاوية[1]

٢- «صلح معاوية مع زياد وإستلحاقه وموقف مروان وبني أمية من ذلك»

تشير المصادر إلى أن معاويه بعد الإنتهاء من معركة صفين بالنصر بادر إلى البعث إلى زياد كتاباً مهدداً له، في محاولة منه لإستمالته إلى جانبه، إلا أن زياد ردّ على ذلك بالرفض مهدداً معاوية بالقول «يتوعدني وبيني وبينه ابن عم رسول الله ﷺ، في سبعين ألفا، قبائع سيوفهم عند أذقانهم لا يلتفت أحد منهم حتى يموت»[2]

وعلى أثر مقتل سيدنا عليّ وجد معاوية الفرص طيبة لإعادة النظر في مساعيه الهادفة إلى إستمالة زياد، إلا أن زياد للمرة الثانية رد على تهديدات معاوية بخطبه قال فيها «العجب من ابن آكلة الأكباد وكهف النفاق وبقية الأحزاب كتب إليّ يتوعدني ويتهددني وبيني وبينه ابن بنت رسول الله في تسعين ألفا واضعي سيوفهم على عواتقهم لا ينثنون لئن خلص إليّ الأمر ليجدني أحمر ضرّابا بالسيف»[3].

هكذا بقي زياد بفارس مخلصاً لعليّ وإبنه الحسن من بعده، وقد تحصّن بقلعة عرفت بإسم «قلعة زياد»[4] الأمر الذي كان يقلق معاوية خوفاً أن يكون موقف زياد هذا دافعاً إلى إلتفاف الناس حوله ومبايعتهم لبعض أهل البيت[5] الأمر الذي جعل معاوية

---

(١) المنقري، وقعة صفين، ص٥٠٤-٥٠٧.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص١٨٩، الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١٩، ابن العربي، العواصم من القواصم، ص٢٣٧، النويري، نهاية الإرب، ٢٠، ص٣٠٤.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص١٨٩،اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص٢١٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٧٠، البياسي «الإعلام بالحروب، ج١، ص٢٧٥، النويري، نهاية الإرب، ج٢٠، ص٢٩٤.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص١٨٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ١٧٠.

(٥) ابن العربي، العواصم من القواصم، ص٢٢٥، البياسي، الإعلام بالحروب، ج١، ص٢٧٢.

يلجأ في تعامله مع زياد إلى إسلوب آخر، حيث بعث بسر بن أبي إرطاة القرشيَ والياً على البصرة، وأمره بقتل من خالفه، ويبدو أن معاويه حرّضه على أولاد زياد المقيمين هناك وفعلاً ما أن وصل بسر البصرة حتى قبض على بني زياد الأكابر ومنهم عبدالرحمن وعبيد الله وعبّاد فحبسهم[1].

وأرسل إلى زياد طالباً منه الشخوص إلى معاوية والدخول في طاعته، إلا أن زياد لم يستجب لتلك التهديدات، وكتب إليه «لست بارحاً من مكاني الذي أنا به حتى يحكم الله بيني وبين صاحبك، فإن قتلت من في يديك من ولدي، فالمصير إلى الله سبحانه ومن ورائنا ووراءكم الحساب «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »[2] ولم يعمد بسر إلى إطلاق سراح أولاد زياد حتى جاء أبو بكره أخو زياد بكتاب من معاوية يأمره بذلك.[3]

هكذا أخفق معاوية للمرة الثانية في إستمالة زياد، وعلى أثر صلح الحسن، ومبايعة الجماعة الإسلامية لمعاوية، عاود معاوية الاتصال بزياد، حيث كتب إليه يطالبه بتقديم حساب عما في ذمته من أموال ولايته فأجابه زياد «أنه لم يبق عندي شيء من المال وقد صرفت ما كان عندي في وجهه، وإستودعت بعضه لنازله إن نزلت، وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمة الله عليه»[4] ومن جواب زياد نلمس تغيّر طرأ على موقفه إتجاه معاوية الأمر الذي أغرى معاوية في الطلب من زياد القدوم إليه «أن أقبل ننظر فيما وليت وجرى على يديك إن إستقام بيننا أمر فهو ذاك وإلا رجعت إلى مأمنك»[5].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص١٨٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٦٨.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص١٨٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٦٨.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص١٨٩، البباسي، الإعلام بالحروب، ج١، ص٢٧٧، ابن خلدون، تاريخه، ج٣، ص٦..

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٦٨، البياسي، الإعلام بالحرب، ج١، ص٢٧٣، النويري، نهاية الارب، ج٢٠، ص٢٩١، ابن خلدون، تاريخه، ج٣، ص٦.

(٥) الطبري،تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٦٨، ابن خلدون تاريخه، ج٣، ص٦.

إلا أن زياد رفض ذلك، الأمر الذي دفع معاوية إلى إستخدام إسلوب التحذير مرة أخرى، حيث طلب من المغيرة عامله على البصرة يأمره بمصادره أموال زياد التي كان يليها عبدالرحمن بن أبي بكره[1] إلا أن صداقة المغيرة لزياد جعلت الأول غير جاد في تنفيذ ما أمر به معاوية، فاكتفى بتعذيب عبدالرحمن بن أبي بكره تعذيبا صوريا، ثم كتب إلى معاوية يخبره «إني لم أصب عنده شيئاً وقد بالغت في عذابه وإستقصيت عليه»[2].

هكذا فشل معاوية مرة أخرى في الضغط على زياد، ولم ينقذ معاوية، من قلقه إلا المغيرة الذي عرض على معاوية مبادرة من جهته يهدف بها المصلحة العامة، فطلب الإذن بزيارة زياد ومفاوضته فأذن له معاوية، ونصحه بالتلطّف لزياد عند لقائه، وعندما التقى المغيره بزياد تلطف له وترضاه وذكّره بمبايعة الحسن بن عليّ لمعاوية، ثم حثه على الدخول في طاعة معاوية، «أرى أن تصل حبلك بحبله وتشخص إليه»[3].

هكذا نجح المغيرة في حمل زياد على تعديل موقفه، حيث رأى زياد أنه من الأفضل أن يتوجه إلى دمشق لا سيما وأن معاويه قد كتب إليه الأمان فخرج من فارس سنة ٤٢هـ قاصداً إلى معاوية، ويرافقه المنجاب بن راشد الضبيّ، وحارثة بن بدر الغداني[4] وعندما قدم زياد إلى دمشق أكرمه معاوية وتلطف له، ثم سأله عما صار إليه من أموال فارس، فأخبره زياد بما أنفق منها في الوجوه المختلفة وما حمله إلى عليّ قبل موته، وما تبقى منها عنده فصدقه معاوية[5].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٧٦، النويري، نهاية الإرب، ج٢٠، ص٢٩٤، ابن خلدون، تاريخه، ج٣، ص٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٧٧، النويري نهاية الإرب، ج٢٠، ص٢٩٥.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص١٩٠-١٩١، البياسي، الإعلام بالحروب، ج١، ص٢٧٢-٢٧٣، النويري، نهاية الإرب، ج٢٠، ص٢٩٥-٢٩٦، ابن خلدون، تاريخه، ج٣، ص٧.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج٥، ص ١٧٨، البياسي، الإعلام بالحروب، ج١، ص ٢٧٢. النويري، نهاية الإرب، ج ٢٠، ص ٢٩٦. ابن خلدون، تاريخه، ج٣، ص ٧.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ١٧٨-١٧٩، النويري، نهاية الإرب، ج ٢٠، ص ٢٩٦.

وبعد هذا الصلح، عمد زياد إلى نزول الكوفة، على المغيرة الذي عمد إلى إكرامه وتعظيمه[1] وعلى أثر سكوت معاوية من عملية الإستلحاق التي كان قد وعد بها إلى زياد، نجد أن زياد يبادر إلى ذلك من نفسه، حيث يذكر أنه أعطى مصقله بن هبيره الشيباني عشرين ألف درهم، مقابل أن يقول أمام معاويه والله ما أرى ما تقول الناس إلا حقا، فإذا قال معاويه وما تقول الناس، فقل يقال أن زياد ابن أبي سفيان[2].

وعندما أدرك معاوية أن هذا الأمر يتداوله الناس ويعرفونه، رأى أن يستلحق زياد ويثبت نسبه، ويستصفي مودته بإستلحاقه، وفي سنة ٤٤هـ حضر زياد من الكوفة إلى دمشق ومعه أربعة شهود[3] وبعد أن تجمّع الناس في المسجد صعد معاوية المنبر، وأمر زياد فصعد معه ثم خطب قائلا أيها الناس إني قد عرفت شبهنا أهل البيت في زياد فمن كانت عنده شهادة فليقمها[4].

فقامت جماعة من الناس وشهدوا أنه ابن أبي سفيان أقرّ به قبل موته[5] وقام أبو مريم السلولي وكان خمّاراً في الطائف قبل الإسلام، وشهد أن أبا سفيان قدم عليه بالطائف وطلب منه أن يصيب له بغيا، فقدّم له سميّة، ثم أخذ أبو مريم يصف تفاصيل الواقعة بصراحة وبإسلوب فاضح[6] ثم جلس أبو مريم وقام أخر وقال أشهد أن عمر بن الخطاب أخذ بيد زياد فأخرجه يوم أخرجه إلى الناس، فقال رجل ممن كان حاضراً للّه أبوه من رجل لو كان له عنصر، فقال أبو سفيان وهو إلى جانبي أنا والله وضعته في رحم أمّه سُميّة، وما له أب غيري[7].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ١٧٩، النويري، نهاية الإرب، ج٢٠، ص ٢٩٦.

(٢) البلاذري، أنساب الإشراف، ج١، ق٤، ص ١٩١.

(٣) اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص ٢١٨، ابن العربي، العواصم من القواصم، ص ٢٣٧، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢١٠.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ١٩٢.

(٥) البلاذري، المصدر نفسه، ج١، ق٤، ص ١٩٢.

(٦) البلاذري، المصدر نفسه، ج١، ق ٤، ص ١٩٢، اليعقوبي، تاريخه، ، ص ٢١٩، البياسي، الأعلام، ج١، ص ٢٧٦، النويري، نهاية الإرب، ج٢٠، ص ٣٠٤.

(٧) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص ١٩٢، اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص٢١٨، البياسي، الإعلام، ج١، ص ٢٧٦.

وكان لهذا العمل من معاوية في إستلحاق زياد بنسب أبي سفيان، الأثر في قيام المعارضة الشديدة، سواء من قبل المسلمين عامة، أو من بني أمية خاصة، حيث يذكر أن عبد الرحمن بن الحكم أخذ يطعن بزياد، ويقول فيه الشعر، ولم يكتف عبد الرحمن بذلك، بل أنه قدم على معاوية معاتباً له بالقول والله يا معاوية لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة[1] كان لهذا التصرف من عبد الرحمن الأثر في غضب معاوية عليه، والذي أصرّ على عدم الصفح عنه حتى يجيء زياد ويعتذر له، وتشير الرواية إلى أن عبد الرحمن أتى زياد وإعتذر له وامتدحه[2].

ويبدو أن الأمر لم يقتصر على عبد الرحمن، بل شمل أغلب بن أمية، الذين جزعوا جزعاً شديداً، وبادروا إلى الإجتماع في دار مروان، طالبين منه الذهاب معهم إلى معاوية لمعاتبته، وعندما قدموا على معاوية، كان أول المتكلمين عبد الرحمن بن الحكم الذي ذكر أنه ما دفعهم لهذا الأمر، إلا عظيم الخطيئة الذي تعجز عن حملة الجنوب، وتضيق عنه القلوب، مذكّراً معاوية أن أمية بن عبد شمس لم يلد إلا عشرة وهم حرب وأبا حرب، وسفيان وأبا سفيان، وعمراً وأبا عمرو، والعاص وأبا العاص، والعيص وأبا العيص، ولم يلد عبيداً عبد ثقيف الذي جعله شعاره ودثاره، معتبراً هذا العمل بمثابة الفضيحة لأبيه والإزدراء ببنيه، مع ما فيه من المخالفة والسخطة لله، والمخالفة لنبيه الذي قضى للولد بالفراش وللعاهر الحجر[3].

ومن تكلم أيضاً من بني أمية سعيد بن العاص، الذي إعتبر عمل معاوية أمراً عظيماً تعجز العقبة الكوؤد عن تحمله، طالباً منه التخلي عن ذلك على إعتبار أنه لا

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص ٣٠٥، ابن عبد البر، الإستيعاب، ج٢، ص ٥٢٥-٥٢٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٣٠٢، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨جـ، حققه إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د. ت، ج١، ص ٤٣٦-٤٣٧، وسيشار إليه ابن خلكان، وفيات الأعيان.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج، ج٢، ص ٨١١، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦، ص ٦٦٤ب، النويري، نهاية الإرب، ج ٢٠، ص ٣٠٦.

(٣) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ١٧٦-١٧٧، ابن منقذ، أسامة بن منقذ، (ت٥٨٤هـ/١١٨٨م)، لباب الآداب، تحقيق أحمد محمد شاكر، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٣٥، ص ٣٨٩، وسيشار إليه ابن منقذ، لباب الآداب.

رحم بينهما، وأنه حتى وقت قصير كان عاملاً لعليّ في فارس يلعنه ويلعن أباه وأهل بيته[1].

ومن تكلم أيضاً مروان الذي بادر إلى تحذير معاوية من زياد، ضارباً له مثلاً على ذلك أن عدي بن زياد العبادي نصح النعمان بن المنذر، وقدّمه على إخوته وأشار على كسرى بولايته، فكان جزاؤه منه أن حبسه في السجن، وفي النهاية إعتبر مروان أن ما قام به هو محاوله لتكثير آل أبي سفيان على آل أبي العاص توحشا منه لعددهم وتكرّها منه لجمعهم، وتبرما منه لهم، رغم أنهم أثروه وأكرموه[2].

إلا أن معاوية لم يرضخ لقومه، حيث أنه ردّ عليهم في حزم بالقول «والله ما إياه راقبتم ولا لي نظرتم بل أدرككم الحسد القديم لبني حرب بن أمية، محذراً لهم في لوقت نفسه من معاوده هذا الأمر»[3].

ويورد ابن أعثم كذلك أنه كان من بين المعترضين الحارث بن الحكم، الذي أخذ يقول عندما وصل إلى مسامعه الإستلحاق، أنه ما أدعى معاوية زياد إلا ليتكثر على بني العاص، لتخوفه من مروان ومني، وتذكر الروايه أنه لما بلغ معاوية مقالته كتب إلى مروان وهو عامله على المدينة كتابا يقول فيه أنه بلغني قول أخيك وأيم الله ليكف الحارث عن نقص كلامه أوليأتيه مني شيء لا قبل له به، هذا التهديد من معاوية دفع مروان إلى إرسال أخيه إلى معاوية والإعتذار له وفعلاً قدم الحارث إلى معاوية معتذراً له، ذاكراً أن زياد أخونا وأخوك مما دفع معاوية إلى مكافئته ورده[4].

ويبدو لنا مما سبق أن المعارضة الأموية كانت شديدة، وهي معارضة لم تكن ناتجة عن عقيدة دينية، وإنما أوجدتها العصبية الأموية التي حاولت جاهدة لمنع دخول أي عنصر أجنبي إلى البيت الأموي، وإلى الفرع السفياني بالذات بالإضافة إلى ذلك فإن

---

(١) ابن بكار، المصدر نفسه، ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) ابن بكار، االمصدر نفسه، ص ١٧٩-١٨٠، ابن منقذ، لباب الآداب، ص ٣٩٠-٣٩١.

(٣) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ١٨١-١٨٢، ابن منقذ، لباب الآداب، ص ٣٩٢.

(٤) ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص ٣٠١-٣٠٢.

الأمويين كانوا يعلمون المواهب والقدرات التي كان يتمتع بها زياد، فخشوا أن تجتمع شخصيته بما لديها من صفات مع شرف نسبه الجديد فيصل بذلك إلى أجل المراتب وأرفعها، وهذا ما ذهب إليه الأستاذ صالح حمارنة الذي يرى في موقف بني أمية انه يدل بوضوح على أنهم يرون أن الملك إنما هو مُلك أموي، ويجب أن يبقى كذلك، وأنهم لا يريدون إشراك شخصيات بارزة من خارج هذا البيت في السلطة، ومع هذا كله فإنهم لا يريدون لمعاوية أن يقوي بيت أبي سفيان على حساب البيت الأموي الكبير وأن تبقى الزعامة فيه[1].

---

(١) حمارنة، صالح، مروان بن الحكم والخلافة، دراسات تاريخية، ع٦، تشرين الاول، ١٩٨١، ص ٣٢-٢٣، وسيشار إليه حمارنة، مروان بن الحكم والخلافة.

«٣-مروان وجهود معاوية لبيعة يزيد»

يشير البعض إلى أن معاوية قد عمل منذ وقت مبكر في سبيل إعداد ولده وتنشئته لتولي منصب الخلافة من بعده، حيث سمح لطلّقته ميسون بنت بحدل الكلبية أن تبقى معها ولدها يزيد ليتربى في مضارب قبيلة كلب، فيتعلم ويتمثل شمائل النخوة والشهامة والكرم والمروءة، ويكتسب خبرة وحنكة في الأمور الإدارية والإجتماعية والسياسية[١].

وعندما رجع يزيد من البادية، نشأ وتربى تحت إشراف والده معاوية، الذي عمد إلى إختيار أفضل المؤدبين له[٢] وبعد أن أدرك معاوية أن يزيد وصل إلى درجة عالية من الثقافة والرجولة، عمد إلى إشراكه في أعظم عملين كان لهما أكبر الأثر في علو مقامه، وإرتفاع مكانته في أعين الناس، وهما الجهاد في سبيل الله، حيث قام بإرساله قائداً للمدد الذي وجهه الخليفة لمعاونه الجيش الإسلامي المحاصر لمدينة القسطنطينية في سنة ٤٩هـ[٣] وكان هذا المدد يشتمل على شخصيات تتمتع بمكانة مرموقة بين جميع المسلمين أمثال عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وأبي أيوب خالد بن يزيد الأنصاري، وتشير المصادر التاريخية إلى أن يزيد أبلى في هذا الحصار بلاءً حسناً، مما حدى بالمؤرخين أن يمتدحوه في كتاباتهم[٤].

والعمل الآخر الذي شرّف يزيد بإمرته هو الحج، فيروى أن يزيد قد كان أميراً للحج سنة ٥٠هـ وسنة ٥١هـ وسنة ٥٢هـ[٥] وسنة ٥٣هـ[٦] وبهذا العمل كان معاوية قد

---

(١) العقيلي، عمر سليمان، مبايعة يزيد بن معاوية بولاية العهد، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، م ١٣، ع٢، ١٩٨٥، ص ٣٩٩، وسيشار إليه العقيلي، مبايعة يزيد بن معاوية.

(٢) العقيلي، مبايعة يزيد بن معاويه، ص ٤٠٠.

(٣) أبو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله النصري ت ٢٨١هـ/٨٩٤م، تاريخ أبي زرعة، تحقيق شكر الله بن نعمة الله، ٢ جـ، د. ن، د. م، د. ت. جـ١، ص ١٨٨ وسيشار إليه أبو زرعة، تاريخه، اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص ٢٤٠.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص ٨٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٢٩.

(٥) ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م) كتاب المحبر، راوية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكّري، تصحيح إيلزه يلختن شتيتر، دار المعارف العثمانية، ١٩٤٠، ص ٢٥٧،٢٠ وسيشار إليه ابن حبيب، المحبر، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٢٨٦.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٨، ص ٢٨٦ب، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٢٩.

وضع حجر الأساس في توليه يزيد لعهده من بعده، وبعد هذه الجهود من معاوية في العمل على تربية يزيد التربية الحسنة، والعمل على إثبات أهليته لمنصب الخلافة أمام المسلمين عامة، وأبناء الصحابة خاصة، بدأ الشروع عملياً لأخذ البيعة، وكان ذلك بالعمل على إستشارة كبار رجالات الدولة، وخاصة الولاة في الأمصار لإطلاعهم على حقائق الأمور في أمصارهم، وبعد ردهم الذي كان يتصف بين التشجيع في هذا الأمر والتمهل، أرسل مروان وخاصة أنه كان يتولى أهم ولايات الدولة الإسلامية وتمثل مركز المقاومة، يسأله أن يتأنى في الأمر ولا يعجل حتى يطالع أهل المدينة بذلك[1].

وبعد مدة وفي محاولة من معاوية التعجل في الأمر قبل أن تدركه المنية، أرسل إلى مروان يطالبه أن يمهد الطريق أمامه في تحقيق مراده في أخذ البيعة لولده، وفعلاً نجد أن مروان يستجيب إلى معاوية، حيث أخذ يتحرك بنشاط في هذا الأمر، حيث أنه عمد في البداية إلى إقناع الشخصيات المتنفذة في المدينة، وبعد أن أدرك أن الوقت أصبح ملائماً لذلك، جمع أهل المدينة وفي رواية أخرى وجوه أهل المدينة، وخطبهم حاضاً على الطاعة والإلتزام بها، محذراً من الفتنة ومخاطرها، ذاكراً أن أمير المؤمنين قد كبر سنة ورق عظمه، وأنه خاف أن يأتيه أمر الله فيدع الأمة المحمدية لا راعي لها، وقد أحب أن يعلم علماً ويقيم إماما يجمع الله به الألفة، ويحقن به الدماء، وكان لكلام مروان هذا وقعة الحسن على مسامع الناس، حيث بادر الجميع بالقول وفق الله أمير المؤمنين ليفعل[2].

وكان لهذا الجواب الحسن من أهل المدينة الأثر في تشجيع معاوية، حيث يذكر أن معاوية كتب إلى مروان أن يسمى لهم يزيد، وفعلاً تذكر المصادر أن مروان عمد للمرة الثانية إلى جمع أهل المدينة ذاكراً لهم أن الخليفة قد إختار إبنه يزيد وليّ عهده، الأمر الذي أثار الناس وخاصة أبناء الصحابة، حيث بادر عبد الرحمن ابن أبي بكر بالرد بشدة على ذلك قائلاً لمروان كذبت والله يا مروان وكذب من أمرك والله ما يزيد برضا،

---

(1) ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص ٣٣٢-٣٣٤، القالي، أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م .) الأمالي الذيل والنوادر للمؤلف، وكتاب التنبيه لأبي عبيد البكري، ٢ مج في ٣جـ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٣، ص ١٧٥ وسيشار إليه القالي، الأمالي.

(2) ابن أعثم، الفتوح، ج٣، ص٣٣٨، ابن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص١٩٨ .

ولكن الأمر هرقليه، إلا أن مروان رد عليه في غضب ذاكراً للمسلمين أن عبد الرحمن ليس من الأشخاص الذي هم أهل للمعارضة، وخاصة أنه أنزل الله به قوله «والذي قال لوالديه أفا لكما» وكذلك إستنكر هذا الأمر كل من ابن الزبير وابن عمر والحسن بن علي[1].

وقيل أن عبد الرحمن لما خاطبه مروان بذلك زاد غضبه، وقال لمروان يا ابن الزرقاء أفينا تتأول القرآن وأنت الطريد بن الطريد، ثم بادر إلى مروان وهو علي المنبر أخذا برجليه، منزلاً إياه، معتبراً إن مثله لا يستحق الصعود عليه والتكلم على أعواده[2].

كذلك تلقى مروان المهانة أيضاً من أم المؤمنين عائشة، حيث ذكر أنه لما وصل إلى مسامعها كلام مروان مع أخيها بادرت إلى المسجد، ذاكرة للمسملين أن ما ذكره مروان عن أخيها كان كذباً، وأن الحقيقة أن رسول الله لعن الحكم، وأن مروان ما هو إلا الطريد بن الطريد[3] وقيل أنها قالت لمروان أفينا تتأول القرآن، وإلينا تسوق اللعن، والله لأقومن يوم الجمعة بك مقاماً ما تود أني لم أقمه[4] ويظهر لنا فيما ذكر أن مروان قد بذل كل جهد مستطاع في تقديم الخدمة لمعاوية، حيث أنه سعى سعياً حثيثاً في إقناع أهل المدينة في الموافقة على أمر الخليفة، حتى أنه تلقى في سبيل ذلك اللعن والمهانة من جانب المسلمين عامة، وأبناء الصحابة خاصة، بالإضافة إلى أم المؤمنين عائشة.

ومع هذه الجهود من مروان في أخذ البيعة ليزيد من أهل المدينة، نجد المصادر الشيعية تستنكر ذلك، وتذكر أنه لما وصلت إلى مسامع مروان رغبة معاوية بأخذ

---

(١) البخاري صحيحة، ج٦، ص ٣٢٨-٣٢٩، أبو هلال العسكري، الأوائل، ج١، ص ٢٤٢-٢٤٤، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص ٣٧١، الأصفهاني، الأغاني ج١٧، ص ٢٧٣-٢٧٤، الذهبي، تاريخ الإسلام (عهد معاوية)،(حوادث ٤١-٦٠)، ص ١٤٨، ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص ٤٠٨، العامري، غربال الزمان، ص ٤٩، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٨٩.

(٢) ابن أعثم، الفتوح، ج٣، ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٣) ابن أعثم، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٢٩.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٧، ص ٢٧٢-٢٧٣.

البيعة لولده، بادر إلى جمع أخواله من بني كنانة والقدوم بهم على معاوية في الشام، موبخاً له قائلاً في بعض كلامه أقم الأمور يا ابن أبي سفيان، وأعدل عن تأميرك الصبيان وأعلم أن لك من قومك نظراء وأن لك على مناوأتهم وزراء، الأمر الذي دفع معاوية إلى تهدئة مروان معتبراً إياه نظير أمير المؤمنين، وعضيدة في كل شديدة وولاه عهده بعد يزيد ورده إلى المدينة[1].

إلا أننا لا نقبل هذا الرأي الذي ذهب إليه ابن قتيبة وغيره، وأنه لم يهدف من ورائه إلا الطعن في مروان وإظهار مطامعه المبكرة في الخلافة، وأن ما قام به في السنوات اللاحقة من الطعن في معاوية الثاني، ومواجهة التمرد في الشام، ومقاومه ابن الزبير لم يكن حرصاً منه على الخلافة وحياة المسلمين بقدر ما كان تحقيقاً لمأربه في الوصول للخلافة.

ويزيد التأيد في ذلك، بالإضافة إلى ما ذكرناه من جهوده في إقناع أهل المدينة، أنه عندما قدم معاوية إلى المدينة للحصول على بيعة يزيد بنفسه، كان مروان ساعده الأيمن في ذلك، وكان مرافقاً له مدافعاً عنه[2] حتى يذكر صاحب أخبار الدولة العباسية

---

(١) ابن قتيبة، الأمامة والسياسة، ج١، ص ١٥١-١٥٣.

- المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٣٧-٣٨.

- المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص ٦.

- القليعي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٣٠هـ)، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، حققه إبراهيم يوسف. مصطفى عجو، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥، ص ٢٦٥، وسيشار إليه القليعي، تهذيب الرياسة.

- ابن الكردبوس، الإكتفاء، ميكروفلم، ص ١٠٦ب.

(٢) البسوي، المعرفة والتاريخ، ج٣، ص ٣٢١، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٢٨. أبو العرب، أحمد بن نعيم التميمي (ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م -)، كتاب المحن، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٢٠، وسيشار إليه أبو العرب، المحن، التوحيدى، على بن محمد بن العباس (ت ٤١٤هـ/١٠٢٣م -)، البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضي، ٨جـ، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص ١٧-١٨، وسيشار إليه التوحيدى، البصائر والذخائر ابن حجر، الجنان واللسان، ص ٢٤-٢٥.

أن مروان كان من أبرز المؤيدين لمعاوية في إستخدام القوة ضد المعارضة[1] والتي إستخدمها معاوية فعلاً حيث تبع المعارضين إلى مكة.

٤- «نظرة في علاقة مروان مع معاوية»

يبدو أن العلاقة الحقيقية بين مروان ومعاوية قد بدأت وتوثقت في عهد سيدنا عثمان، حيث كان مروان في عهده من أبرز الساعين لتقوية الحزب الأموي، وبعد فتنة عثمان وتزعم معاوية المعارضة لسيدنا علي، كان مروان من أبرز المؤيدين لمعاوية في هذه المرحلة من الصراع، حيث مارس مروان نشاطاً قوياً في تأليب الناس على الإمام عليٍّ في مكة والبصرة بالإضافة إلى نشاطه في معاركة صفين.

كان لهذا الموقف من مروان الأثر عليه، حيث أنه بعد أن تولى معاوية الخلافة في الدولة الإسلامية، بادر إلى مكافئة الرجال الذين كانوا معه وساعدوا في تحويل الخلافة إليه، وذلك بعهد منصب الولاية إليهم أمثال مروان الذي ولاه في البداية على البحرين[2] ثم إتخذه والياً على المدينة.

ويبدو أن مروان كان يستحق هذا المنصب من معاوية، بإعتباره رأس فرع بني العاص[3] أو على حدّ تعبير عمرو بن العاص شيخ من مشائخهم[4].

وكان إختيار معاوية لمروان في محله، حيث بادر مروان أثناء توليه المدينة بالعمل على الإخلاص لمعاوية، ومشاورته وشدّ أزره، وضبط أمور الولاية، ومقاومة الخارجين والمناوئين له، حيث ذكر أن معاوية لما إحتار فيمن يوليه العراق بإعتباره

---

(١) مجهول، أخبار الدولة العباسية، وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١، ص ٨٢ وسيشار إليه مجهول، أخبار الدولة العباسية.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٩٩، المقريزي، النزاع والتخاصم، ص ٤٧.

(٣) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ١٧٩.

(٤) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص ٨٣.

من الأمصار التي تتميز بالإضطراب، أشار عليه مروان بالقول ولي من لا يفحج الحلوب قبل الدّرة، ولا يدني العلبة حتى يمسح الضرّة[1] كذلك كان مروان من الناصحين لمعاوية في الحذر من زياد عندما أراد إستلحاقه[2].

وحين مات الحسن وكان معاوية ينتظر بفارغ الصبر وفاته، كتب إليه مروان يبشره بالأمر ويخبره بنشاطه ونشاط بني أمية لمنع دفنه إلى جانب رسول الله ﷺ، وكان لتصرف مروان هذا الأثر في إعجاب معاوية به، الأمر الذي دفعه إلى الكتابة إليه يشكره ويذكر له حسن بلائه[3].

وحين كثر إختلاف أهل الكوفة إلى الحسين بعد وفاة الحسن، نجد أن مروان لا يتوانى في إختبار معاوية بالأمر، حيث ذكر أن مروان كتب إلى معاوية أنني لست آمن أن يكون الحسين مرصدا للفتنة، وأظن يومكم من الحسين طويلاً، وعندما وصل الأمر إلى معاوية بادر إلى تهديد الحسين بالقول أن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء، وقد أنبئت أن قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق وأهل العراق من قد جرّبت قد أفسدوا على أبيك وأخيك، فاتق الله وأذكر الميثاق فإنك متى تكدني أكدك[4].

كان لهذا الإخلاص الشديد من مروان لمعاوية، الأثر في إرتفاع مكانته عند الخليفة، الذي بادر إلى مكافئة مروان والإغداق عليه ورفع شأنه، رغم الغضب الذي ساور البعض نتيجة ذلك، حتى قال أحد ولد أمية بن خلف الجمحي لمعاوية، إنا تركنا

---

(١) الأبي، نثر الدر، ج٣، ص ٤٤.

(٢) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ١٧٩-١٨٠.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢٤، الشاطبي، الجمان في أخبار الزمان، ميكروفلم، ص ٢٨٥أ، الذهبي، تاريخ الإسلام، (عهد معاوية) (حوادث سنة ٤١- ٦٠) ص ٢٢٩، الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص ٦٦.

(٤) البلاذري، انساب الأشراف، ج٣، ص ١٥٢-١٥٣، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م ـ) سير أعلام النبلاء، ٢٣جـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤، ج٣، ص ٢٩٤ وسيشار إليه الذهبي، سير أعلام النبلاء، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٦٤.

الحق وعليٌ يدعونا إليه، وبايعناك على ما نعلم، فلما تسهلت لك الأمور جعلت الدنيا لأربع لسعيد بن العاص، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، والمغيرة بن شعبة، وتركتنا لا في عير ولا في نفير[1].

لم يقتصر الأمر على المعارضة، بل طالب البعض من معاويه بالعمل على الحد من نفوذ مروان وإقصائه والحط من شأنه، وكان من أبرز الداعين إلى ذلك أشد المنافسين لمروان، وهو عبد الله بن الزبير الذي يذكر أنه خاطب معاوية بالقول يا معاوية إن لنا حقاً وحرمه وطاعة ما أطعت الله نطعك، يا معاوية لا تدع مروان يركبنا في جماهير قريش بمشاقصه ويضرب صفاتهم بمعاوله، ولولا مكانك كان أخف على رقابنا من فراشه، وأذل في أنفسنا من خشاشة، ولئن ملك أعنه خيل تناقد له ليركبن منك طبقاً تخافه، إلا أن معاوية رد عليه مهدئاً من روعة بالقول إن يطلب الأمر فقد طمع فيه من هو دونه، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه[2] كذلك روى لعبد الله بن الزبير معاتبات أخري لمعاوية على أثر تقريبه مروان[3].

ويبدو أن معاوية أدرك الخطر الذي أصبح يمثله مروان عليه نتيجة هذه السلطات الواسعة، لهذا عمد إلى الحد من نفوذه، بحيث لا يعظم سلطانه بدرجة يهدد سياسة الدولة، لذا يذكر أن معاوية في أحد الأيام كتب إلى سعيد بن العاص وكان واليّ المدينة يأمره أن يهدم دار مروان، فأبى فأعاد عليه معاوية الكتاب فأبى، فعمد معاوية إلى عزلة وتوليه مروان بن الحكم، أما محمد بن عمر فيذكر أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص يأمره أن يقبض أموال مروان كلها فيجعلها صافية وأن يقبض

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) البلاذري، المصدر نفسه، ج١، ق٤، ص ٦٩- ٧٠.
الابي، نثر الدر، ج٣، ص ١٧٧-١٧٨.
- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص ١٨-١٩.

(٣) المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوى (ت ٤٣٦هـ/١٠٤٤م)، أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، ٢ جـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٧، ص ٢٨٦-٢٨٧، وسيشار إليه المرتضى، الأمالي.

منه فدك أيضاً فأبى، فأعاد عليه معاوية الكتاب فأبى، وأخذ سعيد بن العاص الكتابين فوضعهما عند جارية له، وعندما عزل سعيد وولى مروان بعث إليه معاويه أن يقبض أموال سعيد بن العاص في الحجاز وعندما وصل الكتاب إلى مروان أرسله مع أبنه عبد الملك إلى سعيد بن العاص، وطلب منه أخباره أنه لو كان غير كتاب أمير المؤمنين لم يفعل ذلك، فعمد سعيد بإخبار عبد الملك بالأمر وأرسل الكتابين إلى مروان، وعندما قرائهما مروان قال هو كان أوصل لنا منه وكفّ عن أموال سعيد[1].

بالإضافة إلى هذا العمل، فإن معاوية إتخذ منهجاً أخر في طريق إقصاء مروان، وهو عدم الأخذ برأيه ومشورته، وبالتالي إقصائه عن إتخاذه ساعده الأيمن، فذكر أن معاوية لما بادر إلى الحجّ سنة ٥١ هـ طلب من مروان الإشارة عليه في أمر الحسين، وكان من رأى مروان أن يخرج معه معاوية الحسين إلى الشام فيقطعه بذلك عن أهل العراق ويقطعهم عنه، إلا أن معاوية رفض رأى مروان، وقال أردت أن تستريح منه وتحمل مؤونته عليّ، فينال مني ما يناله منك[2].

كذلك روى أنه عندما ذكرت الزرقاء بنت عدي عند معاوية، وكان مروان عنده، أشار عليه مروان بقتلها، إلا أن معاوية رفض ذلك وقال أيحسن بمثلي أن يتحدث عنه الناس أني قتلت إمرأة[3] كذلك ذكر أن مروان لما أخذ أهل النابغة وماله، وشكا النابغة أمره إلي معاوية وكان مروان عنده، أنكر مروان ذلك، إلا أن معاوية رفض ذلك، وقال ما أهون عليك أن ينحجر هذا في غار فيقطع عرضي بشعر ترويه العرب، وبعدها رد معاوية على النابغة ماله وأهله، ولم يأخذ برأي مروان[4].

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص ٨٤، البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٢٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٢٩٣-٢٩٥، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ٢٩٩، النويري، نهاية الأرب، ج٢٠، ص ٣٤٥-٣٤٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٦٩، ابن خلدون، تاريخه، ج٣، ص ٢٠، ابن الكردبوس، الإكتفاء، ميكروفلم، ص ١٠٦ب.

(٢) أبو هلال العسكري، الأوائل، ج١، ص ٣٤٤.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣٠، ص ٨٤.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٨٣.

وكان لهذا التصرف من معاوية الأثر عند مروان، الذي أدرك مساعي معاوية في الحد من نفوذه وإقصائه، لهذا عمد إلى التحريض على معاوية للتأثير عليه، ولإثبات وجوده لذا يذكر أن عمرو بن عثمان لما مرض في أحد المرات، وأخذ العواد يدخلون عليه وكان مروان يتخلف عنده، وفي أحد الأيام سمعت رمله زوجة عمرو مروان وهو يقول لعمرو ما أخذ هؤلاء (يعني بني حرب) الخلافة إلا بإسم أبيك، فما يمنعك أن تنهض بحقك فلنحن أكثر منهم رجالاً، منافلان ومنهم فلان حتى عدد رجالاً ثم قال ومنا فلان وهو فضل وفلان فضل، حتى عدد فضول رجال أبي العاص على رجال بني حرب[1].

ويبدو أن مروان لم يقتصر في مساعيه لإثبات وجودة وقوته في السر، بل أنه أخذ يواجه معاوية بعدم رضاه عن سياسته تجاهه من حد نفوذه وإقصائه، رغم ما بذله له خلال الفترات السابقة، ويدلل على ذلك أنه لما عزل معاوية مروان، بعث مروان أخاه عبد الرحمن لمعاتبته، ولما قدم عبد الرحمن علي معاوية بدمشق أنشده:

أتتك العيس تنفخ في بُراها   تكشف عن مناكبها القطوع

بأبيض من أمية مضرحي   كأن جبينه سيف صنيعه

«البحر الوافر»

ثم سأله معاوية على أي ظهر جئت فقال على خرس، قال ما صنعته قال أجش هزيم يعرض بقول النجاشي في معاوية يوم صفين، الأمر الذي أغضب معاوية ودفعه إلى تعيّر عبد الرحمن بأنه ممن يتسوّر على جاراته بعد هجعه الناس، وكان عبد

---

(١) الزبيري، نسب قريش، ص ١٠٩-١١٠، البكري، سمط اللآلي، ج١، ص ٥١٢، المقريزي، النزاع والتخاصم، ص ٨٠-٨١.

(أ) أتتك العيس تنفخ في بُراها   تكشف عن مناكبها القطوع

يقول الشاعر بأن النوق العيس أتتك تنفخ في براها نهاية عن تعبها من طول السفر (تكشف عن مناكبها القطوع)، نهاية عن سعة الركاب، فتبدو من خلالها مناكب الناقة. يلمح إلى ضخامة الرجال الذين يمتطونها وشدة بأسهم

(ب) بأبيض من أمية مضرحي   كأن جبينه سيف صنيعة

إن النوق جاءته باكرم سيد من بني أمية، جبينه أبيض لامع وضاء، يشبه السيف الصقيل اللامع، وهذا التشبيه لا يخلو من تهديد خفيّ.

الرحمن يتهم بذلك على إمرأة أخيه، وبعدها خرج عبد الرحمن من عنده إلى أخيه مروان[1].

وعندما لقي عبد الرحمن أخاه مروان أخبره بما دار بينه وبين معاوية، الأمر الذي أغضب مروان، فما كان منه إلا أن ركب فرسه، وتقلد سيفه وقدم على معاوية في الشام حتى دخل عليه، ولما رآه معاوية وتبين في وجهه الغضب، قال مرحباً بأبي عبد الملك لقد زرتنا عند إشتياقنا إليك، إلا أن مروان رد عليه موضحاً غضبه على تصرفات معاوية بالقول لا والله ما زرتك لذلك، ولا قدمت عليك فالقيتك الإعاقا قاطعاً، إلا أن معاوية رد عليه موضحاً الأمر ذاكراً إن ما قام به لم يكن عن خيانة وإنما العزل جاء لثلاث لو لم يكن إلا واحدة منهن لأوجبت العزل، إحداهن أنه أمره على عبد الله بن عامر وبينهما ما بينهما فلم يستطيع أن يشتفي منه، والثانية كراهية مروان لإمره زياد، والثالثة أن إبنته رملة إستعدته على زوجها عمرو فلم يعدها، إلا أن مروان رد عليه بالقول أما ابن عامر فإني لا أنتصر منه في سلطاني، ولكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقعه، أما كراهيتي لإمره زياد فإن سائر بني أمية كرهوه وجعل الله لنا في ذلك الكره خيرا كثيراً، وأما إستعداء رملة على عمرو فوالله أنه ليأتي عليّ سنة أو أكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا، يعرّض بأن رملة تستعدي على عمرو طلباً للنكاح، وكان لهذا الكلام من مروان الأثر في غضب معاوية، إلا أن مروان إستمر بالقول هو ما قلت لك وإني لأبو عشرة وعم عشرة، وقد كاد ولدي أن يبلغوا العدة يعني أربعين ولو قد بلغوها أين تقع مني، فانخزل معاوية وأستخذى في يد مروان وخضع، وقال لك العتبي وأنا رادك إلى عملك، إلا أن مروان رفض وقال كلا وعيشك لا رأيتني عائداً وخرج[2].

كان لهذا النقاش الحاد بين مروان ومعاوية الأثر في إقناع معاوية بمدى المرارة التي كان يشعر بها مروان، نتيجة عملية الإقصاء، وإدراكه لمدى قوته، الأمر الذي دفعه إلى خشية مروان، والتفكر في أعماله قبل صنعها، وما يمكن أن تثيره من غضب لديه

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج، ج٢، ص ٣٦٥.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص ٦٥-٦٦.

- ابن أبي الحديد، شرح نهج، ج٢، ص ٣٦٥-٣٦٧.

ويؤكد ذلك أن عمرو بن سعيد بن العاص لما قدم إلى معاوية وأخبره بوصيه والده في دينه، وافق معاوية على قضاء دينه، إلا أن عمرو ذكر أن والده أوصاه أن يقضي دينه من ماله، فما كان من معاوية إلا أن أجاب أني أفعل مع أني أكره أن أخشن بصدر مروان وذويه من قريش بقضاء دين أبيك، فبعني بعض ضياعه، فباعه عمرو العرصة بألف ألف، وعندما سمع مروان بذلك قدم على معاوية وعاتبه بالقول يا أمير المؤمنين ما دون الله عز وجل يد تجزك عن هواك لنحن أهون عليك فما تريد أن تضع بهذه الحجارة فعلام تخدع نفسك وتكيدها، هلا جعلت ما أعطيت عمر صلة الحي والميت[1].

ويبدو لنا مما سبق أنه ما كان بإمكان معاوية السكوت لمروان، وهو على هذا القدر من المركز بإعتباره خليفة للمسلمين لولا إدراكه مدى قوة مروان، وما يمكن أن يمثله من خطر عليه وعلى خلافته، وخاصة أن معاوية كان على قناعة تامة بالحديث المنسوب للرسول ﷺ، والذي كان مروان كثيراً ما يذكر معاوية به بالقول أي والله إني لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وما بقى الا عشرة حتى يكون الأمر فيّ[2].

ويؤكد قناعة معاوية بذلك وخشيته من الأمر من الرواية التي تذكر أن معاوية في أحد الأيام، بعد أن هدده مروان أخبر الأحنف بن قيس بالأمر، وقال أن الحكم كان أحد من قدم مع أختي أم حبيبة لما زفت إلى رسول الله وهو يتولى نقلها إليه، جعل رسول الله يحدّ النظر إليه، فلما خرج من عنده قيل يا رسول الله لقد أحددت النظر إلى الحكم، فقال ابن المخزومية ذاك، رجل إذا بلغ بنو أمية ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر من بعدي، إلا أن الأحنف نصحه بالقول رويداً يا أمير المؤمنين لا يسمع هذا منك أحد، فإنك تضع من قدرك وقدر ولدك، وإن يقضي الله امرا يكن فقال معاوية أكتمها يا أبا بحر عليّ إذا فقد لعمرك صدقت ونصحت[3].

---

(١) الفيروزأبادي، المغانم المطابة، ص ٢٥٣-٢٥٥.

(٢) الزبيري، نسب قريش، ص ١١٠، البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص ٤٦، البياسي، الأعلام بالحروب، ج١، ص ٢٨-٢٩، المقريزي، النزاع والتخاصم، ص ٧٨، الهيتمي الجنان واللسان، ص ٦٤.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج، ج٢، ص ٣٦٧، الهيتمي، الجنان واللسان، ص ٦٤.

تفاخري بكثرتها قريظ ومثلك طالت الحجل الصقور

إن قبيلة قريظ تفاخر الشاعر بعدد رجالها وكثرتهم مع شدة ضعفهم، فحالهم هذا كحال طائر الحجل الكثير الفراخ مع ضعف هذا الطائر مع الصقر المقلّة إلا أنها قوية (في البيت تشبيه تمثيل).

ويزيد التأكيد من إقتناع معاوية بالأمر وخشيته منه من الرواية التي تذكر أن عبد الملك دخل على معاوية ومعه بنوه، فلما جلسوا على الكراسي وأخذوا مجالسهم إغتاظ معاوية ثم قال كأنك أردت مكاثرتي ببنيك يا ابن مروان، وما مثلي ومثلك إلا كما قال الشاعر:

تفاخرني بكثرتها قريظ ومثلك طالت الحجل الصقور

إلا أن عبد الملك رد عليه بالقول إنما هؤلاء ولدك ويدك وعضدك وقدعلمت إنما خفت عليهم العبث وليسوا عائدين[1].

مما سبق يظهر لنا أن معاوية بعد أن تولى الخلافة، عمد إلى مكافئة مروان وتوليته المدينة، وكان مروان من جانبه حريصاً على مصلحة معاوية وخلافته، إلا أن معاوية فيما بعد أدرك الخطر الذي من الممكن أن يمثله مروان إذا بقي على هذه الدرجة من النفوذ، لذا عمد إلى الحد من سلطته، مما كان فاتحة علاقة جديدة بين مروان ومعاوية قائمة على التنافر وعمل كل طرف ضد الأخر.

---

(١) الأبي، نثر الدر، ج٢، ص ٤٧.

٥- «ولاية مروان بن الحكم علي المدينة في خلافة معاوية»

تشير المصادر إلى أن المدينة قد أصبحت مركز الحجاز في العصر الأموي، وكان الوالي يقيم فيها، وممن ولي هذه الوظيفة في المدينة طيلة خلافة معاوية، مروان بن الحكم وسعيد بن العاص، ويرى البعض أن هدف معاوية في حصر ولاية الحجاز في الولاة الأمويين يعود إلى أنه أراد أن يظهر للناس بولايتهم إمرة البيت الأموي على سائر بيوت قريش في مكة والمدينة، سيما وقد إستقرت الخلافة في قريش، وليقر في أذهان الناس أن بني أمية معدن الملك وبيت الرئاسة، ومن جهة أخرى أراد معاوية أن يضبط بالولاة من بني أمية أمور الحجاز، ويأمن ثورته لإسترداد الخلافة، كما أراد معاوية من وراء ذلك أيضاً أن يبقى هؤلاء الشيوخ من الولاة من بني أمية في الحجاز بعيداً عن الشام الذي غدا في عهدة مركز الثقل في الحياة السياسية، رغم أنه كان لا يتنزه عن أن يغرى بينهم ليأمن مضاددتهم لأغراضه ومراميه[1].

وكان الوالي في العصر الأموي يمثل الخليفة في تنفيذ أحكام الشرع، والإشراف على سلامة سير الأمور، وإستتباب الأمن والنظام، ومنع ما من شأنه أن يهدد الأمن أو يعكر صفوة أو يحدث الإضطراب والقلق[2].

ومن خلال إطلاعنا على المصادر وجدنا أن مروان كان يقوم بكل هذه الأمور خير قيام، ويشير ابن سعد إلى أن مروان كان يستعين بعمله هذا بكبار الصحابة، وأكد ذلك بالقول كان مروان في ولايته على المدينة يجمع أصحاب رسول الله ويستشيرهم ويعمل بما يجمعون به عليه[3] حيث كثيراً ما أشير إلى مجالسه وأسئلته لزيد بن

---

(١) البطاينة، محمد ضيف الله، سياسة بني أمية في إختيار الولاة على البلدان، مجلة أبحاث اليرموك، م١، ع٢، ١٩٨٥، ص ٣١-٣٢، وسيشار إليه البطاينة، سياسة بني أمية في اختيار الولاة.

(٢) العلي، صالح أحمد، إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى، ع٢-٤، م٢١، مجلة الأبحاث تصدرها الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٨، ص ٢٢ وسيشار إليه العلي، إدارة الحجاز.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٣٩.

ثابت[1] وحكيم بن حزام[2] وأبي هريرة[3] وأبي موسى الحكمي[4].

وكانت هذه الطائفة من الصحابة بالإضافة إلى دورها في مشاورة الأمير تمثل برأي البعض القوة التي تقف في وجه الأمير، وتحول دون أن يشتط في التصرف[5] ويبدو أن هذا صحيحاً، إلا أنها لم تكن ذات تأثير على مروان، حيث كثيراً ما أشارت المصادر إلى أفعال قام بهامروان دون أن نجد أي صوت يعارضه أو يستطيع منعه، ومن ذلك ما ذكره صاحب التبين من أن مروان في أحد الأيام أمر أمير حرسه أن يهدم دور بني هاشم، ومع أن الأمير رفض، إلا أن مروان قام بعزله وتنفيذ هدفه[6].

كذلك ذكر أنه عندما حدث خلاف بين أخيه عبد الرحمن، وبين عبد الرحمن بن حسان قام مروان بضرب أخيه أربعين سوطا، وعبد الرحمن بن حسان ثمانين سوطا[7] كذلك قام مروان بتطليق امرأة من زوجها وتزوجها، ولم يعمد إلى طلاقها إلا بعد أن جاءت أوامر الخليفة بذلك[8].

وحين مات عثمان بن مظعون، وقام رسول الله بلحده، ونقل حجرا من حجارة لحده فوضعه على رجليه، وقال لأجعلنك للمتقين إماما، نجد أن مروان لم يلتزم بهذه

---

(1) الدارمي، سنن الدارمي، ج1، ص 75، الصنعاني، المصنف، ج2، ص 107، البخاري، صحيحه، ج4، ص 863، النسائي، سنن النسائي، ج2، ص 169-170.

(2) الواقدي، المغازي، ج1، ص 95، ابن كثير، السيرة النبوية، ج2، ص 408، ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص 270.

(3) الإمام مالك، الموطأ، ج1، ص 290، البسوي، المعرفة والتاريخ، ج2، ص 124، النسائي، سنن النسائي، ج3، ص 173، ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص 109.

(4) ابن الأثير، أسد الغابة، ج6، ص 308.

(5) العلي، إدارة الحجاز، ص

(6) ابن قدامه المقدسي، التبين في أنساب القرشيين، ص 261.

(7) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت 538هـ/1143م) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي، وزارة الأوقاف، بغداد، 1980، ج1، ص 501-502، وسيشار إليه الزمخشري، ربيع الأبرار.

(8) النويري، نهاية الإرب، ج20، ص.

القداسة التي كانت لعثمان بن مظعون، حيث أنه ما أن تولى المدينة حتى بادر بتنحيه الحجر عن القبر، وقال والله لا يكون علي قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به وليس على قبر عثمان بن عفان حجر مثله[1].

بل ومما يزيد التأكيد على ما ذهبنا إليه، ويدل على المرارة التي كان يشعر بها أهل المدينة من تصرفات مروان دون مقدرتهم على ردعه قول أم سنان بنت خيثمة لمعاوية، حيث قالت إن مروان تبنك بالمدينة تبنك من لا يريد البراح منها، وهو مع ذلك لا يريد أن يحكم بالعدل ولا يقضي بسنه ويتبع عثرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين[2].

هذا وتشير المصادر إلى أن مروان كان يتخذ أبا هريرة نائباً له على المدينة، وأثناء ولايته كان يتصف بالحزم والشدة، والسعي المستمر من جانبه على ضبطها، دون السماح لأحد بإحداث الشغب والإخلال بالأمن[3].

ومن الوظائف التي ذكرت المصادر أسماء من شغلها في المدينة فقط منصب القضاء، ويرى البعض أن عدم ذكر أي قاضٍ في غير المدينة في العهدين الراشدي والأموي دليل على عدم وجود هذا المنصب في غير المدينة[4] ويبدو لنا أن ذلك يعود إما

---

(١) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان الحماسة، ٢جـ، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن عسيلات، طبع جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، د. ت، ج١، ص ١٩١، وسيشار إليه أبو تمام، ديوان الحماسة، أبو هلال العسكري، الأوائل، ج١، ص ٣١٣، المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٥١، السمهودي، وفاء الوفا، ج٣، ص ٩١٤.

(٢) ابن أعثم، الفتوح، ج٣، ص ٦٤، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص ١٩٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص ٣٣٦، المقدسي، البدء والتاريخ، ج٥، ص ١١٣، أبو منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار النهضة الطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٧٠، وسيشار إليه أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب، الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠جـ، المكتبة السلفية، د.ن، د. م.، د.ت، ج٧، ص ١٩٢، وسيشار إليه الأصبهاني، حلية الأولياء، الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ج١، ص ٢٩٢، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص ٣٣.

(٤) العلي، إدارة الحجاز، ص ٢٦-٢٧.

إلى إهمال المصادر لذلك مع أنه كان موجوداً في تلك المدن وإما أن المتولي لهذا الأمر كان الوالي الذي كان يتولى إدارة تلك المدن نيابه عن والي لمدينة، وإذا أشكل شيء على هذا الوالي، فإنه كان يلجأ إلى أحد العلماء الأتقياء القاطنين في تلك المدن.

وتشير المصادر إلى أن أول قاضي في المدينة زمن مروان هو عبد الله بن الحارث بن نوفل، وكان أول قضاء له على عبد الله بن حنطب زوج فاطمة بنت الحكم أخت مروان، حيث تذكر الرواية أن مروان أرسل إليه عجلت في القضاء، فرد عليه عبد الله أمضى الله عليه قضاءه قبل قضائي عليه، فأعجب ذلك مروان من قوله وفعله[1]كذلك من ولي هذا المنصب أيضاً زمن مروان نوفل بن مساحق، حيث يذكر وكيع أن نوفل أتاه رجل من آل عبد الله بن سراقة يستعدي على مروان أو على بعض ولد مروان في حصة له في دار السوق، فأرسل إليه نوفل أن أخرج إلى الرجل عندي، فأرسل إليه مروان أن أنظر أنت في ذلك، فإن كتب له حق فأنفذ الحكم، فأرسل إليه نوفل أحضر أنت أو خصمه ليكون الحكم لك أو عليك[2] كذلك ولي هذا المنصب زمن مروان خالد بن أبي معيط[3].

ومن الوظائف الأخرى الشرطة، ولم تذكر المصادر إلا ولاتها في المدينة، ومن وليها زمن مروان مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، وقد كان يتصف بالحزم والشدة وهذا ما تؤكده المصادر، حيث قال قيس الرقيّات يتغنى به:

حال دون الحوى ودو ن سُرى الليل مصعب

وسياط على أكف الرجال تقلّب

ويذكر أن أهل المدينة قبل عمل مصعب هرجوا بقتل بعضهم بعضا، فلما وليّ مصعب شدّ بهم وجلدهم، وهدم الدور، ففزع الناس من ذلك وشكوه إلى مروان فكاد أن

---

(١) الزبيري، نسب قريش، ص ٨٦، وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م) ، أخبار القضاة، ٣جـ، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج١، ص ١١٣-١١٤، وسيشار إليه وكيع، أخبار القضاة، أبو هلال العسكري، الأوائل، ج٢، ص ١١١، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٧٠.

(٢) وكيع،أخبار القضاة، ج١، ص ١٢٦-١٢٧.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٦١٥.

يعزله، فدخل عليه المسوّر بن مخرمة، فقال له مروان الا ترى ما يشكو الناس من مصعب فقال له المسور بن مخرمة:

ليس بهذا سياق عتب يمشي القطوف وينام الركب[1]

وعلى أثر هذه الشدة التي مارسها مصعب، نجد أحد الأشخاص وهو صخر بن أبي الجهم يقوم بضربه بقضيب فكسر أنفه، الأمر الذي أحدث مشكلة كبيرة، وتفصيل ذلك أن صخرا لما ضرب مصعب هرب، فاشتملت عليه بنو عدي، وطلبه مصعب فلم يقدر عليه، وصادف قدوم معاوية في هذا الوقت إلى الحجاز، فمشت إليه بنو عدي فكلموه أن يعرض مصعب عن صخر، فكلم معاوية مصعب فأبى أشد الإباء، فقال له فاقتص منه، قال ضربني وأنا سلطان وللسلطان أن يأخذ حق السلطان بسفهة فأبى على معاوية، فقيل لبني عدي إنكم أخطأتم المطلب فعليكم بمروان فالسلطان سلطان مروان وهو صنيعته، فجاءوا مروان فكلموه فقال أبعد كلام أمير المؤمنين قالوا نعم إنما هو صنيعتك، فأتاه مروان فكلمه، فقال أي والله إنما السلطان سلطانك، وإنما أمنت حقك، وقد وهبت بممشاك حقي قبلهم، فانصرف القوم مسرورين، وبلغ معاوية فأرسل إليه إية يامصعب كلمتك فأبيت علي، فقدرت عليك، وقلت رجل يطلب حقه وشفعت مروان[2]ويشار أنه نتيجة لهذه القوة والشدة التي تميز بها مصعب عمد مروان إلى ضم القضاء له مع الشرط، وأكد ذلك وكيع بالقول وإستقضى مروان مصعب وضمّ له

---

(١) الزبيري، نسب قريش، ص ٢٦٧-٢٦٨، ابن قتيبة، المعارف، ص ١٣٩ ، الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص ٦٥-٦٦.

(أ) حال دون الحوى ودو ن سرى الليل مصعب
وسياط على أكف الرجال تقلّب

يصف الشاعر نجاح الممدوح في ضبط الأمن، حيث منع الناس من إتباع أهوائهم يفعلون ما يريدون، وكذلك قطاع الطرق الذين يتربصون للناس ليلاً، فالعقاب حازماً مانعاً حيث كانوا يجلدون بالسياط على أكفهم.

(ب) ليس بهذا سياق عتب يمشي القطوف وينام الركب

لا مجال للمعاتبة في هذا الأمر، فهذا الحزم جعل بطيء السير المسافر يسير في سفره مطمئن من قطاع الطرق، وكذلك الركب ينام مطمئناً من وقوع أي هجوم عليه.

(٢) الزبيري، نسب قريش، ص ٣٧١-٣٧٢.

الشرط مع القضاء وكان شديداً صلباً[1].

ومن الوظائف التي كانت في المدينة حرس المسجد، وكانوا كما ذكر السمهودي يمنعون الناس من الصلاة على الجنائز في المسجد[2] ويؤكد ذلك روايته عن أحد الشهود زمن مروان يذكر فيها أنه رأى حرس مروان يخرجون الناس من المسجد ويمنعونهم أن يصلوا فيه على الجنائز[3] كذلك يذكر الدارمي في سننه أن أبا سعيد جاء يوم الجمعة ومروان يخطب فقام يصلي ركعتين، فأتاه الحرس يمنعونه، فقال ما كنت أتركهما وقد رأيت رسول الله ﷺ يأمر بهما[4].

ويرى البعض أن من واجبات الحرس منع الصلاة على الجنائز في المسجد، إلا أنه برأيه أن وجود مسجد جامع واحد في المدينة، حيث توسعت المدينة إلى درجة كبيرة وكون المسجد المركز الاجتماعي والإداري والفكري لابد أن يجرّ وراءه تعقد واحتمال ظهور مشاكل فيه، لهذا يرى أن واجبات الحرس لم تقتصر على منع الصلاة على الجنائز، بل إمتدت إلى منع حدوث مشاكل وضبط الأمن[5] وهذا ما نميل إليه ونؤكده من خلال ما ذكر أنه بعد أن وزع مروان صكوك العطاء على الناس وأخذ الناس يتبايعون بها قبل استيفائها، وعرف مروان أن ذلك من سبيل الربا، بعث الحرس يتبعونها وينزعونها من أيدي الناس ويردونها إلى أهلها[6].

أما الديوان فقد ذكر في المدينة فقط، لأن العطاء مقتصر عليها، ومن وليه زمن مروان إبنه عبد الملك[7]ومن الوظائف التي كانت في المدينة ومكة وظيفة العامل على

---

(١) وكيع، أخبار القضاة، ج١، ص ١١٨-١١٩.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٥٣١.

(٣) السمهودي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٣١.

(٤) الدارمي، سنن الدارمي، ج١، ص ٣٦٤.

(٥) العلي، إدارة الحجاز، ص ٢٨.

(٦) الإمام مالك، الموطأ، ج٢، ص ٦٤١.

(٧) خليفة، تاريخه، ص ١٨٩.

السوق، وكانت مهمة هذا العامل أخذ العشور على المعاملات التجارية ومنع الغش والتدليس، وهو بذلك صورة مصغرة لوظيفة المحتسب التي ظهرت في فترة لاحقة، وفيما يتعلق بمن وليها زمن مروان، فإن المصادر لا تذكر عن ذلك.

ومن الوظائف التي ذكرت في المدينة ومكة ولاية الصوافي،والصوافي برأي البعض تشتمل بيوت تمتلكها الدولة بطريقة من الطرق، بالإضافة إلى الأراضي الزراعية[1]حيث ذكر الواقدي أنه كان في المدينة زمن معاوية صوافي كثيرة، وأن معاوية كان يجد بالمدينة وأعراضها مائة وخمسين ألف وسق تمر، ويحصد مائة ألف وسق حنطة[2] وممن ولىّ الصوافي لمعاوية في المدينة ابن مينا[3].

ومن الوظائف المالية المذكورة في المدينة جباية الخراج، ويرجح البعض أن عمالها كانوا يقومون بجباية الضرائب على المزروعات، وليس على أراضي غير المسلمين، كما هو مفهوم من الخراج في العراق ومصر[4] ولا توضح المصادر من تولاها غير أننا نجد رواية عند صاحب الإصابة يذكر عامل يسمى عامل المساعي، وربما يكون هو المقصود بذلك، وممن تولي هذا الأمر زمن مروان الحارث بن حاطب بن الحارث بن معمر القرشي الجمحي، حيث يذكر أنه إستعمله مروان على المساعي بالمدينة وعمل لإبنه عبد الملك فيما بعد على مكة[5] وأكد ذلك الزبيري بالقول وكان الحارث بن حاطب يلي المساعي في أيام مروان بن الحكم في المدينة[6].

وفي النهاية يرى البعض أنه كان يسود في الحجاز نظامان إداريان أحدهما النظام الذي يشمل الولايات التي يعيّن الخليفة إداريّها لينفذوا أوامره، والنظام الثاني يشمل القبائل المنتشرة في مختلف أنحاء الحجاز، والتي تسير طبقاً

---

(١) العلي، إدارة الحجاز، ص٣٣.

(٢) أبو العرب، المحن، ص ١٤٦.

(٣) أبو العرب، المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٤) العلي، إدارة الحجاز، ص ٣٤.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ج١، ص ٢٧٦.

(٦) الزبيري، نسب قريش، ص ٣٩٥.

لتقاليدها ونظمها، ويسيطر على كل منها رئيس أو شيخ، ويحكم طبقا للتقاليد، ويختلف مدى سلطانه بإختلاف الظروف، ولكن الخليفة لا يتصرف فيه بالعزل والتعين شأن الولاة الأخرين[1].

إلا أننا نرى أنه وإن كانت القبائل وشيوخها يتمتعون بالإستقلال، إلا أن الوالي كان يحكم سيطرته عليها عن طريق ما عرف بنظام العرافة، وقد كان هذا النظام موجوداً في الكوفة والبصرة وغيرها من الأمصار، كما أنه كان موجوداً بالمدينة، حيث ذكر أنه في إحدى جلسات مروان قال أبو سعيد الخدري فيما يتعلق بقوله تعالى «إذا جاء نصر الله والفتح» قال فيها رسول الله ﷺ بعد نزولها أنه لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونيه، فقال مروان كذبت وعنده زيد بن ثابت ورافع بن حديج، وهما قاعدان على السرير، فقال أبو سعيد لو شاء هذان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة فرفع عليه مروان سوطه ليضربه، فلما رأيا ذلك قالا صدق[2].

ويبدو لنا مما سبق أن مروان كان من الأشخاص الذين كانوا يتميزون بحسن الولاية، حيث عمد إلى ضبط الأمور في ولايته، وإختيار الرجال الأكفاء في شغل الوظائف المتوفرة في الولاية والعمل على محاسبتهم ومراقبتهم، وقد أتت هذه السياسة من مروان أكلها، حيث تشير المصادر إلى إستتباب الأمن في ولايته في وقت كانت فيه المدينة تموج بالفوضى والإضطراب والهرج والقتل، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على حنكة مروان ودرايته وحسن معرفته بالأمور الإدارية.

ب- «مروان والعلويون بالمدينة»

تشير المصادر إلى نشاط ملحوظ لمروان أثناء ولايته على المدينة ضد العلويين، بحيث يذكر البعض أنه كان يسب سيدنا علي على المنبر كل جمعة[3] الأمر الذي كان

---

(١) العلي، إدارة الحجاز، ص ٣٦.

(٢) الواقدي، المغازي، ج٢، ص ٥٦٤، ابن عبد البر، الإستيعاب، ج١، ص ٣١٩-٣٢٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص ٨-٩.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٨٧، الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص ١٣٩، الهتيمي، الجنان واللسان، ص ٦٣، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٧٧.

يدفع الناس في المدينة إلى ترك سماع الخطبة لما فيها من لا يستحق السب، لهذا عمد مروان كما يشير البعض إلى تقديم الخطبة علي الصلاة[1].

ويذهب البعض إلى أن مروان لم يكتف بذلك، بل كثيراً ما كان يرسل أحد الأشخاص إلى الحسن ويسمعه الكلام السيء[2] وكثيراً أيضاً ما كان يقول لهم أنكم أهل بيت ملعونون[3]ويضيف صاحب التبين أن مروان في أحد الأيام أمر أمير حرسه أن يهدم دور بني هاشم وما كان في حيزهم، إلا أن الأمير رفض ذلك، وقال أنه لا ذنب لهولاء ولست أفعل ذلك، الأمر الذي دفع مروان إلى عزله[4].

ويبدو أن الأمر فيه مبالغة، وأنه ما هدف من ذلك إلا الطعن في مروان ومعتقدة، لهذا نميل إلى ما ذهب إليه الهيتمي الذي إعتبر ذلك غير صحيح، وأن كل ما ذكر في سنده عله، لهذا روي له البخاري وغيره، ولم يخرجه المحدثون، بل ويؤكد الهيتمي أيضاً أنه لو صح عنه شيء من ذلك لنقله الحفاظ وتكلموا عليه[5].

إلا أن المشهور والمؤكد عن مروان أنه عندما عمد الحسن قبل وفاته في أخذ الإذن من أم المؤمنين عائشة أن يدفن إلى جانب رسول الله ﷺ، وقف منه هو وبنو أمية موقف المانع، حيث لبسوا السلاح وقالوا لا يدفن مع رسول الله أبداً، الأمر الذي دفع الحسن إلى التخلي عن طلبة، طالباً من أهله أن يدفنوه إلى جانب أمه فاطمة[6].

ويبدو أن الحسين في محاولة منه لتنفيذ رغبة أخيه، عمد إلى العمل على دفنه إلى جانب رسول الله ﷺ بعد وفاته، معتمداً على ما توفر له من تأييد من أهل المدينة،

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٦٠-٢٦١، السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٧٩٠.

(٢) الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص ١٣٩، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٧٧.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٧٨.

(٤) ابن قدامة المقدسي، التبين في أنساب القرشيين، ص ٢٦١.

(٥) الهيتمي، الجنان واللسان، ص ٢٦.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٦٠-٦٢، الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢٧.

وبالمقابل فإن مروان ومن حوله من بني أمية أصرّوا هم أيضاً على منع ذلك [1] وتذكر المصادر أن الأمور لم تهدأ إلا حين تدخل أبو هريرة الذي عمد إلى تهدئة الحسين قائلاً له أليس أخوك قد قال إذا خفت أن تكون فتنة فادفني في مقبرة المسلمين مع أمي فاطمة[2] وبالمقابل ذهب إلى مروان معاتباً له ومذكراً إياه بحديث رسول الله ﷺ إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، إلا أن مروان رد عليه مستهزئاً لقد ضيّع الله حديث نبيه إذا لم يروه غيرك[3].

ويضيف البعض أن الأمور لم تهدأ إلا حين خرجت أم المؤمنين عائشة وأعلمت الناس أنها غير راغبة في دفن الحسن في بيتها[4] رغم أن هناك من يرى أن خروجها لم يكن هدفه حلّ المشاكل بقدر ما كانت غير راغبة أصلاً في دفنه مؤكدين ذلك أنها ركبت بغلتها وإستنفرت بني أمية، ومروان بن الحكم ومن كان هناك منهم وقالت بيتي لا أذن فيه لأحد[5] إلا أن هذا الأمر ليس صحيحاً لأن أم المؤمنين عائشة كانت على قدر عظيم من العلم والدين باعتبارها زوجة سيّد المرسلين، ويبدو أنه هدف من ذلك الطعن في أم المؤمنين عائشة وخاصة من قبل الشعية لموقفها من خلافة سيدنا عليّ.

ويبدو أن هذا الموقف من مروان وبني أمية من عملية دفن الحسن، يعود إلى الحزن الذي كان يساور مروان وبني أمية نتيجة ما فعل بعثمان ودفنه في البقيع دون صاحبيه اللذين دفنا إلى جنب رسول الله ﷺ.

---

(١) ابن عبد البر، الإستيعاب، ج١، ص ٣٩٢، ابن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص ١٩٢، النويري، نهاية الإرب، ج٢٠، ص ٣٢٢.

(٢) ابن عبد البر، الإستيعاب، ج١، ص ٣٩٢، النويري، نهاية الإرب، ج٢٠، ص ٣٤٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٦٠، ابن عبد البر، الإستيعاب، ج١، ص ٣٩٢، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص ٢٦٤.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٦٠، البياسي، الاعلام بالحروب، ج١، ص ٢٢٧.

(٥) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م) مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق أحمد صقر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص ٧٥، ابن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص ١٩٢.

جـ- «مروان وتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية»

تشير المصادر إلى أن مروان كان حازماً في هذه المسائل حزما شديدا، حيث ذكر أن عبد سرق وديا من حائط رجل فجاء به فغرسه في حائط أهله، فأراد مروان أن يقطع يده[1]كذلك روي أن مروان أتى بإنسان قد إختلس متاعاً وأراد قطع يده لولا شهادة زيد بن ثابت أنه ليس في الخلسة قطع[2].

وحين إستعدت أروى بنت قيس مروان على سعيد بن زيد وقالت سرق من أرضي فأدخله في أرضه، ورغم أن سعيد حلف بعدم صحة ذلك، إلا أن مروان حكم لها فيما أدعت به[3] وكذلك حين إستعدى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وكيل أرض معاوية إلى مروان وقال أنه أخذ أرضي فضمها إلى أرض معاوية، طلب منهما مروان أن يصطلحا وكره أن يجزم القضاء على معاوية [4].

كذلك حين إختصم زيد بن ثابت وابن مطيع في دار كانت بينهما إلى مروان بن الحكم قضى مروان على زيد بن ثابت باليمين على المنبر، فأخذ زيد بن ثابت يحلف أن حقه لحق ويأبى أن يحلف على المنبر[5] وهؤلاء بنو صهيب مولى ابن جدعان إدّعوا بيتين وحجره، وأن رسول الله ﷺ أعطى ذلك صهيباً، فقال مروان من يشهد لكما على ذلك، فقالا ابن عمر، فدعاه فشهد أن رسول الله ﷺ أعطى صهيباً بيتين وحجره فقضى مروان بشهادته لهم[6]ومما يدل على حرص مروان في إرجاع الحقوق إلى أصحابها أنه قام

---

(١) الإمام مالك، الموطأ ج٢، ص ٨٣٩، الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير (ت ٢١٩هـ/٨٢٤م) المسند، ٢مج، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج١، ص ١٩٩، وسيشار إليه الحميدي، المسند.

(٢) الإمام مالك، الموطأ، ج٢، ص ٨٤٠.

(٣) ابن عبد البر، الإستيعاب، ج٢، ص٦١٨-٦١٩.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ١٣٢.

(٥) الإمام مالك، الموطأ، ج٢، ص ٧٢٨، البخاري، صحيحه، ج٣، ص ٥١٩.

(٦) البخاري، صحيحه، ج٣، ص ٤٧٩.

بإصدار قراراً يقضي بأن أيما رجل سرقت منه سرقة فهو أحق بها حيثما وجدها[1].

ولم يقتصر حزم مروان في قضايا الإعتداء على الحقوق والممتلكات، وإنما تعدّاها إلى الإعتداء على الغير بالشتم والضرب وقطع أحد الأعضاء، ومن ذلك أنه روى أن عبد الرحمن بن الحكم لطم مولى لأهل المدينة يدعى حناطا، فاستعدى الحناط عليه مروان، فقيل أن مروان أجلس أخاه عبد الرحمن بين يديه، وطلب من الحناط لطمه، إلا أن الحناط رفض لطمه بقوله والله ما أردت هذا، وإنما أردت أن أعلمه أن فوقه سلطاناً ينصرني عليه وقد وهبته لك أيها الأمير[2] كذلك روي أن خلافاً وشتما حدثا بين عبد الرحمن بن حسان، وعبد الرحمن بن الحكم، فقام مروان بتأديبهما حيث ضرب عبد الرحمن بن حسان بثمانين سوطاً، وعبد الرحمن أخاه أربعين سوطاً وعندما شكا عبد الرحمن بن حسان، الأمر إلي معاوية، أوصى إلى مروان أن يضرب أخاه كما ضرب عبد الرحمن بن حسان[3].

كذلك حين أتى سيّد بعبد له قد جرحه بعض الأشخاص حكم مروان له أن يدفع الضارب ثمن ما نقص من قيمه العبد نتيجة تلك الجراح[4] وحين إقتتل محمد بن أبي الجهم وأبو يسار بن عبد الرحمن، قام محمد فصرعه ووطيء بطنه، وحين ذهبا إلى مروان، عمد مروان إلي سجنه ثم تسليمه إلى أهل أبو اليسار، فوطئوا بطنه كما فعل بإبنهم[5].

---

(١) الصنعاني، المصنف، ج١٠، ص ٢٠١، النسائي، سنن النسائي، ج٧، ص ٣١٣، ابن الاثير، أسد الغابة، ج١، ص ١١٣.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٢٦٧-٢٦٨.

(٣) ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج٢، ص ١٤١، المبرد، الكامل في اللغة، ج١، ص ٢١٧، الأبي، نثر الدر، ج٢، ص ١٩٠-١٩١، الزمخشري، ربيع الأبرار، ج١، ص ٥٠٣-٥٠٤.

(٤) الإمام مالك، الموطأ، ج٢، ص ٨٦٣.

(٥) ابن حبيب، المنمق، ص ٣١٩.

كذلك ذكر الصنعاني أنه حين ضرب أحد الأشخاص بالسيف فقطع يده، قام مروان بحبسه[1] مما سبق نلاحظ أن موقف مروان من الإعتداء على الغير بالشتم والضرب كان شديداً، إلا أن هذه الشدة لا تقارن بما كان يحكم فيه مروان في حالات القتل، حيث أشارت المصادر إلى مدى شدة مروان في هذه القضايا، فحين أدعى عطاء بن يعقوب مولي سباع أن ابن بلسانه وصاحبيه قتلوا أخاه ربيعة، قام مروان بعد أن حلّف إبنيَ يعقوب محمد وعطاء على منبر رسول الله خمسين يمين مردوده عليهم، بدفع ابن بلسانه وصاحبيه إليهم فقتلوهم[2].

كما أنه حين قتل عبدان شخص يسمى فيروز قام مروان بقتلهما[3] وفعل مروان نفس الشيء بهدبه بن الخشرم الذي قتل رجلاً قام مروان بحده بالقتل أيضاً[4] وحين قام القتال الكلابي وهو عبادة بن مجيب الحضرمي بقتل جاريه لعمه وهرب، أصدر مروان أمراً يقضي بأن من يدله على القتّال فهو حرّ[5] وفعلاً يشير البكري أن مروان قبض على القتال وحدّه لفعله[6].

ومما يدل على شدة مروان في هذه القضايا، أنه أتى بمجنون قتل رجلاً فأراد قتله لولا معاوية الذي ذكر أنه لا حدّ في مجنون[7] وحين أصاب حجر عائر ابن نسطاس ولم يتمكن مروان من معرفة الفاعل، ضرب ديته على الناس وكان لهذه الشدة من

---

(١) الصنعاني، المصنف، ج١٠، ص ١٦١-١٦٢.

(٢) الصنعاني، المصدر نفسه، ج١٠، ص ٣٣.

(٣) الصنعاني، المصدر نفسه، ج١٠، ص ١٢٥-١٢٦.

(٤) الأبهيشي، شهاب الدين أحمد الأبهيشي (ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م) المستطرف في كل فن مستظرف، ٢ ج في مج١، د.ن، د. ح. د.ت، ج١، ص ٢٤١-٢٤٢، وسيشار إليه الأبهيشي، المستطرف.

(٥) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦-٢٩.

(٦) البكري، سمط اللآلىء، ج١، ص ١٣.

(٧) الإمام مالك، الموطأ، ج٢، ص ٨٥١.

مروان أن السعد الذين قتلوا سعيداً في حائط له، بادروا إلى قتل أنفسهم عندما حاول مروان القبض عليهم[1].

بل نتيجة الخوف من مروان بادر مالك بن الريب بعد أعماله المشينة في قطع الطريق، بالهرب إلى بلاد فارس، بعد أن عمل مروان كل الحيل للإمساك به[2] ويبدو لنا مما سبق أن مروان كان شديداً، إتجاه كل المحاولات التي يقوم بها الناس في الإعتداء على الغير، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى صلاح مروان، وحرصه على تطبيق أحكام الشرع الإسلامي على المخالفين حتى يشعر الناس بالأمن والطمأنينة.

كذلك أولى مروان الحياة العائلية إهتماماً كبيراً وساسها بسياسة الشرع، فتشير المصادر إلى إهتمام مروان في هذه القضايا وتحرية الحزم في أمرها، فذكر أنه حين إستعدى رجل زوجته إلى مروان، قام مروان بإحضارها، فذكرت أنه ملّكها أمرها وقد قامت بتطليقه، في حين ذكر الرجل أنه ما ملكها إلا واحدة، وبعد ذلك قضى مروان برجوعها إليه[3].

وحين جاءه رجل وذكر أنه قد تزوج إمرأة وأنه عندما كشفها وجدها خضراء فعافها وقام بتطليقها، قضى مروان عليه بنصف الصداق، إلا أن الرجل ذكر أنى لم أكشفها، وحين إستشار مروان زيد بن ثابت بالأمر، عاود مروان الحكم وقضى عليه بالصداق كاملاً[4] كذلك ذكر أن رجلاً كان قد أقسم على زوجته أن نزلت عن السرير فهي طالقه، وعندما وثبت جاء زوجها إلى مروان يسأله الحكم، فسأله مروان بالقول حين قلت ذلك أردت البتة أم لا فقال الرجل لقد وقع في نفسي البتة، فقال مروان هي البتة وفرّق بينهما[5].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص ٦١٧.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص ٣٠٥-٣١٩.

(٣) الإمام مالك، الموطأ، ج٢، ص ٥٥٤.

(٤) الصنعاني، المصنف، ج٦، ص ٢٨٦.

(٥) الصنعاني، المصدر نفسه، ج٦، ص ٣٦١.

وقضى مروان في الذي يطلّق إمرأته البتة أنها ثلاث طلقات[1] وفي الرجل إذا آل من إمرأته أنها مضت الأربعة أشهر فهي تطليقه وله عليها حق الرجعة ما دامت في عدّتها[2] كما أوقف مروان رجلاً آل من إمرأته بعد ستة أشهر[3] كما أصدر مروان أمراً أن العبد يتزوج الحرّة فتلد له وهو عبد ثم يعتق أن ولدها لأهل أبيهم[4] وحين طلّق عبد الله بن عمرو بن عثمان إبنه سعيد بن زيد وإنتقلت من بيته، أرسل مروان إليها يطلب منها أن ترجع إلى بيت زوجها عبد الله بن عمرو حتي تنقضي عدّتها[5] وحدث نفس الشيء حين طلّق سعيد بن العاص بنت عبد الرحمن بن الحكم وإنتقلت من بيتها، أرسلت عائشة إلى مروان وقالت له إتق اللّه وأردد المرأة إلى بيتها[6].

ويظهر حرص مروان كذلك في مجال الحفاظ على حريات الناس وأعراضهم، حيث تشير المصادر إلى حزم مروان في هذه القضايا، فذكر أن جميلاً لما أحبّ بثينة، وأخذ يقول بها الشعر ويأتيها سراً، إنتشر خبرة بين الناس، فما كان من قومها إلا إستعداء مروان عليه، الذي يذكر أنه عندما سمع ذلك أنذر بقطع لسان جميل، فما كان من جميل بعد أن سمع بتهديد مروان إلا الهرب واللحاق بقبيلة جذام[7].

ونفس الشيء فعل مروان مع قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى، حيث ذكر أن قيس لما شبب بليلى وشهرّ بحبّها، إجتمع أهلها ومنعوه من محادثتها وزيارتها إلا أن قيس كما تذكر الرواية لم يرتدع، حيث يذكر أنه كان يترقب غفلات الحي في الليل ويأتي ليلى، ولما كثر ذلك منه خرج أبو ليلى ومعه نفر من قومه إلى مروان بن الحكم

---

(١) الإمام مالك، الموطأ، ج٢، ص ٥٥١.

(٢) الصنعاني، المصنف، ج٦، ص ٤٥٩.

(٣) الصنعاني، المصدر نفسه، ج٦، ص ٤٣.

(٤) النسائي، سنن النسائي، ج٦، ص ٢١٠-٢١١.

(٥) الإمام مالك، الموطأ، ج٢، ص ٥٧٩، النسائي، سنن النسائي، ج٦، ص ٢١٠-٢١١.

(٦) أبو داود، سنن أبي داود، ج٢، ص ٢٨٩، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص ٤٧١.

(٧) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، الشعر والشعراء، ٢جـ، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت د. ت، ج١، ص ٣٤٧، وسيشار إليه ابن قتيبة، الشعروالشعراء.

وشكوا ما نالهم من قيس، وسألوه الكتابة إلى عامله عليهم بمنعه من كلام ليلى، وتشير الرواية إلى أن مروان إستجاب لطلبهم وكتب إلى عامله عليهم يأمره أن يحضر قيساً ويتقدم إليه في ترك زيارة ليلى، وينذر أنه إن أصابه أهلها عندهم فقد أهدر دمه، وفعلاً تشير الرواية إلى أن عامل مروان عندما وصل كتاب أميرة إليه أرسل وراء قيس وأبيه وأهل بيته، وقرأ عليهم كتاب مروان، ونتيجة لحزم مروان في هذه القضية، وحرمان قيس من ليلى، أصاب قيس الجنون والتيه[1].

كذلك يذكر أن الفرزدق لما أخذ يشرب بالمدينة، ويدخل إلى القيان، ويقول الخنى في شعره، نجد أن مروان لا يتواني في أمره، حيث بادر إلى تهديده، وعندما لم يكف الفرزدق عن ذلك أمره مروان بالرحيل، بعد أن أمهله ثلاثة أيام لتنفيذ ذلك[2] كذلك يذكر لمروان أنه حدّ عبد الرحمن أخاه بعد إفترائه على الأنصار وإساءته إليهم[3].

وحدّ محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر لشربهم الخمر وإساءتهم الأدب[4] وحين أخذ بنو عقيل يتكلمون في ثوبه أخي ليلة الأخيلية، نجد أن مروان يقف بحزم تجاه هذه القضية، حيث بعث لهم كتاباً يقول فيه والله لئن بلغني عنكم أمراً أكرهه من أجل ثوبه لأصلبنكم على جذوع النخل، فإياكم ودعوة الجاهلية والتشبه بأهلها فإن الله قد جاء بالإسلام وهدم ذلك كله، وإن ثوبه قتل وكان للّه عدوّا عادياً لا يأمن جاره بوائقه، فالحمد لله الذي كفى المسلمين شرّه[5].

---

(١) التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٧جـ، تحقيق عبوّد الشالجي، د. ن، د. م، ١٩٧١، ج٥، ص ١٠٨-١٠٩ وأيضاً ٢٨٨-٢٨٩، وسيشار إليه التنوخي، نشوار المحاضرة، التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، الفرج بعد الشدة، ٥جـ، تحقيق عبّود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨، ج٤، ص ٢٨٩-٢٩٠، وسيشار إليه التنوخي، الفرج بعد الشدة.

(٢) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص ٤٤، الأصفهاني، الأغاني، ج٢٣، ص ٥٤٧، ٥٤٨.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص ٣٩٧.

(٤) ابن حبيب، المصدر نفسه، ص ٣٩٧.

(٥) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ٥٠١-٥٠٣.

وحين قامت أم جعدبة بإساءة الأدب بالمشي بين جال الجمال المعلم، وزوجة مروان التي كانت تحبّ العلم، نجد أن مروان يقف موقف الحازم حيث جعلها في مكتل وربط عليها ثم جلدها وهي فيه، فكانت أول إمرأة جلدت في مكتل[1].

د- «إنجازات مروان العمرانية»

يذكر السمهودي أن مروان كان أول من أقام المنبر في مسجد رسول الله ﷺ حيث قال أنه كان النبي يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس، والناس جلوس على صفوفهم فيوصيهم ويأمرهم، ثم ينصرف فقال أبو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في فطر أو أضحى فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت[2] وهذا ما يرجحه ابن حجر بقوله أنه لم يكن في المصلى في زمان النبيّ منبر إلى أن إتخذ لمروان[3] في حين يذكر أبو هلال العسكري أن ما قام به مروان هو الزيادة في عدد الدرجات وذلك أنه عندما كتب معاوية إلى مروان أيام خلافته أن يبعث بمنبر رسول الله فقطعه مروان، فأصابهم ريح وظلمه وبدت فيها النجوم، فتركه مروان وزاد فيه ست درجات فصار تسع درجات، وما زاد فيه أحد قبل مروان ولا بعده[4].

وهذا ما نميل إليه إذ أن المنبر معروف ومقام في زمن النبيّ، ويؤكد ذلك أن أول إعتراض للصحابة والناس على عثمان هو جلوسه على الدرجة التي كان يجلس عليها رسول الله وعدم الأخذ بسنة صاحبيه أبي بكر وعمر في النزول عن ذلك الدرجة والدرجتين، وعلى هذا الأساس نميل إلى أن ما قام به مروان هو الزيادة في عدد الدرجات.

---

(١) أبو هلال العسكري، الأوائل، ج٢، ص ١٨١.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج٢، ص ٧٨٧.

(٣) السمهودي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٨٨.

(٤) أبو هلال العسكري، الأوائل، ج١، ص ٢٢٦.
- السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٣٩٩-٤٠٠.

كما يذكر لمروان أنه قام ببناء المقصورة في مسجد رسول الله، حيث يذكر أنه أول من أقامها قبل معاوية، وذلك يعود إلى أن مروان كان قد بعث ساعياً إلى تهامة فظلم رجلاً يقال له دب، فجاء دب إلى مروان فقام في المسجد حيث يريد أن يقوم مروان، حتى إذا أراد أن يكبّر ضرب مروان بسكين فلم يصنع شيئاً فأخذه مروان وقال له ما حملك على ما صنعت قال بعثت عاملاً فأخذ لي بقرة وتركني وعيالي لا نجد شيئاً، فقلت إذهب إلى الذي بعثه فاقتله، فهو أصل هذا فجاء ما تري، فحبسه مروان حينا في السجن ثم أمر به فاغتيل سراً[1].

وعلى أثر ذلك قام مروان ببناء المقصورة من الطين[2] وقيل عملها من الحجارة المنقوشة وجعل عليها تشبيكاً وجعل لها كوى[3] بالاضافة إلى هذا الإنجاز في مسجد رسول الله قام مروان بالتبليط حوله، حيث ذكر ابن شبه أن أهل العلم يتفقون على أن الذي بلّط حول مسجد رسول الله ﷺ بالحجارة معاوية بن أبى سفيان أمر بذلك مروان بن الحكم وولّي عمله عبد الملك بن مروان[4].

كذلك قام مروان ببناء قصر خلّ ليكون حصناً لأهل المدينة بظاهر الحرة على طريق رومة، حيث روى ابن شبه أن معاوية أمر مروان وهو على المدينة ببناء قصر ليكون حصناً لأهل المدينة، وقد ولّي مروان أمر ذلك للنعمان بن بشر، وقد سمى قصر خلّ لأنه على طريق وكل طريق في حرة أو رمل يقال له خلّ[5].

ومن إنجازات مروان في المدينة أيضاً العين المعروفة بعين الأزرق، وهي عين أجراها مروان لما كان والياً لمعاوية على المدينة، وكان أزرق العينين فأضيفت العين إليه، وأصلها من بئر معروفة بقباء غربي المسجد في حديقة نخل وهي بئر واسعة

---

(١) أبو هلال العسكري، الأوائل، ج١، ص ٢٤٨-٢٤٩، ابن خلدون، تاريخه، ج١، ص ٢٨٣، ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص ١٢٥، السكتواري، محاضرة الأوائل، ص ٩٧.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٥١٢.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٥، أبو هلال العسكري، الأوائل، ج١، ص ٢٤٩.

(٤) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٧٣٦.

(٥) السمهودي، المصدر نفسه، ج٤، ص ١٢٨٩.

الأرجاء محكمة البناء متقنة الأطواء متوسطة الرشاء عذبة الماء، ويظهر منها هذا الماء الكثير ويجري في أفناء تحت الأرض إلي المصلي، وهناك تنقسم نصفين، وعلى المقسم فيّه كبيرة مقسومة نصفين تجري الماء منها في وجهين مدرجين وجه قبلي ووجه شمالي، وتخرج العين من القبة من جهة المشرق، ثم تأخذ إلى جهة الشمال[1].

أما فيما يتعلق بإنجازاته في مكة، فيروي أن مروان قام بتجديد الحرم، ويؤكد ذلك الرواية التي تذكر أن بعض معالم الحرم قد درس في عهد معاوية، فكتب إلى مروان وهوعامله على المدينة يأمره إذا كان كرز بن علقمة الخزاعي حيا، إن يكلفه إقامة معالم الحرم لمعرفته بها، وكان معمراً فأقامهم عليها[2] وذلك لأن والي المدينة إعتاد أن يجدّد أنصاب الحرم في كل سنة[3].

هـ- «الإنجازات الإقتصادية»

يذكر لمروان في المجال الإقتصادي أنه أول من جمع الصيعان فأخذ بأعدلها فنسب إليه الصاع فقيل صاع مروان[4] ويعلق ابن سعد على الأمر فيذكر أنه ليس صاع مروان وإنماهوصاع رسول الله ﷺ، ولكن مروان عاير بينها حتى أقام الكيل على أعدلها[5] كذلك يذكر أن مروان عدّل في مقياس المدّ، وأكد ذلك الصنعاني بالقول أن مدّ النبيّ ثلث المدّ الذي جعله مروان بن الحكم، ومن المعلوم أن المدّ الذي كان يعطى به الزكاة ويؤكل به وتؤخذ الصدقات به على عهد رسول الله ﷺ رطل ونصف[6] أي أن مروان زاد في مقدار المدّ في زمنه.

---

(١) الفيروزأبادي، المغانم المطابة، ص ٢٩٥-٢٩٦، السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص ٩٨٥.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٦٣١، ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص ٢٩١-٢٩٢.

(٣) الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ٢جـ، حققه وعلق حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ن، ج١، ص ٦٦ وسيشار إليه الفاسي، شفاء الغرام.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٦١.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٣٩.

(٦) الصنعاني، المصنف، ج٢، ص ٣١١.

ومن شدة حرص مروان علي الإقتصاد، يذكر له أن رجلاً أخذ يقطع الدراهم فقطع مروان يده، وعندما بلغ زيد بن ثابت فعل مروان قال لقد عاقبه[1].

و - «مروان والعطاء بالمدينة»

كانت الموارد المالية الرئيسية للمدينة هي العشور والصدقات، دون باقي الولايات الإسلامية الأخري، التي كان لها موارد أخري من غنائم الحرب والجزية والخراج، ولا تشير المصادر إلى كمية العشور التي كانت تجبى من ولاية المدينة ولا شك أنها قليلة، إذا ما قورنت بالصدقات، حيث تشير المصادر بعض الإشارات إلى كميتها، ويتضح لنا أنها كانت كبيرة، حيث يذكر أن سعد بن أبي وقاص كان قد أرسل إلى مروان زكاة ماله خمسة الآف درهم[2].

إلا أنها مهما كانت كبيرة لا شك أنها تبقي عاجزة عن سد إحتياجات الولاية سواء في عطاء الجند الذين كانوا يشاركون في فتوح الولايات الإسلامية الأخرى[3] أو في نفقات الموظفين من القضاة والفقهاء والقراء والأئمة وأمثالهم، وإقامت القنوات وبناء الجوامع وغيرها من المنشآت العامة[4].

ومما يدل على عجز ولاية المدينة عن دفع تكاليف ذلك أن زيد بن ثابت كتب إلى معاوية يستعطفه لأهل المدينة، ويشكو إليه إنقطاع أعطياتهم والميرة عنهم، فقال فيه وقد عرفوا أنه ليس عند مروان مال يجادونه عليه، أي ليس عنده مال يسألونه عليه[5] الأمر الذي كان يدفع معاوية في كثير من الأحيان إلى إعطائهم جزء من مال الخراج[6].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ج٣، ص ٥٧٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٣٢٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص ١٢٣.

(٣) يشير خليفة أن معاوية كتب إلى مروان وهو عامله على المدينة أن إبعث عبد الملك بن مروان على بعث المدينة إلى بلاد المغرب، فقدم عبد الملك بن مروان مع معاوية بن حديج أفريقية، خليفة، تاريخه، ص ٢١٠-٢١١.

(٤) بطاينة، محمد ضيف الله، في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الحياة الاقتصادية في صدر الإسلام، ٢جـ، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٧، ج٢،ص ١٣٢ ، وسيشار إليه البطاينة، الحياة الاقتصادية في صدر الإسلام.

(٥) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١، ص ٢٤٩ .

(٦) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ٣٩٠.

أما عن طريق إعطاء العطاء في المدينة، فتذكر بعض الروايات أنه كان يعطي الناس في البداية صكوكاً ثم يقومون باستيفاء ما فيها من بيت مال المدينة، ويؤكد ذلك الرواية التي تذكر أن صكوكا خرجت للناس في زمان مروان، فتبايع الناس تلك الصكوك بينهم قبل أن يستوفوها، فدخل زيد بن ثابت ورجل من أصحاب رسول الله ﷺ على مروان فقالا أتحلّ بيّع الربا يا مروان، فرد عليهم أعوذ بالله وما ذاك، فقالا هذه الصكوك تبايعها الناس ثم باعوها قبل أن يستوفوها، فبعث مروان الحرس يتبعونها وينزعونها من أيدي الناس ويردّونها إلى أهلها[1].

وأكد هذا الخبر ابن الأثير الذي ذكر أن أبا هريرة قال لمروان أحللت بيع الصكوك، ويوضح ابن الأثير ذلك بالقول إن الأمراء كانوا يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتبا فيبعون ما فيها قبل أن يقبضونها تعجلاً، ويعطون المشتري الصك ليمض ويقبضه هو، فنهوا عن ذلك لأنه بيع مالم يقبض[2].

ويذكر أن مروان لم يكن مخلصاً في عمله، وأنه كان يتلاعب في العطاء، وأكدت ذلك الرواية التي جاءت على لسان أم المؤمنين عائشة التي ذكرت يوماً أنها قالت رحم الله ابن الخطاب خيرني فيما صنع خيرني في الأرض والماء، وفي الطعمة، فاخترت الأرض والماء فهن في يديّ، وأهل الطعم مرة ينقصهم مروان ومرّة لا يعطيهم شيئاً ومرة يعطيهم[3] ويبدو للباحث أن ما ذكره الواقدي هو محاولة للتشكيك في الولاة الأمويين في عهد معاوية ومن ضمنهم مروان، وإظهار زيفهم عن الحق، رغم أن البعض أشار إلى فقر ولاية المدينة لتغطية حاجاتها من العطاء، الأمر الذي كان يدفع واليها إلى طلب المعونة من الخليفة في الشام وعلى هذا الاساس فإنه وإن كان البعض لا يحصل على عطائه فإنه يعود إلى قلة المال الذي كانت تعانيه ولاية المدينة، دون أن يكون مجرد تلاعب من مروان.

---

(١) الإمام مالك، الموطأ، ج٢، ص ٦٤١.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص ٤٣.

(٣) الواقدي، المغازي، ج٢، ص ٧٢٠.

٦-أ «مروان وخلافة يزيد»

تشير المصادر إلى أن الخليفة يزيد بعد أن تولى الخلافة، كان أكبر همّ عنده هو الحصول على بيعة أولئك النفر الذين أبوا على معاوية بيعته لذا كتب إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة، يطلب منه أن يأخذ له البيعة من الحسين وابن الزبير وابن عمر[١].

وعندما وصل الأمر إلى الوليد، أصابه الغم، حتى يذكر خليفة بن خياط أنه أخذ يقوم على رجليه ويرمي بنفسه على فراشه[٢] وبعدها أرسل إلى مروان للأخذ برأيه على الرغم من العلاقة السيئة بينهما، والتي تعود إلى أن الوليد قدم المدينة ومروان كارهاً لذلك، حتى أخذ يشتم مروان عند جلسائه[٣].

وبعد قدوم مروان أقرأه الوليد كتاب يزيد، وإستشاره في الأمر، وقال له كيف ترى أن نصنع، فأشار عليه مروان أن يبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فيدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة، فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم، وإن أبوا قدّمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنهم إن علموا بموته وثب كل إمريء منهم في جانب وأظهر الخلاف والمنابذة ودعا إلى نفسه[٤].

---

(١) خليفة، تاريخه، ص ٢٣٢، الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢٧، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٣٣٨، البيهقي، المحاسن والمساويء، ص ٥٧، ابن العربي، العواصم من القواصم، ص ١٢٨، ابن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص ٢٠٠.

(٢) خليفة، تاريخه، ص ٢٣٢.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٢٧، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٣٣٨، البيهقي، المحاسن والمساويء، ص ٥٨، المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص ٨، ابن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص ٢٠٠-٢٠١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٥٠، ابن خلدون، تاريخه، ج٣، ص ٢٤، ابن حجر، الإصابة، ج٤، ص ١٧٥.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٣٣٩، البيهقي، المحاسن والمساوي، ص ٥٨، المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص ٩، ابن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص ٢٠١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٥٠.

ويظهر لنا من إشارة مروان أنه كان مؤيدا يزيد ومناصر خلافته، وهذا يعود برأي البعض إلي رغبة مروان أن يبقى الأمر ليزيد بوصفه أمويا، وبذلك يبقى الحكم فيهم، وهذا يتيح له ولآله الوصول إلى السلطة[1].

وبعد إشارة مروان عمد الوليد إلى ارسال عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو إذ ذاك غلام حدث يدعوهما، إلا أنه لم يقدم إلا الحسين، الذي بادر الوليد إلى إقرائه الكتاب ونعى معاوية له، ودعاه إلى البيعة، إلا أن الحسين رفض وقال إن ما سألتني من البيعة، فإن مثلي لا يعطي بيعته سراً، ولا أراك تجتزيء بها مني سراً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية، فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة، ودعوتنا مع الناس كان أمراً واحداً[2].

إلا أن مروان نصح الوليد أن يأخذ البيعة منه قبل الخروج، وقال والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً، حتى تكثر القتلي بينكم وبينه إحبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه[3] وفي قول أخر له إضرب عنقه فإنه صاحب فتنة وشر[4] إلا أن الحسين رد في غضب بالقول يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو، كذبت والله وأثمت[5] وفي رواية أخرى أنه قام كل واحد منهم إلى صاحبه فتناصبا فقام الوليد فحجز بينهما[6] .

---

(١) عيسى، رياض، النزاع بين أفراد البيت الأموي ودوره في سقوط الخلافة الأموية، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٥، ص ٦٧، وسيشار إليه عيسى، النزاع بين أفراد البيت الأموي.

(٢) خليفة، تاريخه، ص ٢٢٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٣٣٩، البيهقي، المحاسن والمساويء، ص ٥٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٥٠، ابن خلدون، تاريخه، ج٣، ص ٢٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٣٣٩-٣٤٠، البيهقي، المحاسن والمساويء، ص ٥٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٥٠، ابن خلدون، تاريخه، ج٣، ص ٢٤.

(٤) خليفة، تاريخه، ص ٢٣٢.

(٥) خليفة، تاريخه، ص ٢٣٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٣٤٠.

(٦) الزبيري، نسب قريش، ص ١٢٣ .

إلا أن الوليد لم يأخذ برأي مروان وهذا يعود كما تشير المصادر إلى تقواه وحبه للعافية، ويؤكد ذلك قول الوليد ليت الوليد لم يولد ولم يكن شيئاً مذكوراً[1] وفي رواية أخرى قوله لمروان ويحك أتشير عليّ أن أقتل الحسين فوالله ما يسرني أن لي الدنيا وما فيها، وما أحسب أن قاتله يلقي الله بدمه إلا خفيف الميزان يوم القيامة[2] وفي رواية ثالثة قوله لمروان يا مروان ما أحب أن لي الدنيا وما فيها وأني قتلت الحسين، سبحان الله أأقتل حسيناً أن قال لا أبايع والله إني لأظن أن من يقتل الحسين يكون خفيف الميزان يوم القيامة[3].

ويبدو أن مروان أراد إستغلال هذا التساهل من الوليد في عدم الضغط على الحسين وأتباعه، للحصول على مكاسب من الخليفة، ويؤكد ذلك رواية الواقدي التي ذكر فيها أن مروان كتب إلى يزيد يذكر ضعف الوليد ووهنه وإدهانه[4] إلا أنه كما يبدو لم يكن يزيد راغباً في مروان، حيث أنه بعد أن تأكد ضعف الوليد بادر إلى عزله وتوليه عمرو بن سعيد الأشرق.

ب- «مروان ومقتل الحسين»

كان للموقف المتسامح من الوليد مع الحسين الأثر في خروجه إلى الكوفة بعد أن راسله أهلها بذلك، وقد وقف مروان من الحسين موقف المتسامح الحريص على حياة الحسين، حيث روى أنه عندما خرج كتب مروان إلى ابن زياد رساله يقول فيها أما بعد فإن الحسين قد توجه إليك، وتالله ما أحد أحبّ إلينا سلمة من الحسين فإياك أن تفتح ما لا يسد[5].

---

(١) ابن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص ٢٠١.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٧٥-١٧٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٣٤٠.
- ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٥٠.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٢٧٠.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١-٨٠هـ)، ص ١٠.

وفي رواية أخرى تذكر أنه كتب إلى ابن زياد، أما بعد فإن الحسين بن علي قد توجه إليك وهو الحسين بن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وتالله ما أحد يسلمه إليه أحب الينا من الحسين، فإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء ولا تنساه العامة ولا تدع ذكره آخر الدهر والسلام[1].

ويظهر لنا من رسالة مروان أنه كان حريصاً على حياة الحسين، لكونه ابن بنت رسول الله ﷺ، وما يعني ذلك إذا تعرض للأذى من هيجان العامة على الخلافة ويؤكد هذا الشعور عند مروان على الحسين، الرواية التي تذكر أنه عندما أقبل وفد الكوفة برأس الحسين ودخلوا مسجد دمشق، قدم إليهم مروان مستفسراً عن الأمر، فأجابوه أنه ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فأتينا على آخرهم.، وهذه الرؤوس والسبايا، وعلى أثر سماع مروان لذلك، نجده يثب في غضب وقد حزن حزناً شديداً[2].

في حين يرى البعض أن مروان رحّب بقتل الحسين، وأعتبره بمثابة الثأر لقتل عثمان، وفي ذلك يقول يوم بيوم الخفض المجوّر أي يوم بيوم عثمان[3] بل يرى البعض أنه لم يقتصر على الترحيب، بل أنه عبّر عن فرحه، حتى أنه استعار أبيات قالها أحد شعراء بني زبيد على أثر إنتصار قومه على بني زياد في وقعة الأرنب[4] والتي كان يعبر فيها عن فرحته بهذا الانتصار، وفي ذلك أيضاً قال مروان ذلك على أثر سماع صريخ نساء آل أبي طالب.

عجّت نساء بني زبيد عجّةً ... كعجيج نسوتنا غداة الأرنب
ضربت دوشر فيهم ضربة ... أثبتت أركان ملك فاستقر[5]

البحر الطويل

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٦٧.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٤٦٥.
(3) البكري، سمط اللآلىء، ج١، ص ٣٢٠.
(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٤٤١.
(5) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٢١٨، البكري، سمط اللآلىء.، ج١، ص ٣٢٠.
(أ) عجّت نساء بني زبيد عجّة ... كعجيج نسوتنا غداة الأرنب
إن نساء بني زبيد صاحت صيحة عالية بعد موقعة الأرنب، وهذه الصيحة تشبه صيحة نساء آل أبي طالب بعد أن جاء الخبر بقتل الحسين.
(ب) ضربت دوشر فيهم ضربة ... أثبتت أركان ملك فاستقر
ينسب الشاعر الضربة أي مقتل الحسين إلى «دوشر» وأن هذه الضربة أي أن قتل الحسين حسم الموقف وثبّت أركان الدولة الأموية فاستقر هذا الملك.

غير أننا لا نقبل هذا الأمر، ويبدو أنه قصد من ورائه الطعن في دين مروان وأخلاقه، ويؤكد كذب ذلك الرواية التي تذكر أنه عندما جيء برأس الحسين، تناوله مروان وقال:

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين[1]

البحر الطويل

من هذه الرواية نلاحظ مدى الحزن الذي أبداه مروان إتجاه مقتل الحسين فهو يبكيه ويقول كلاماً ما كانت الشيعة لتقول أفضل منه[2].

جـ- «مروان و ابن الزبير»

من المعلوم أن ابن الزبير خرج إلى مكة، ورفض بيعة يزيد، وبعد مقتل الحسين بدأ يتحرك تحركاً نشطاً، وقد وقف مروان من حركته موقف غير المتسامح، لكون العلاقة بينهما كانت سيئة، ويؤكد ذلك قول ابن الزبير لمعاوية محذراً له من مروان، يا معاوية لا تدع مروان يرمي جماهير قريش بمشاقصة، وأيم الله لئن ملك أعنه خيل تنقاد له ليركبن منك طبقاً تخافه[3].

وعلى أثر ذلك وقف مروان منه موقف المحذر والمخوف له من إستمرار التمرد، لهذا خاطبة بالقول إن القوم لا يدعون سلطانهم حتى يذبوا عنه[4] وحين عزم عمرو بن سعيد إلى إرسال عمرو بن الزبير للقضاء عليه، نجد أن مروان يقدم على عمرو بن

---

(١) نيّال، شعر الخلفاء، ص ١٢٧.

في هذا البيت يتمنى مادحاً لو أن الرأس مع الجسد مع اليدين داخل ردائها أو كسائها، ويمدح الشاعر أيضاً متمنياً جمال وجه الحسين رضي الله عنه والحمرة التي تعلو خدية قبل وفاته.

(٢) سماق، فيصل، عبد الرحمن بن الحكم حياته وشعره، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، م (١١) ع٣، ص ١٩٨٩، ص ١٢ وسيشار إليه سماق، عبد الرحمن بن الحكم.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٦٩-٧٠، الأبي، نثر الدر، ج٢، ص ١٧٧-١٧٨، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص ١٨-١٩.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٣١٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٢١٤.

سعيد طالباً منه عدم غزو مكة حفاظاً على حرمتها، بالقول لا تغزُ مكة وإتق الله ولا تحل حرمة البيت، وخَلِّ ابن الزبير فقد كبر وله ستون سنة وهو لجوج، إلا أن عمرو بن الزبير رفض ذلك، وقال والله لنغزونه في جوف مكة على رغم أنف من رغم، الأمر الذي أساء مروان، وعبّر عن ذلك بالقول والله أن ذلك ليسوئني[1].

وعندما وجد مروان أن ابن الزبير مستمر في تمرده، نجده يؤيد عملية القضاء عليه لهذا عندما أرسل يزيد وفدا إلى مكة للمجيء بإبن الزبير مقيداً بسلسلة من فضة ومرّ الوفد بمروان بن الحكم بالمدينة، نجد أن مروان يرسل ولدين له وهما عبد الملك وعبد العزيز، وطلب منهما أن يبلغوا رسل يزيد إلى ابن الزبير، وعند ذلك ينشدا على مسمع ابن الزبير هذه الأبيات:

فخذها فليست للعزيز بخطة ... وفيها فعال لأمريء متذلل

أعامر إن القوم ساموك خطه ... وذلك في الجيران غزل لا بمغزل

أراك إذا ما كنت للقوم ناصحاً ... يقال بالدلو أدبر وأقبل[2]

البحر الطويل

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٣١٣، النويري، نهاية الإرب، ج٢٠، ص ٢٠٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١٥١-١٥٢.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٣٠٤-٣٠٥، البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص ٩٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٠٤.

(أ) فخذها فليست للعزيز بخطة ... وفيها فعال لإمريء متذلل.

يقول له خذ هذه الخطة فهي لا تناسبني، بما فيها من أفعال مشينة، وإنما تناسب أمثالك من الرجال الإذلاء

(ب) أعامر إن القوم ساموك خطة ... وذلك في الجيران غزلٌ لابمغزل

يقول يا عامر إن القوم نفذوا عليك خطة محكمة لافكاك منها، وأنت والحالة هذه كالصوف أو خيوط الشعر التي أخضعت للمغزل يسلكها كيفما يشاء

(جـ) أراك إذا ما كنت للقوم ناصحاً ... يقال بالدلو أدبر وأقبل

حال المعنى في البيت وهو يقدم النصيحة لقومه وهم لا يقدمون له شيء بل يقذفونه بعيداً عنهم إذا ما أودع ما لديه من نصائح بحال الدلو يقذف فارغاً إلى قعر البئر ثم يقال له أقبل بعد أن يمتليء بالماء.

ويبدو أن ابن الزبير قد فهم قصد أبناء مروان ورد على ذلك بالقول والله لا أكون أنا المتضعف[1] وفي رواية أخرى أنه رد على ذلك بالقول:

إني لمن تبعه صم مكاسرها إذا تناوحت القصباء العشر

ولا ألين لغير الحق أسأله حتى يلين الضرس الماضغ الحجر[2]

البحر البسيط

د- «مروان ووقعة الحرّة»

يجمع المورخون على أن سبب الثورة يعود إلى أن عثمان بن محمد بن أبي سفيان والي المدينة أرسل وفداً من أهل المدينة إلى يزيد بن معاوية بدمشق في محاولة لإظهار مدى إستتباب الأمور في ولايته، وليدلل على إستمرار ولاء أهل المدينة وطاعتهم ليزيد، ويشير البلاذري إلى أن يزيد نفسه كان قد كتب إلى عثمان بن محمد ليرسل وفد من أهل المدينة «ليستمع مقالتهم ويستميل قلوبهم»[3] خاصة بعد أن بلغه نبأ إعتصام عبد الله بن الزبير في مكة ومعارضته إعطاء البيعة له، وكان الوفد الذي أرسله إلى يزيد يضم عدداً من زعماء أهل المدينة من أمثال عبد الله بن مطيع العدوي، وعبد الله بن حنظلة الأوسي الأنصاري،و المنذر بن الزبير بن العوام وغيرهم، ولما وصلوا عند يزيد أكرمهم وأجرى عليهم الإرزاق والأعطيات فقد أعطى كل نفر منهم حوالي مائة ألف درهم، كما أعطى كل واحد من أبناء عبد الله بن حنظلة وكانوا ثمانية- عشرة ألاف درهم سوى كسوتهم وحملاتهم[4].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٣٠٥، البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص ٩٧.

(٢) ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٠٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢١٤. تحمل هذه الأبيات نوع من التحدي، حيث يؤكد ابن الزبير لمروان أنه لن يصلو إلى حتى يصل الطير إلى قصباء العشر في السماء، وحتى يلين الحجر للضرس الماضغ.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص ٣١٩.

(٤) العقيلي، عمر بن سليمان، وقعة الحرّة في عهد يزيد بن معاوية (٦٣هـ/٦٨٣م)، مجلة كلية الأداب، جامعة الملك سعود، م ١٣، ع١، ١٩٨٦، ص ١٦١، وسيشار اليه العقيلي، وقعة الحرّة.

ولعلّ يزيد بإعطائهم مثل هذه المبالغ أراد أن يتحبب إلى الناس، وليدلل لهم على أنه يسير فيهم على خطى والده الذي طالما أكرمهم سواء وفدوا عليه أم لم يفدوا[1] ولكن القوم عندما رجعوا أظهروا شتم يزيد وتنكروا له، وقالوا للناس «قدمنا من عند رجل ليس له دين ويشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الحُرّاب (اللصوص) وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه»[2] وكان هذا كما تصوره المصادر التاريخية بداية خلاف أهل المدينة على يزيد بن معاوية.

في حين يذكر أبو العرب والسمهودي أن سبب الخلاف كما قال الواقدي إلى أن أول من أهاج من أمر الحرة أن ابن مينا كان عاملاً على الصوافي بالمدينة لمعاوية بن أبي سفيان، وبالمدينة يومئذ صواف كثيرة كان معاوية يجد بالمدينة وأعراضها ألف وسق[2] وخمسون ألف وسق تمر، ويحصد مائة ألف وسق حنطة فلما ولى يزيد عزل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عن المدينة، وولى عثمان بن محمد بن أبي سفيان على المدينة، وإن ابن مينا أقبل بسراح له من الحُريرة يريد الأموال التي كانت لمعاوية فلم يزل يسوقه ولا يعرف عنه أحد حتى إنتهى إلى بلحارث بن الخزرج، فنقب النقيب فيهم وقالوا ليس ذلك إليك هذا حدث وضرر علينا، فمكثوا على ذلك شهراً يغدو ابن مينا ويروح بعماله، فمرّه يعمل فيه ومرة يأبون عليه، ومرة لا يجد أحداً يريد أن يبني فيعمل حتى يمسي، ومرة أخرى يجتمعون فلا يضرب بمعول ولا بمسحاة حتى يمسي، فلما طال ذلك عليه كلّم الأمير عثمان بن محمد وأعلمه بمالقي منهم، فأرسل الأمير إلى ثلاثة نفر من بلحارث بن الخزرج محمد بن عبد الله بن زيد، وزهير بن أبي مسعود، ومحمد بن النعمان بن بشير، فأجابوا إلى أن يمرّوا به حيث أراد فدعا ابن مينا بعماله فعمل شيئاً ثم تداعوا، فمشى المسور بن مخرمة فأخبره بما أجابوا إليه وقال أراك عجلت على القوم، فغدي ابن مينا بعماله فعمل شيئاً ثم تداعوا، فمشى المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن عبد القاري وعبد الرحمن بن الأسود بن

---

(١) ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٤٥٠.

(٢) الوسق «ستون صاعا قال الخليل الوسق هو حمل البعير» أنظر الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، د. ت، بيروت، ١٤٠٢هـ، ج٤، ص ١٥٦٦.

(٣) الحريرة: موضع بين الأبواء ومكة قريب النخلة، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٥٠.

عبد الغوث وعبد الله بن مطيع وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة إلى هؤلاء النفر فشرّدوهم وقالوا لا تدعوه ينقب في حقكم إلا بطيب نفس منكم، فلما كان الغد غدا ابن مينا في أعوانه فذادوهم عن العمل، فرجع إلى عثمان بن محمد فأعلمه بذلك فغضب وقال إجمع لهم من قدرت عليه من مواليكم، وبعث معه بعض من جنده وقالوا مرّوا به على بطونهم فإن الله لا يدعهم حتى يحلّ بهم عقابه، فغدى ابن مينا بمن معه، وغدت الأنصار وردفتهم قريش فذبّوهم حتي تفاقم الأمر فرجع ولم يعمل شيئاً[1].

ويضيف الواقدي قائلاً «ثم دخل على عثمان بن محمد عشرة من قريش ونفر من الأنصار فكلموه فيما عمل ابن مينا، وما جمع عليهم فوجدوه هو الذي قوّاه على ذلك، وأغلظ لهم وإغلظوا له، فقال لأكتبن إلى أمير المؤمنين بسوء رأيكم، وما تخفون عليه من الأضغان القديمة والأحقاد التي لا تبلى في صدوركم، فافترقوا على موجده منهم وإجتمعوا على منع ابن مينا وكفّ ابن مينا عن العمل»[2].

ومهما كان السبب فإن أهل المدينة بادروا إلى عزل الوالي عثمان بن محمد، وحصر بني أمية الذين أخذوا يتجمعون بدار شيخهم مروان بن الحكم، الأمر الذي دفع مروان إلى الكتابة إلى الخليفة يزيد، ويؤكد ذلك رواية خليفة بن خياط الذي ذكر أن مروان كتب إلى يزيد بالذي كان من رأي القوم[3] والطبري بالقول وكان الذي بعث إليه منهم مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان بن عفان وكان مروان يدّبر أمرهم[4].

ويشار أن الكتاب وصل إلى الخليفة يزيد في الليل، وهو واضع قدمية في طشت فيه ماء لنقرس كان بهما، وعندما قرأ الخليفة ذلك الكتاب أبدى غضبه بالقول أما يكون بنو أمية ومواليهم ألف رجل، فقال الرسول بلى والله وأكثر، قال مستهزئ بهم فما إستطاعوا أن يقاتلوا ساعة من النهار[5].

(١) أبو العرب، المحن، ص ١٤٦-١٤٨، السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص١٢٨.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص ١٢٨-١٢٩.

(٣) خليفة، تاريخه، ص ٢٣٧.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٤٨٢.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٤٥٥.

وبعد ذلك بادر الخليفة يزيد إلى إغاثة قومه من بني أمية، حيث بعث جيش مقداره خمسة الآف رجل وعليهم مسلم بن عقبة المري، بعد أن رفض عمرو بن سعيد وعبيد الله بن زياد تولى الأمر، وقد أوصي يزيد مسلماً أمير الجيش أن يمضي بمن معه إلى المدينة فإذا وصل إلى هناك، فإن عليه أن يرفق بالناس ويدعوهم بطريقة سليمة للدخول في الطاعة وإجتناب الفرقة، فإن إستجابوا له فليعرض عنهم، واليمض إلى ابن الزبير في مكة، ولكن إذا لم يوافقوا على مطالبة وأثروا الصدام معه فعليه أن يعيدهم إلى صفوف الجماعة الإسلامية ولو أدى ذلك إلى إستعمال القوة[1].

ولما علم أهل المدينة بمسير مسلم إليهم بادروا إلى تشديد حصارهم لبني أمية في دار مروان، وقالوا والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه أن لا تبغونا غائلة، ولا تدلوا لنا على عورة، ولا تظاهروا علينا عدوًا فنكف عنكم، ونخرجكم عنا، فعاهدوهم على ذلك وخرجوا من المدينة[2].

وعن تحرك مروان بعد خروجه يشير الطبري أن مروان كلم ابن عمر لما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أمية في أن يغيّب أهله عنده فلم يفعل، فكلم علي بن الحسين على الرغم من علاقته السيئة بالعلويين، وقال له أن لي حرما وحرمي يكون مع حرمك فقال أفعل، فبعث بإمرأته، وهي عائشة إبنة عثمان وحرمه إلى عليّ بن الحسين، فخرج عليّ بحرمه وحرم مروان إلى ينبع وقيل بل أرسل حرم مروان وأرسل معهم إبنة عبد الله بن علي إلى الطائف [3].

ويرى البعض في هذا الأمر ما هو إلا نقطة إلتقاء بين شيخ الأمويين مروان وبين أبناء عليّ عدو الأسرة الأموية، وبالأخص معاوية وأبنة يزيد، اللذين استأثروا بالحكم من دونهم، وبهذا إلتقت مصالح أبناء علي مع مروان في معاداة يزيد وخلافته[4]

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٧٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٢٠.

(٢) البيهقي، المحاسن والمساوىء، ص ٦٤، المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص ١٤، ابن الكردبوس، الاكتفاء، ميكروفلم، ص ١٤٢ب.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٤٨٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٤٥٦.

(٤) عيسى، النزاع بين أفراد البيت الأموي، ص ٦٧.

ولا أدري كيف توصل الباحث إلى هذه النتيجة، فمن المعقول والمنطقي للباحث أن يحكم على الشيء بنتائجه وليس بالبداية، ويبدو لنا أن ذهاب مروان إلى علي بن الحسين لضم حريمه إليه لا يعتبر نقطة إلتقاء بين الطرفين على معاداة يزيد، ويظهر لنا هذا الأمر بوضوح عن طريق ما أسداه مروان وأبنه عبد الملك من نصيحة لمسلم بن عقبة عند قدومه للمدينة، وما لعبا من دور في إنتصاره على أهل المدينة والقضاء على أصول المعارضة، وهذا الدور يعتبر في صالح الخلافة وليس ضدها.

وبعد إخراج بني أمية أبدى مروان فرحه بهذا الإجراء الذي إتخذه أهل المدينة ضده وضد بني أمية، ولم يعمدوا إلى معاقبتهم، ويؤكد ذلك قول مروان بن الحكم لإبنه عبد الملك يا بني إن هؤلاء لم يدروا ولم يستشيروا فقال إبنه وكيف ذلك، قال إذ لم يقتلونا ويحبسونا، فإن بعثوا إلينا بعثا كنا في أيديهم، وما أخوفني أن يفطنوا لهذا الأمر فيبعثوا في طلبنا فالوحي والنجاء النجاء[1].

وبعد أن إلتقى بنو أمية مع الجيش الأموي وقائده مسلم في وادي القرى طالبهم مسلم بإخبارهم عن أهل المدينة، إلا أنهم رفضوا ذلك بإستثناء مروان بن الحكم وإبنه عبد الملك، حيث ذكر ابن سعد أن مروان قال لإبنه عبد الملك أدخل عليه قبلي لعله يجتزي بك مني، فدخل عليه عبد الملك وقال له مسلم هات ما عندك أخبرني خبر الناس، قال نعم ثم أخبره، بخبر أهل المدينة ودله على عوراتهم وكيف يؤتون ومن أين يدخلون عليهم وأين ينزلون، ثم دخل عليه مروان فقال له مسلم إيه ما عندك، فرد عليه مروان أليس قد دخل عليك عبد الملك قال بلى قال مروان فإذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني [2].

وفي رواية أخرى أن عبد الملك أجابه بالقول أرى أن تسير بمن معك فإذا إنتهيت إلى ذي نخلة نزلت فاستظل الناس في ظله، فأكلوا من صفرة، فإذا أصبحت من الغد مضيت وتركت المدينة ذات اليسار، ثم درت بها حتي تأتيهم من قبل الحرة مشرقاً ثم تستقبل القوم فإذا إستقبلتهم وقد أشرقت عليهم الشمس وطلعت بين أكتاف أصحابك

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٧٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٣٩، البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٣٥٩.

فلا تؤذيهم ويصيبهم أذاها، ويرون من إئتلاق بيضكم وأسنه رماحكم وسيوفكم ودروعكم ما لا ترونه أنتم ما داموا مغربين، ثم قاتلهم وأستعن الله عليهم، فقال له مسلم وقد أعجب بكلامه الله أبوك إى إمريء ولد مروان، ثم دخل عليه مروان فقال إليس قد دخل عليك عبد الملك فإذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني[1].

في حين يذكر البعض أن الذي أخبر مسلم هو مروان وتفصيل ذلك أن مسلم لقي بني أمية بوادي القرى فاستخبرهم مسلم عما خلّفهم، وعما لقوا عن عددهم، فقال مروان أن عددهم كثير أكثر مما جئت به من الجيوش، ولكن عامتهم ليس لهم نيّات ولا بصائر، وفيهم قوم قليل لهم نيّه وبصيره ولكن لابقاء لهم مع السيف، وليس لهم كراع وسلاح وقد خندقوا عليهم وحصنوا، قال مسلم هذه أشدها علينا ولكنا نقطع عنهم مشربهم، ونردم عليهم خندقهم فقال مروان عليه رجال لا يسلمونه ولكن عندي فيه وجه سأخبرك به[2].

وبعد أن حصل مسلم علي مبتغاه خيّر بني أمية بين أن يسيروا إلى أمير المؤمنين أو يقيموا موضعهم أو يسيروا معه، إلا أنهم قرروا السير إلى الشام، بإستثناء مروان وأبنه عبد الملك وأكد ذلك ابن سعد الذي ذكر أن مسلم قال لهم ما ترون تمضون إلى أمير المؤمنين أو ترجعون معي، قالوا بل نمضي إلى أمير المؤمنين بإستثناء مروان الذي قال أما أنا فأرجع مؤزرا ومعينا لك[3] ولا نستبعد أن هذا القرار من مروان يعود إلى أنه تلقى أوامر من الخليفة بذلك، ويؤكد ذلك رواية صاحب الخميس الذي ذكر أنه لما مات معاوية أرسله يزيد يوم وقعة الحرة مع مسلم بن عقبة وحرّضة على أهل المدينة[4].

---

(١) البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص ١١٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٤٥٧، مجهول، تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٣،.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٧٩-١٨٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٣٩.

(٤) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج٢، ص ٣٠٧.

بالإضافة إلى عامل الحقد عند مروان على أهل المدينة، حين يذكر أنه لما عزم على العودة مع مسلم، قال أما أنا فماض مع مسلم إلى المدينة فمدرك ثاري من عدوي وممن آخر جني من بيتي وفرق بيني وبين أهلي وإن قتلت بهم نفسي[1].

وعندما وصل مسلم إلى المدينة وعسكر بقواته في حرّة واقم، أخذ يراسل أهل المدينة يعرّفهم بمهمته ويطلب منهم إظهار الطاعة ولزوم الجماعة، وأعطاهم مهلة ثلاثة أيام يراجعون فيها أنفسهم، وبعد أن رفض أهل المدينة طلبة اضطر مسلم لأن يفرض حول المدينة حصاراً، وذلك في محاولة منه لإجبار أهل المدينة على الإستسلام وتروي المصادر أنه ما كان مسلم يستطيع إقتحام المدينة لولا قيام مروان بإصطناع أحد أفراد بني الحارث بني الخزرج، فدله على ثغره من ناحيتهم، ويؤكد ذلك الرواية التي تذكر أن مروان جاء إلى بني الحارث وكلم رجلاً منهم ورغبة في الصنيعة، وقال إفتح لنا طريقاً، فأنا أكتب بذلك إلى أمير المؤمنين ومتضمن لك عنه شطر ما كان بذله لأهل المدينة من العطاء، وتضعيفه ففتح له طريقاً ورغب فيما بذله له وتقبل ما تضمن له عند يزيد[2].

وبعد ذلك دخل مروان ومعه مائة فارس[3] ثم تبعه مسلم بن عقبة بقواته فدخلوا المدينة من تلك الجهة أيضا، وما أن سمع قادة الخطوط الدفاعية الأخرى بما حصل حتى تركوا أماكنهم وتوجهوا ناحية بني الحارث في محاولة منهم لصد زحف قوات مسلم بن عقبة، فاقتتل القوم قتالاً شديداً، ولكن تكاثر جند الشام على أهل المدينة «فدخلت المدينة من النواحي كلها»[4].

وبعد ذلك تذكر المصادر أن مروان ومسلما قاما بجولة للتعرف على القتلى، ويؤكد ذلك كلام مروان في القتلى الذين كانوا يمرّ عليهم، حيث ذكر أنه مرّ على عبد

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٨٠.

(٢) ابن قتيبة، الإمامه والسياسه، ج١، ص ١٨٠-١٨١، البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص ١٣١، السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص ١٣٠.

(٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج١، ص ١٣٠.

(٤) السمهودي، المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٠.

الله بن حنظلة وهو مادّ أصبع السبابة، فقال مروان أما والله لئن نصبتها ميتا فطالما نصبتها حيّا داعياً إلى الله، ومرّ على ابراهيم بن نعيم ويده على فرجه فقال أما والله لئن حفظته في الممات لقد حفظته في الحياة، ومرّ على محمد بن عمرو بن حزم وهو علي وجهه واضعاً جبهته بالأرض فقال أما والله لئن كنت على وجهك في الممات لطالما إفترشته حيا ساجدا لله[1].

وبعد هذه الجولة تشير المصادر إلى أن مروان كان شفيعاً للعديد من الأشخاص ومنهم يزيد بن وهب بن ربيعة، حيث ذكر صاحب تاريخ الحلفاء، إنه جيىء بيزيد بن وهب وهو من وجوه قريش فقال مسلم بايع فقال يزيد أبايع على سنة أبي بكر وعمر قال مسلم إقتلوه، فقال أبايع فقال مسلم لا والله ما أقيل عثرتك، فقال مروان بن الحكم لصهر كان بينهما فكلمه في أمره فأبى مسلم وأمر بقتل يزيد[2].

كذلك حاول مروان الشفاعة ليزيد بن عبد الله بن زمعة، حيث ذكر أنه جيىء به إلى مسلم فقال بايع على أنك خول لأمير المؤمنين يزيد في دمك ومالك، فقال أبايعه على الكتاب والسنة، فقال مسلم إضربوا عنقه، فوثب مروان فضمه إليه، فقال مسلم لا أقيله أبداً إذا لم يتنحى مروان عنه فقتلوهما معاً فتركه مروان وضربت عنق يزيد[3] كذلك نجح مروان في إجارة زين العابدين المعروف بالسجاد، وأكد ذلك ابن الكردبوس بالقول أجاره مروان بن الحكم براً وجميلة[4].

كذلك يروي البلاذري أن مروان وعبد الملك أتايا مسلما بعلي بن الحسين يطلبان له الأمان، وذلك أنه استجار بهما، فلما رأه مسلم أدناه وقربه، وقال لولا أمير المؤمنين

---

(1) الزبيري، نسب قريش، ص ٢٢٧، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٨٢، البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٣٢٧، الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١-٨٠هـ) ص ٢٨، الفيروز أبادي، المغانم المطابة، ص ١١٣.

(2) مجهول، تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٣.

(3) خليفة، تاريخه، ص ٢٣٩، ابن عبد البر، الإستيعاب، ج٣، ص ٩١١-٩١٢. ابن قدامة المقدسي، التبين في أنساب القرشيين، ص ٢٤٤-٢٤٥.

(4) ابن الكردبوس، الإكتفاء، ميكروفلم، ص ١٤٢ ب.

أمرني ببّره وإكرامه، وعرفت بلاءه وسلامته ما شفعتكما فيه، ثم أمره بالإنصراف على بغله وجزاه خيرا[1] كذلك شفع مروان بجابر بن عبد الله، حيث روي أن جابر بن عبد الله كان قد ذهب بصره فجعل يمشي في بعض أزقة المدينة، وهو يقول تعس من أخاف الله ورسوله، فحمل عليه رجل بالسيف ليقتله، فترامى عليه مروان بن الحكم فأجاره وأمر أن يدخل منزلة ويغلق عليه بابه[2].

كذلك شفع مروان بسيعد بن المسيّب، ويؤكد ذلك الرواية التي تذكر أنه قدم بسعيد بن المسيب إلى مسلم فقال له مسلم بايع أمير المؤمنين على أنك عبد قنّ فإن شاء أعتقك وإن شاء إسترقك، قال سعيد لا أبايع عبدا ولا حرا، فقال مسلم مجنون والله، فتقدم مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان فشهدا عليه أنه مجنون، فقال مسلم قد ظننت ذلك، أرسلا فانصرف سعيد راجعاً إلى المدينة، فلحقه مروان وعمرو فقال له مروان الحمد لله الذي سلّمك يا أبامحمد، فأجاب سعيد إذهبا إليكما أتشهدان بالزور وأنا أسمع وتنفسان عليّ الشهادة، والله لا أكلمكما أبداً[3].

وبعد هذا النشاط لمروان في موقعة الحرّه يشير ابن سعد إلى أن مروان ذهب إلى الشام بعد ذلك، حيث عمد الخليفة يزيد إلى إكرامه «قدم مروان على يزيد بن معاوية إلى الشام فشكر له يزيد وقربه وأدناه»[4].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٣٢٩.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص ١٨٣.

(٣) الزبيري، نسب قريش، ص ٢٧١، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص ٥٦، مجهول، تاريخ الخلفاء، ص ١٤٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٣٩.

الفصل الرابع

وصول مروان بن الحكم للخلافة

١- معاوية الثاني وتنازله عن الخلافه

٢- الموقف في دمشق

٣- مؤتمر الجابية

٤- مرج راهط

١- معاوية الثاني وتنازله عن الخلافة

هنا يجدر بنا ان نقف الوقفة الطويلة ندرس فيها شخصية معاوية الثاني وما أحاطا بموته المبكر من أحداث، ولنتأمل في أمر تنازله عن الخلافة، ومن ثم نحاول ان نبين الموقف في الشام.

نذكر في البداية أن الخليفة يزيد مثله مثل باقي خلفاء بني أمية قد إهتم بتربية أبنائه، فمن الممكن أنه أرسل إبنه معاوية الى بادية الشام حيث مضارب قبيلة كلب ليسترضع فيها، وليتعلم العربية الأصيلة والأشعار والأداب والأخلاق البدوية، وكل ما يتصل بحياة البادية من فروسية وكرم وشجاعة.[1]

ولا شك أن معاوية الثاني بعد ذلك، لما بلغ من العمر فترة، عمد والده الى اختيار المؤدبين له، حيث يذكر في هذا المجال أحد مؤدبيه وهو عمر المقصوص المشهور بالعلم والزهد.[2] وعندما بلغ معاوية الثاني مرحلة النضج والشباب نجد الخليفة يزيد يعمد الى إختياره وليًا للعهد، رغم أننا نجد رواية عند البياسي تؤكد أن الذي أخذ البيعة لمعاوية الثاني بعد يزيد هو جده معاوية، بعد أن بايع لولده يزيد بالعهد من بعده قال البياسي" أن معاوية بايع له بعد يزيد.[3] "الا أنه يبدو أن الخبر الذي أورده البياسي غير دقيق وذلك على اساس أن البيعة قد تمت ليزيد في سنة ٥٦

(١) صالحية، محمد، مؤدبو الخلفاءفي العصر الأموي، المجلة العربية للعلوم الانسانية والاجتماعية، الكويت، ع ٣-٤-١٩٨١، ص ٣٨- ٣٩، ويشار إليه صالحية، مؤدبو الخلفاء.

(٢) المقدسي ،البدءوالتاريخ، ج٦، ص.ص١٦- ١٧، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١١١، الشاطبي، الجمان في اخبار الزمان ميكروفلم، ص ٢٩٣ب، الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٩٦

(٣) البياسي، الأعلام بالحروب، ج٢، ١٤١

هـ[1]، وفي هذا الوقت كان معاوية الثاني على الأرجح لا يتجاوز الثانية عشر من عمره، وبالتالي من غير المعقول أن يعمد معاوية الى بيعة حفيده وهو في هذا السن، طالما لقي العنت والتشدد لبيعة إبنه يزيد وهو في مرحلة النضج والشباب، فكيف يكون الرأي العام اذا بايع حفيده وهو صغير السن ؟.

ويذكر البلاذري في هذا المجال أن المشجع ليزيد في أخذ البيعة له كانت أم معاوية الثاني، وذلك بسبب الحالة الصحية التي وصلت اليها حالة الخليفة يزيد سنة ٦٢هـ، وخوفها على الخلافة من بعده.[2]

ويبدو أن الخليفة يزيد قد أخذ الفكرة وعرضها على حسان بن مالك بن بحدل الكلبي[3] باعتباره أحد زعماءالقبائل اليمانية، وموافقته لها اثرها في قبول الناس بالامر، وفعلا نجد أن حسان بن مالك يشجعه على ذلك ويبايع له، وبعد ذلك سارع الخليفة يزيد بإعلان الأمر علي الناس، الذين سارعوا الي بيعته والرضى به.[4] وأكد ذلك المسعودي بالقول وأخذ يزيد لإبنه معاوية البيعة على الناس قبل موته[5]، وبعد وفاة الخليفة يزيد، نجد أن معاوية الثاني يتولى الخلافة ويحصل على البيعة العامة من الناس، كما هي عادة الخلفاء دون اي ذكر من المصادر للمعارضة له. [6] على أن معاوية الثاني كما تؤكد المصادر لم يلبث أن تنازل عن الخلافة بعد فترة إختلفت المصادر في تقريرها، فإبن سعد يورد روايتين الاولى ثلاثة اشهر والثانية أربعون يوما.[7] وخليفة بن خياط يورد روايتين الاولى شهر ونصف والثانية أربعون

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٥١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص٣٥٧.

(٣) حسان بن مالك بن بحدل أبو سليمان الكلبي زعيم بني كلب، انظر عنه ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ج٤، ص٢٩٤-٣٩٥.

(٤) البلاذري أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص٣٥٧.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٣.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص٣٥٧.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٩.

يوما[1]. والبلاذري يورد ثلاثة روايات مختلفة الاولى مدة عشرين يوما والثانية أربعين يوما، والثالثة ثلاثة أشهر .[2] والمسعودي يورد روايتين الاولى أربعون يوما والثانية شهران[3]، وتلمح المصادر على أن الأسباب الحقيقة وراء تنازل معاوية الثاني عن الخلافة يعود الى ضعفه، «قد نظرت في أمركم فضعفت عنه».[4] وقال المسعودي «مات ابن يزيد ويكنى أبا عبد الرحمن وإنما كنى أبا ليلى تقريعا له، لعجزه عن القيام بالامر، وكانت العرب تفعل ذلك بالعاجز من الرجال ».[5] و يؤكد ذلك خطبة معاوية .الثاني حين أراد التنازل حيث ذكر أنه قال «إني قد نظرت في أمركم وفيما قلدته من ولايتكم، فوجدت ذلك لا يسعني فيما بيني وبين ربي أن أتقدم على قوم فيهم من هو خير مني وأحقهم بذلك، وأقوى على ما قلدته، فاختاروا بين إحدى خصلتين إما أن أخرج منها وأستخلف عليكم من أراه لكم رضا، ولكم الله عليّ ألا ألوكم نصحا في الدين والدنيا، وإما ان تختاروا لأنفسكم وتخرجوني منها[6]». وفي رواية أخرى أنه قال «إني قد ضعفت عن أمركم فالتمست مثل عمر بن الخطاب فلم أجد، فالتمست ستة مثل أهل الشورى فلم أجد فأنتم أولى بأمركم.[7] وبعد ذلك نجد أن معاوية الثاني يتنازل عن الخلافة بعد ان وجه النقد اللاذع لجده وأبيه، حيث ذكر أنه قال «ألا إن جدي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان اولى به منه ومن غيره لقرابته من رسول الله (ص) وعظيم فضله وسابقته، أعظم المهاجرين قدرا وأشجعهم قلبا، فركب جدي ما تعلمون وركبت معه ما لا تجهلون، حتى إنتظمت لجدي

---

(١) خليفة، تاريخه، ص٢٥٥.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص٣٥٧.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣. ص٨٢.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ٣٥٦.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٨٢.

(٦) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٠-١١ .البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص٣٥٩، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١١١.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٣. ص٨٢.البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص٢٤٣. النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٥٠١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٤١، ابن الطقطقا، الفخري، ص٩٥.

الامور، فلما جاءه القدر المحتوم وإخترمته إيدي المنون، بقي مرتهنا بعمله فريدا في قبره، ووجد ما قدّمت يداه، ورأى ما إرتكبه واعتراه، ثم إنتقلت الخلافة الى أبي يزيد، فتقلد أمركم لهوى كان أبوه فيه، ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله وإسرافه على نفسه، غير خليق بالخلافة على أمة محمد (ص) فركب هواه وإستحسن خطأه، وأقدم على ما أقدم من جراء ته على الله وبغية على ما إستحل من حرمته من أولاد رسول الله (ص)، فقلّت مدته وانقطع أثره، وصار حليف قبره رهين خطيئته، ثم ذكر أنه أصبح ثالث القوم، الساخط عليه أكثر من الراضي فتنازل عن الخلافة رغبة منه في عدم تحمل أثامهم، وتقلد أوزارهم، خالعا بيعته من أعناقهم، تاركا لهم الخيار فيمن يولّونه »[1]

مما سبق يظهر أن التنازل كان بسبب ضعفه، وبالاضافة الى وضعه الصحي الذي حال دون القيام بأعباء الخلافة ومما يرجح ذلك أنه مات بعد وقت قصير من تنازله عن الخلافة، أضف الى ذلك أن الخطبة هذه التي القاها معاوية الثاني فيها نقدا لاذعا لجده وأبيه، الأمر الذي يثير الشك حول صحتها، وأنها ما هي إلا من تلفيق الرواة الذين يحاولون الصاق التهم الى البيت السفياني على لسان أحد أفراده، ليكون دليلا على صحة ما ذكروه .من الأعمال التي قام بها هذا البيت أثناء ولايته للخلافة الإسلامية، وتذكر المصادر أن معاوية الثاني بعد أن القى خطبته دخل منزله، ولم يخرج حتى مات إلا أنها تختلف في تقرير السبب بين الموت بالسم أو الموت العادي[2]، وكذلك تختلف المصادر حول عمر معاوية الثاني عند وفاته، فالبلاذري يقدم أربع روايات حول ذلك، فيذكر في الأولى أن عمره تسعة عشر عاما، والثانية عشرون عاما، والثالثة ثمانية عشر عاما، وفي الرابعة ثلاثة وعشرون سنة وثمانية عشر يوما.[3] في حين يؤكد ابن عبد البر[4] وابن عبد ربه[5] أنه توفي عن عمر واحد

---

(١) المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٧، ابن العبري، تارخ مختصر الدول، ص١١١، ابن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص٢١٧-٢١٨، الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٦٩-٧٠، الديار بكري، تاريخ الخميس، ج٢، ص٣٠١ .

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص٣٥٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣١

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص٣٥٧

وعشرين عاما. وتؤكد الدلائل أن معاوية الثاني رفض أن يستخلف، ويؤكد ذلك قوله حين طلب منه أن يستخلف والله ما ذقت حلاوتها فاصلى بمرارتها إن يك خيرا فقد إستكثر منه آل أبي سفيان، وإن يك غير ذلك فوالله ما أحب أن أزودهم الدنيا وأذهب بوزرها .[1] وذهب الى ذلك لامنس الذي أكد أن معاوية الثاني لم يعين مجلسا للوصاية من بعده، لكي يدير شؤون الدولة[2] غير أن المشهور في الروايات أن معاوية الثاني أوصى الضحاك بن قيس أن يصلي بالناس لحين إنتخاب شخص يقوم بأمر الناس.[3]

إلا أنه كان لهذا الموت المفاجيء لمعاوية الثاني، وعدم تعيين خليفة له، الأثر في الوضع في الشام، حيث نجد الناس ينقسمون الى فرق، فرقة تنادي بضرورة بقاء الخلافة في بني أمية وبخاصة قبيلة كلب، باعتبارهم أقرب الناس الى بني أمية، وفرقة أخرى ومنها الزعامات السياسية المتنفذة والمتولية لبعض الأجناد، وجدت أن أفضل الناس لشغل هذا المنصب بعد عجز أفراد البيت السفياني عن ذلك هو ابن الزبير الثائر بالحجاز، باعتباره أحد أبناءالصحابة، ومشهور بالعلم والصلاح، وعلى أثر ذلك نجد الأوضاع تزداد تأزما بين الفريقين وخاصة مع ظهور مروان بن الحكم وتزعمه الفريق الثاني، الأمر الذي إنتهى الى الصدام بين الفريقين وهو ما سنوضحه في الصفحات التالية.

---

(٤) ابن عبدالبر، الإستيعاب، ج٣، ص١٣٧٦

(٥) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٤، ص٣٩١

(١) أبو زرعه، تاريخه، ج١، ص٣٥٨، البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص٣٥٦، المسعودي مروج الذهب، ج٣، ص٨٢، ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٤، ص٣٩١، البياسي الإعلام بالحروب، ج٢، ص٢٤٣، الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث ٨٠-٦١هـ)، ص٣٦

(٢) شاكر خليل، مسألة شغور كرسي الحكم في تنازل معاوية بن يزيد إلى تسلم مروان بن الحكم، المؤرخ العربي، م١٢، ع٢٨، ١٩٨٦، ص١٠٧ وسيشار اليه شاكر، مسألة شغور كرسي الحكم

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٩، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٣٩١، ابن الوردي، تاريخه ٢٣٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٤١

٢- الموقف في دمشق

كان تطورالاحداث بعد وفاة يزيد وتنازل معاوية الثاني عن الخلافة مفاجئاً وغامضاً في عاصمة الأمويين على نحو أربك جميع الاطراف السياسية التي شاب بعضها التردد وعدم حسم المواقف، أو إنتظار نضج المواقف، فقد أشارت الروايات إلى ثلاث فرق في الشام بعد وفاة يزيد «فرقة زبيرية، وفرقة بحدلية، هو اهم لبني أمية، والباقون لا يبالون لمن كان الأمر من بني أمية»[1] وهذا ما أكده عوانه بن الحكم، حيث ذكر أن قيسا تدعو إلي ابن الزبير ونصره الضحاك، وكلبا تدعو إلى بني أمية ثم إلى خالد بن يزيد يتعصبون ليزيد، وكان من الأجناد ناس يهوون بني أمية، وناس يهوون هوى ابن الزبير[2].

وكان المستفيد من مأزق الحركة الزبيرية الضحاك بن قيس الذي كان يتزعم مدينة دمشق، حتى يجتمع الناس على خليفة[3] وقد اشارت الروايات إلى أنه أصبح رجل الشام القوي، سواء من منظور ابن الزبير، الذي جرى بينه وبين الضحاك مراسلات، لا تفصح المصادر عن مكنونها، إلا أننا يمكن أن نستشف منها أنه تم الاتفاق على قيام الضحاك بأمر ابن الزبير في دمشق، الأمر الذي دفع ابن الزبير إلى «أن يبعث اليه بعهده».[4]

والواقع أن الضحاك الذي ظل مخلصاً للسفيانيين طوال حياته كان موقفه موضع تساؤل من الجميع، ولا تفصح المصادر عن الأسباب التي دفعته إلى إتخاذ صف

---

(١) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبه الله الشافعي (ت ٥٧١هـ)، تهذيب تاريخ مدينة دمشق، ٧جـ، هذبه ورتبه عبدالقادر بدران، دارالمسيرة، ط٢، ١٩٧٩، ج٧، ص١٠، وسيشار اليه ابن عساكر، تهذيب تاريخ مدينة دمشق.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٩، المسعودي، التنبه والإشراف، ص٢٤٦. ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٤، ص٣٩١، ابن الوردي. تاريخه، ج١، ص٢٣٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٤٣.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٠، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٢٧. الطبري، تاريخ الرسل، والملوك، ج٥، ص٥٣٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٢٤٤.

ابن الزبير، إلا أننا نستطيع القول في هذا المجال أن الضحاك وبعد إمعان وتفكر، وجد أنه مع غياب مرشح سفياني قوى ومؤهل لتولي منصب الخلافة، أنه من الأفضل له وللصالح العام إتخاذ صف ابن الزبير، بإعتباره أكثر الأشخاص المؤهلين لتولي هذا المنصب فهو أحد أبناء الصحابة، ويتميز بالصلاح والتقوى، ويتمتع بالقبول من كافة الإتجاهات السياسية في الدولة الاسلامية كل هذه الامور كانت وراء إتخاذ الضحاك صف ابن الزبير والدعوه له.

ومع ان المصادر تشير إلى إتخاذه هذا الإتجاه، إلا أنها تشير في الوقت نفسه إلى التذبذب والتردد الذي كان يسيطر عليه، حيث ذكر ابن سعد أنه دعا بدمشق سرا ثم دعا الناس إلى بيعة ابن الزبير علانية[1] وقال صاحب النقائض «وكان يقدم رجلا ويؤخر أخرى، يظهر طاعة بني أميه والشكر لمعاويه، ويدس إلى هذا الحيّ من قيس أن ابن الزبير أولى بالأمر»[2]، وأكد هذا الأمر أيضاً صاحب الأغاني الذي ذكر أنه كان يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، إذا جاءته اليمانيه وشيعة بني أمية أخبرهم أنه أموي، واذا جاءته القيسيه أخبرهم أنه يدعو إلى ابن الزبير[3].

هذا الموقف المتسم بالتردد من جانب الضحاك يعود برأي الكثيرين إلى الخوف من الكلبين بالإضافة إلى الحذر من الأمويين الموجودين في دمشق «يمنعه من إظهار ذلك أن بني أمية وكلبا كانوا بحضرته فكان يعمل في السر»[4] بالإضافة إلى عدم وثوقه بقوة القبائل القيسية وبخاصة ما أشارت إليه المصادر أن نسبه القبائل القيسية في الشام كانت قليلة، إذا ما قورنت بكثرة القبائل اليمانية[5] ويمكن أن نضيف في هذا الإتجاه أيضاً عدم وضوح الموقف القيسي المتأرجح بين ابن الزبير والأمويين، وظهر هذا في أهل حمص على الرغم من مبايعة النعمان بن بشر لإبن الزبير، ظهر من بينهم نسبه تؤيد بني أمية[6].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج٥، ص٤٠.

(٢) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، نقائض جرير الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٦، وسيشار اليه أبو تمام، نقائض.

(٣) الاصفهاني، الأغاني،ج١٩، ص١٤٠.

(٤) البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص٢٤٥.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٢٧٨.

(٦) ابن حجر الهيتمي، الجنان واللسان، ص٦١.

في هذا الوقت نجد أن ابن الزبير قد حقق نجاحاً أخر، وذلك بإختراقه الجبهة الشامية وحصوله على المزيد من التأييد له، ففنى حمص بايع النعمان بن بشر الأنصاري له، وهو على حد تعبير ابن سعد أول من خالف من أمراء الاجناد ودعا له[1] وأصبحت بذلك حمص تدين بالطاعة لإبن الزبير، بعد أن بعث ابن الزبير بعهده له عليها[2] هذا الموقف من النعمان ليس مستغربا كما كان موقف الضحاك، فالنعمان بن بشر كان من بين الاشخاص المعتقدين في أحقية ابن الزبير بالخلافة منذ أن بعثه يزيد بن معاويةرئيسا للوفد الذي أرسله لأخذ البيعة له من ابن الزبير، حيث إنه فضّل ابن الزبير بأبيه وأمه وجده وخاله علي يزيد[3].

وكذلك زفر بن الحارث الكلاّبي الذي كان أحد أعضاءالوفد[4] نجده يعلن الثورة على الوالي الكلبي سعيد بن يزيد الكلبي ثم العليمي ويعمل على إخراجه[5] لأنه وجد هو والقيسيه إن إسناد الإمارة عليهم وفي مظنتهم الى رجل من كلب أمر لا يمكن أن يطاق[6] فثار زفر بقنسرين وبايع لإبن الزبير[7]، وقد عمد سعيد بحمل المال ولجأ الى

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٩.

(٢) ابن سعد، المصدر نفسه، ج٥، ص٤٠، المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٦٦، الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٣٩، ابن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص٢٢٨. ابن الوردي، تاريخه، ج١، ص٢٣٥، مجهول تاريخ الخلفاء، ص١١٤، الخضري بك الشيخ محمد، محاضرات تاريخ الأمم الأسلامية (الدولة الاموية)، ج٢، في مج١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٦٩، ص١٣٦، وسيشار اليه الخضري بك، تاريخ الأمم الاسلامية.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٢.

(٤) الدينوري، المصدر نفسه،ص٢٦٢-٢٦٣.

(٥) ابو تمام، نقائض، ص٦، الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٣٩.

(٦) حمارنه، صالح، روح بن زنباع الجذامي، مجلة أفكار، ع٢٥، ١٩٨٦، ص٩٣، وسيشار اليه حمارنه، روح بن زنباع.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣١، المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٦٦، ابو تمام، النقائض، ص٦، ابن الوردي تاريخه، ج١، ص٢٢٥، مجهول، تاريخ الخلفاء، ص١٤٤، الخضري بك، تاريخ الأمم الاسلامية، ج٢، ص١٣٤.

طيء وتنوخ حتى أتى دمشق[1] وبعمل زفر قال الشاعر:

جزا الله خيرا والجزاء بكفّـــه سعيد عليم لا سعيد بن بحدل[2]

بحر الطويل

وامتدت دعوه ابن الزبير إلى فلسطين على يد ناتل بن قيس الجذامي الذي كان شديد الولاء لإبن الزبير، ولذلك التحق بإبن الزبير بعد وفاة يزيد، تاركاً قومه في فلسطين وعندما رأى ابن الزبير مبايعة النعمان، بعث ناتلا إلى فلسطين ليدعو قومه إلى الطاعة، فخرج ناتل من ليلته إلى فلسطين. وكان واليها من قبل يزيد حسان بن بحدل، فأرسل إليه ناتل يخيّره بين الخروج من بلاد قومه او الدخول عليه ليقاتله، وعندما شعر ابن بحدل بخطوره الأمر وأنه لا قوة له به وبقومه من جذام، خرج إلى الأردن، ونزل طبريه[3] بعد أن إستخلف روح بن زنباع الجذامي عليها، فتقدم ناتل وطرده وبايع لإبن الزبير فيها[4] أما في دمشق فقد أخذ له الضحاك بيعة أهلها، وفرّق عماله فيها، ممى يعني أن الشام وأجنادها باستثناء الأردن أو بعضه[5] وطائفة من أهل دمشق[6] أصبحت تابعة لإبن الزبير وفي تلك الأثناء كان ابن الزبير قد أرتكب خطأ أخر بنفيه أمويي المدينه بعيالاتهم ونسائهم[7] وكان هذا القرار الذي أتخذه ابن الزبير بناء على رأيه، دون أن يشاور فيه أحدا[8] وقد فطن بنو أمية

---

(١) ابو تمام، النقائض، ص٦

(٢) ابو تمام، المصدر نفسه، ص٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف،ج٥، ص١٢٨، الطبري تاريخ الرسل والملوك: ج٥، ص٥٣١، ابو تمام، نقائض، ص٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٤٣.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٢٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ج٥، ص٥٣١، الاصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٣٩، مجهول، تاريخ الخلفاء، ص١١٥.

(٥) الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ، ص٥٣١، وقيل «إن بعض أهل الأردن، قد كانوا مائلين إلى ناتل ومنحرفين عن حسان بن مالك»، أنساب الأشراف، ج٥، ص, ٨٢١

(٦) أبو زرعة، تاريخه، ج١، ص, ١٩١

(٧) ابن قتيبة، المعارف، ص١٩٨ ، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥ ، ص١٣٢، المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص٢٤٤

(٨) أبو تمام، نقائض، ص١١ ، البياسي، الإعلام، الحروب، ج٢ ، ص٥٤٢-٤٤٢

وبخاصة مروان وإبنه عبدالملك إلى أهميته، وعدم تفهم ابن الزبير لذلك «هذا رأي إنفرد به ولم يشاور أهل خزانته، ولو استشارهم لأشاروا عليه بغيره فافترصها»[1] وفعلاً عندما شاور ابن الزبير أهل خزانته عابوا عليه ذلك بقولهم «إنما بعثت عليك أفاعي لا يبلّ سليمها»[2]

في حين يذكر المنبجى (ت في القرن ٤هـ) أن خروج مروان وبني أمية ليس نتيجة الطرد، وإنما كان رغبه من مروان في وقاية قومه من ضياع خلافتهم، وظهر هذا من كلام مروان لأبناء يزيد ومواليهم عند وصوله دمشق حيث قال إني رجل كبير قد صعف جسمي ونحل ودق عظمي، حملت نفسي عندما بلغني من تشتت أمركم وخاطرت بها، ووافيت لأصلاح بينكم وفكرت في أنه لا يصلح ولا يحلّ لي فيما بيني وبين ربي أن أرى قومي (بني أمية) متفرقين أن أهمل أمرهم ولا أصلح بينهم وأجمع شملهم، وأجمعهم على المبايعة لرجل منهم والسمع والطاعة.[3]

وكان حسان بن مالك من جانبه دائباً على إستنهاض جماعته، وإستثارة العصبيات الشامية ضد ابن الزبير رغم طمعه بالخلافه، حيث ذكر أنه أراد عند موت معاوية بن يزيد أن يدعي الخلافة، حيث مكث أياما يدعو إلى نفسه ثم سلمها إلى بني أمية[4] وذلك لإدراكه في عدم إمكانية رضى بني أمية به، بإعتبارهم أصحاب الحق الشرعي بالخلافة مع وجود مرشح سفياني مؤهل لذلك، ومع ذلك فقد ذكر أنه خرج إلى الأردن لوجود الكثرة من قبائل كلب فيها، ويكون قريباً من الأحداث التي تجري في دمشق[5].

---

(١) أبو تمام، نقائض، ص١١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص٤٤

(٣) المنبجي، اغابيوس بن قسطنطين، (ت. في القرن ٤هـ)، المنتخب من تاريخ المنبجي، إنتخبه وحققه عمر عبدالسلام تدمري، دار المنصور طرابلس، ١٩٨٦، ص٧٥ وسيشار اليه المنبجي، المنتخب.

(٤) أبو تمام، نقائض، ص٧.

(٥) شاكر، مسألة شغور كرسي الحكم، ص١٠٩

وهناك في الأردن جمع حسان بن مالك أهله خاطباً فيهم متهماً ابن الزبير بالنفاق، ومعتبر قتلى الحرّة من أهل المدينة في النار، حيث ذكر انه قال يا أهل الأردن ما شهادتكم على ابن الزبير وعلى قتلى الحرّه، قالوا نشهد أن ابن الزبير منافق وأن قتلى الحرّة في النار، قال فما شهادتكم على يزيد بن معاويه وقتلاكم بالحره، قالوا نشهد أن يزيد على الحق وأن قتلانا في الجنة. قال «وأنا أشهد لئن كان دين يزيد وحده على حق يومئذ فإنه اليوم وشيعته على حق، وأن كان ابن الزبير يومئذ وشيعته على باطل فإنه اليوم على باطل، قالوا قد صدقت[1] هذا العمل من حسان هو محاولة منه لإقناع أهل الأردن أن ما قام به يزيد من أعمال ضد أهل المدينة بمثابة المدافع عن حقوقه، وأن أهل المدينة هم المعتدون في خروجهم على السلطة، راغباً في استمرار تأييديهم لإبن يزيد ووليّ عهده خالد.

كذلك قام حسان بحركة إنقلابية أخرى، عندما حاول العمل على إقناع أهل دمشق بالبقاء على تأييد لبني أمية وعدم إتباع الضحاك في مسعاه في مبايعة ابن الزبير، وشارك في هذه العملية أحد أشهرالقادة الكلبين وأخلصهم لبني أمية سفيان بن الأبرد ومعه قائد من غسان وهو يزيد بن أبي النمس، وتفصيل الأمر في الروايةالتي تذكر أن حسان كتب الى الضحاك كتابا يعظم حق بني أمية وحسن بلائهم، ويذم ابن الزبير، وأنه خلع خليفتين وأمره أن يقرأ كتابه على الناس، وكتب كتاباً آخر وسلمه إلى رسول وإسمه ناغضة بن كريب الطابحي[2]. وقال له إن قرأ الضحاك كتابي على الناس، وإلا فاقرأ الكتاب عليهم وكتب حسان إلى بني أمية أن يحضروا ذلك فقدم ناغضه فدفع كتاب الضحاك اليه، وكتاب بني أمية اليهم، فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر، فقال ناغضة إقرأ كتاب حسان على الناس فقال له إجلس فجلس، ثم قام الثانية والثالثة وهو يأمره بالجلوس، فأخرج ناغضة الكتاب الذي كان معه وقرأه على الناس، فقام يزيد بن أبي النمس الغساني، وسفيان بن الأبرد الكلبي فصدقا حسانا وشتما ابن الزبير، وقام عمرو بن يزيد الحكمي فشتم

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٢ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣١، الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٣٩، مجهول، تاريخ الخلفاء، ص ١١٥

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص. ٢٤٤

حسانا وأثنى على ابن الزبير، واضطرب الناس بنعالهم، فأمر الضحاك بيزيد وسفيان فحبسا، ووثبت كلب على عمرو بن يزيد فضربوه وخرقوا ثيابه، وقام خالد بن يزيد فسكّت الناس ونزل، ونزل الضحاك فصلى الجمعة بالناس، ودخل القصر، ويسمى هذا اليوم بيوم جيرون الأول[1].

وكانت هذه الحركه كما يرى فلهاوزن حركة ذكية من جانب حسان حيث عرف كيف يخرج الثعلب من جحره[2] ويبدو أن الضحاك بعد هذه الحركة لم يشأ أن يقضي على التحالف مع الأمويين، حيث إنه بعد هذه الحركة الإنقلابية التي أكدت ضعف سلطته بدمشق، بسبب وجود الأمويين وأنصارهم[3] عمد إلى إستدعاء الأمويين الموجودين في دمشق وبخاصة مروان

وعمرو بن سعيد، وخالد وعبدالله أبناء يزيد الى دار الإمارة «فاعتذر اليهم وذكر حسن بلائهم، وأنه لا يريد شيئاً يكرهونه»[4] مقترحاً دعوه حسان من الأردن والنزول في الجابية، ومبايعة رجل منهم وكان هذا الإقتراح من الضحاك نابعاً عن نية صادقة، دون أن يكون مجرد مناورة سياسية للتخلص من وجود الأمويين معه في دمشق[5].

وكان هذا الإختيار للجابية الذي تم الإتفاق عليه في دارالإمارة يعود إلى اعتبارات سياسية وجغرافية لإرضاء الكلبين، بإتخاذ أحد مستقراتهم مكاناً لحسم موضوع الخلافة، وكان ثمة حرص لدى الأمويين على إستمرار العلاقة مع الضحاك وإصرار على مشاركته في المؤتمر، ولكن المؤتمر الذي إقترحه الضحاك، إنعقد من

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٢٢، ابن منقذ، أبي العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب، الوفيات، حققه وعلّق عليه عادل نويهض منشورات دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٨٠، ص١٨٠، وسيشار اليه ابن منقذ، الوفيات.

(٢) شاكر، مسألة شغور كرسي الحكم، ص١٠٩

(٣) شاكر، المرجع نفسه، ص١٠٩

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٢٢، الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٤٠، النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٨٥

(٥) شاكر مسألة شغور كرسي الحكم، ص١٠٩

دونه، بعد تدخل معطيات مفاجئة أسهمت في شحن الأجواء وإعادة الضحاك إلى مواقفه القيسية[1] والواقع أن بوادر الإنفجار كانت قد شهدتها مدينة دمشق، عندما قامت غسان وكلب بحركة مضادة لإخراج سفيان بن الأبرد ويزيد بن أبي النمس من سجن دمشق[2].

في الوقت أشارت الروايات الى تراجع الضحاك عن التزامه بمؤتمر الجابية بتأثير من حليفة ثوربن معن السلمي[3] وقيل معن بن يزيد الأخنس[4] وفي رواية أخرى عن تأثير مجموعة من الأشخاص أمثال همّام بن قبيصه النمري، وزياد بن عمرو بن محرز الأشجعي وعمرو بن معاوية العقيلي، وبشر بن يزيد المريّ، ومن اليمن ثابت بن خويلد البجلي وسعيد بن مالك بن يزيد الكلبي[5] الذين لقوا الضحاك وعاتبوه بالقول «دعوتنا الى طاعة ابن الزبير، وقد عرفت شرفه وفضله وسابقته حتى إذا أجبناك خرجت تريد هذا الأعرابي من كلب ليستخلف ابن أخته[6] محرضين الزعيم الفهري على إعلان ما كان يستره من بيعة ابن الزبير، والقتال على طاعته مما حوّل أنظاره إلى مرج راهط التي أخذ يتجمع فيها القيسيون من أنصار ابن الزبير[7] في الوقت الذي كتب فيه الى ابن الزبير يعلمه بذلك، الأمر الذي دفع ابن الزبير إلى أن يعلم أهل مكه بذلك ويشكره لصنيعه[8].

---

(١) بيضون، ابراهيم، مؤتمر الجابية، دراسة في نشوء خلافة بني مروان، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام(بلاد الشام في العصر الأموي، الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٨٩، ص١٦٠، وسيشار اليه بيضون، مؤتمر الجابية.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف،، ج٥، ص١٣٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٢٣، البداية والنهاية ج٤، النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٨٥.

(٣) الطبري،تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٢٣، النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٨٦

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٤

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٤، ابوتمام، نقائض، ص١٥

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٤، الأصفهاني، الاغاني، ج١٩، ص١٤٠، النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٨٦

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٢٣-٥٢٤، أبو تمام، نقائض، ص١٥-١٦

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٤٤

ويبدو أن تراجع الضحاك تأثر بأصداء المتغيرات في المنطقة وما حولها، حين بدت كفه ابن الزبير أكثر رجحانا، دون أن يعدم ذلك تأثيراً في صفوف الأمويين إذاما توقفنا عند الرواية التي أشارت إلى عزم مروان بن الحكم على الذهاب الى مكة، ومبايعة ابن الزبير، وأخذ الأمان لبني أمية[1] وفي رواية النقائض أنه كاد أن يكون رسول الضحاك بالبيعة الى ابن الزبير[2]. ويبدو أنه كان لعبيدالله بن زياد دوراً بارز في شحن المواقف وتأجيج العصبيات، حيث تشير المصادر الى دور ابن زياد المبكر في الأحداث، وبرز هذا بعد وفاة معاوية الثاني، عندما عزم عثمان بن عنبسه على الذهاب إلى خاله ابن الزبير والمبايعة له، كان رد ابن زياد واضحاً بأن الوقت ليس وقت قرابه[3] كذلك نسب اليه دون بيعه مروان لإبن الزبير، واصفا الأول بانه سيّد بني عبد مناف[4] وقيل إنه قال له أتنطلق وانت شيخ قريش إلى أبي خبيب فتبايعه وهو منافق مضطرب الرأي[5] وفي رواية أخرى أنه قال له إستحييت لك من ذلك وأنت كبير قريش وسيّدها[6] دافعاً به إلى خوض معركة الخلافة قائلاً له عند لقائه إياه في تدمر، أدع أهل تدمر فبايعهم وسر بهم وبمن معك من بني امية ومواليهم وأتباعهم إلى الضحاك حتى تخرجه من الشام[7] متعمداً له في الوقت نفسه أن يكفيه قريشاً ومواليهم،[8] وفعلاً يذكرالبلاذري أن ابن زياد قدم على الأردن وبها بنو أمية وقد بايعوا خالداً، فقال إنكم قد أخطأتم الرأي في بيعه خالد، وقد بايع الناس ابن الزبير وهو ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجل له سن

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٠ أبو تمام، نقائض، ص٦، البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢،ص٢٤٤ النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٨٤

(٢) أبو تمام، نقائض، ص٦

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة،ج٢، ص١١

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٠، النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٨٤

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٤٠

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٢، النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٨٤

(٧) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٤١

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٠

وصلاح في دينه وفضل، وتبايعون أنتم غلاماً حدث السن، ليس له حنكه وتريدون أن تقارعوا به ابن الزبير، قالوا فما الرأي قال أرى أن تبايعوا مروان بن الحكم فإن له سنا وفقها وفضلا، وتشترطون عليه أن يبايع خالد بن يزيد من بعده ففعلوا[1].

وفي الوقت نفسه عمد إلى المكر بالضحاك بن قيس، حيث بادر الى النزول عنده، والتردد عليه كل يوم داعياً إياه إلى التخلي عن الدعوه لإبن الزبير، والدعوه إلى نفسه «العجب لك وانت شيخ قريش تدعو لإبن الزبير وأنت أرضى منه لإنك لم تزل متمسكاً بالطاعة وهو مفارق الجماعة»[2] وكان لذلك أثره عند الناس، حيث إنه لما إستجاب لإبن زياد ودعا إلى نفسه ثلاث أيام قال له الناس أخذت بيعتنا وعهودنا لرجل ثم تدعو إلي خلعه عن غير حدث أحدثه، فلما رأى ذلك عاد إلى الدعاء لإبن الزبير، فأفسد ذلك عند الناس وغيّر قلوبهم عليه[3] محرضاً اياه في الوقت نفسه على الخروج من دمشق «قد بويع صاحبك واستقامت له النواحي وأنت ها هنا قد حصرت نفسك بدمشق، فاخرج فعسكر ناحيه يأتيك الناس من كل صوب، فإنك كبير قريش والمنظور اليه منها»[4] وفي رواية أخرى «من أراد ما تريد لم ينزل المدائن والحصون ويبرز ويجمع اليه الخيل، فاخرج عن دمشق وأضمم إليك الأجناد»[5] فكان ذلك حسب الرواية نفسها من الأسباب المباشرة لخروج الضحاك من دمشق إلى مرج راهط[6] وكان لصيع ابن زياد أثره الكبير عليه حيث كاد أن يؤدي بحياته حيث طعن أثناء تردده على الضحاك، ويبدو أن هذا الصنع كان من أنصار ابن الزبير، الذي لم يرق له تحريض ابن زياد للضحاك على التخلي عن نصره ابن الزبير«فطعنه رجل

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٤٤

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٤ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥،ص١٣١.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٠، ابن كثير، البدايه والنهايه، ج٨، ص٢٤٤.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣١، شاكر مسالة شغور كرسي الحكم، ص١١٠

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٤٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٢٤٤

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٠

بحربه في ظهره وعليه درع فاثبت الحربه، فردّ إلى منزله»[1] وعندما خرج الضحاك من دمشق وحاول إغلاق أبوابها نجد ابن زياد يعيب عليه ذلك «ألا تستحي مما تريد أن تصنع والناس كلهم معك»،[2] هكذا ضعف موقف الضحاك بعد خروجه من دمشق، الذي سارع عمرو بن سعيد من السيطرة عليها بالإتفاق مع ابن زياد[3].

ويؤكد ذلك قول ابن زياد لمروان إني قد أخرجت الضحاك إلى الصحراء وأدخلتها عمرو بن سعيد[4] في حين يرى البلاذري أن عملية الإستيلاء على دمشق جاءت بتدبير من مروان، حيث يذكر أن هناك إتفاقاً حصل بين مروان بن الحكم والضحاك، بحيث يخرج الطرفان إلى مرج راهط حيث تتم البعية هناك من قبل مروان لصالح ابن الزبير في وقت كان إتفاق مسبق قد تم بين مروان وعمرو بن سعيد، بحيث يركب الأخير حسب إتفاقهما جوادا جامحا لا يمكنه من مواصلة المسير فيرجع إلى دمشق لإستبداله ولكن يدخلها ويطرد عامل الضحاك منها، ويغلق الأبواب وينهض بها[5] وعمد ابن زياد بالكتابه إلى مروان بعد خروج الضحاك أن أدع الناس إلى بيعتك، واكتب إلى حسان بن مالك فليأتك فإنه لن يردك عن بيعتك ثم سر إلى الضحاك فقد أصحر لك، وعندما رفض حسان بيعته كتب إليه عبيدالله ان يخرج اليه مروان ومن معه من بني أمية[6] هذا الموقف من ابن زياد في تأييد مروان يعود إلى خوفه على مركزه وحياته إن تولى أحد غير بني أمية، وأكد ذلك ابن كثير الذي قال «وخاف ابن زياد الهلاك إن تولى غير بني أمية»[7] وذهب إلى ذلك زلهايم الذي ذكر

(١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٣، ص١٤٦

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٤٦

(٣) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ص١٣١، المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٤، خريسات، محمد، دور غسان في الحياة العامة، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام «بلاد الشام في العصر الاموي» تحرير محمد عدنان البخيت الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٨٩، ص٢٠٨

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٢

(٥) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ص١٥٦، شاكر، مسالة شغور كرسي الحكم، ص١١٠

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤١

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٤٣

أن الأمويين ومؤيديهم خشوا أن يخسروا الخلافة، ويفقدوا إمتيازاتهم ولا سيما والي العراق المطرود عبيدالله بن زياد[1]

وكان لتردد الضحاك أثره في الجبهة القيسية التي عانت الإرتباك وعدم التجانس السياسي دون أن تكون القضية الأساسية وهي البيعة قد حسمت تماماً في ذلك الوقت، الأمر الذي يثير الإلتباس وخاصة علاقة الضحاك بإبن الزبير، ومدى إقتناع الضحاك بخلافته، وهو المرتبط بعلاقة جذرية مع الأسرة الأموية، ومن هنا تصبح بيعة الضحاك لإبن الزبير موضع شك، حيث وجد نفسه منقسما بين ثلاث مواقف، الأول أموي أملاه عليه موقفه البارز كوالٍ على دمشق مقرّب من الأسرة الحاكمة، والثاني زبيري فرضه التعاطف القيسي معه، والثالث ذاتي إنطلاقاً من الشعور بأنه ندّ لإبن الزبير مثل مروان ومتكافئ معه، من هذا المنظور قد نفسر العلاقة الغامضة بين الضحاك وابن الزبير، الذي لم يمنحه على ما يبدو ثقته التامة لارتباطه العضوي بالأمويين من جهة وخشيته من نفوذه القوي من جهة ثانية[2] ومؤكد هذا الإرتياب قولان، أحدهما منسوب للضحاك في عدم إخلاصه لإبن الزبير «لأن تقطع يدي من هاهنا، ويشير إلى المرفقين ومن هاهنا، ويشير إلى المنكبين، أحبّ إليّ من أن أبايع لعبدالله بن الزبير»[3] والثاني قول عبدالله بن الزبير بعد تلقيه خبر مقتل الضحاك حيث ذكر أنه قال «إن ثعلبا حفر بالصّحصحة فأخطأت إسته الحفره»[4]، ويبدو لنا أن الضحاك بعد تنازل معاويه الثاني عن الخلافة وجد أن من الأفضل له أن يقف إلى جانب ابن الزبير، بإعتباره أكثر الأشخاص المؤهلين لتولي هذا المنصب، ومع ظهور مروان بن الحكم مرشحاً قوياً للخلافة، أصابه التردد

---

(١) زلهايم، رودلف، فتنه عبدالله بن الزبير، تعريب حسام الصغير، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، م٤٩، ع١-٤، ١٩٧٤، ص٨٤٧، وسيشار اليه زلهايم، فتنة عبدالله بن الزبير

(٢) بيضون، مؤتمر الجابية، ص١٦٢

(٣) ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبه الله (ت٥٧١ هـ) تاريخ مدينة دمشق، جزء تراجم حرف العين من (عبدالله بن جابر- عبدالله بن زيد) تحقيق شكري فيصل سكينه الشهابي، مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت، ص١٣

(٤) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص١٣

بين إستمرار التأييد لإبن الزبير وبين التراجع عن ذلك، إلا أنه نتيجة الضغط الذي مارسه أتباعه عليه إضطر إلى الإستمرار في موقفه الداعم لإبن الزبير حتى إنتهى أمره بالقتل على يد أتباع مروان،

٣- مؤتمر الجابية

حتى يتم حسم الأمر نهائياً، إتجهت الأنظار بالذهاب إلى ابن بحدل بالجابية للتفاهم معه، ولتحقيق هذا الغرض تم ما يعرف بمؤتمر الجابية، ويظهر لنا من الأبيات الشعرية المنسوبة لمروان بن الحكم بعد إنتصاره في مرج راهط، أن بعض القبائل التي شاركت في مؤتمر الجابية هي كلب وغسان والسكاسك[1] والسكون[2] وطيئ[3] والقين[4] فضلا عن قبائل جذام (جماعة روح بن زنباع) وعذره[5] وفزاره[6].

وكان أبرز المشاركين في المؤتمر حسان بن مالك أبو سليمان الكلبي، الذي تشير المصادر إلى أن الرياسة إنعقدت له مدة أربعين يوماً[7] والذي كان طامعاً في الخلافة، حيث إدعاها فترة من الوقت كما يذكر صاحب النقائض ثم تنازل عنها[8] وفي ذلك يقول الشاعر:

نزلنا لكم عن منبر الملك بعدما ظللتم وما أن تستطيعون منبر[9]

بحر الطويل

---

(١) السكاسك: بطن من حمير من القحطانيه، القلقشندي، نهاية الإرب، ص٥٩

(٢) السكون: بطن من كنده غلب عليهم إسم أبيهم، القلقشندي، نهاية الإرب، ص٥٩

(٣) طيء: قبيلة من كهلان من القحطانية، القلقشندي، نهاية الإرب، ص٢٢٦

(٤) القين: بطن من قضاعة من القحطانية، القلقشندي، نهاية الإرب، ص٧١

(٥) عذره: بطن من قضاعة من القحطانية، القلقشندي، نهاية الإرب، ص٢٥٩

(٦) فزاره: بطن من ذبيان من غطفان من القحطانيه، القلقشندي، نهاية الإرب، ص٣٩٢

لما رأيت الناس صاروا حــــربا والملك لا يؤخذ إلا غصــــــبا

دعــــــوت غسّان لهم وكلـــــبا والسكسكين رجالاً غلـــــبا

والقين تمشي في الحديد لكـبا والإعوجيات يثبن وثــــــبا

يحملن مشمخرا ودنيا صعبا

المسعودي مروج الذهب، ج٣، ص٩٦، النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٨٨

(٧) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٥، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٢٥

(٨) أبو تمام، نقائض، ص٧

(٩) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٥

والواقع أن مروان كما يظهر لنا من المجادلات التي تمت بين الأطراف الشامية التي تتنازع الموقف السياسي في الشام، بدأ الأوفر حظا حين قدومه للجابيه، وبخاصة بعد أن حصل على تأييد بني أمية ولا سيما فرع بني العاص، كما توصل في الحصول على تأييد عمرو بن سعيد الأشدق[1] بإعتبارهما رئيسيٌ هذا الفرع من بني العاص إلا أنه كما يبدو أن عمرو بن سعيد أدرك أن مروان الأوفر حظاً منه لهذا نجد عمرا يدفع مروان إلى السعي لطلب الخلافة، حيث نسب اليه القول لمروان «أنت سيّد قريش وقرمها وأنت أحق الناس بالقيام بهذا الأمر»[2] وفي رواية أخرى قوله له «بينا أنت المرجو وشيخ قريش، إذ صرت رسولاً لأخي فهر وما أنت من الأمر ببعيد»[3] ومتعهداً له في الوقت نفسه كفايته اليمانية بإعتبارهم لا يخالفونه[4] مقابل أن يكون له مركز في الدولة بحيث يكون له الأمر بعد مروان، إلا أن مروان رفض ذلك، متعهداً له أن يجعله بعد خالد بن يزيد، فرضي الأشدق بذلك، ودعا الناس إلى مروان[5] وكان لهذا التأييد من عمرو بن سعيد لمروان كبير الأثر عنده، حيث يذكر أن مروان بعد أن سمع من عمرو ما سمع أخذ يطمع بالخلافة بحيث يلقى الكلام إلى الرجل، ويضرب الأمثال، ويخبر بحلم آل أبي سفيان وعقولهم وودهم ويقول بنو أبيهم ويذكر إلحاد ابن الزبير وإستحلاله الحرم مع جمعه الأموال وبخله وقلة بذله[6].

بالإضافة إلى الدور البارز الذي قام به عبيدالله بن زياد بعد قدومه من العراق هاربا، سواء في مسعاه في الكيد للضحاك وإضعاف شأنه بين أتباعه، ومن ثم إخراجه من دمشق، أم بالعمل على دفع القبائل إلى تأييد مروان وبذل المال له في سبيل ذلك «وأبذل لك من المال والقوه على عدوك»[7].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٢٩

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٤١

(٣) أبو تمام، نقائض، ص٦

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٠

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٤

(٦) أبو تمام، نقائض: ص٧

(٧) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٨

هكذا ضمن مروان في الجابية تأييد القبائل الشامية وبخاصة اليمانية، وقلة من العناصر المضرية، بإستثناء قلة قليلة من العناصروقفت على الحياد، زهداً في الأمر، وخوفاً من سفك الدماء، وخير ما يمثل هذا التيار أيمن بن خزيم بن فاتك زعيم بني أسد، الذي رفض دعوه مروان إياه للإنظمام اليه، حين وجد به صراعاً قرشياً[١] فترفع عن الأمر رغبه منه في الحفاظ على دينه بعدم قتل أخيه المسلم[٢].

كما يجب أن لا يغيب عن الذاكرة، أن من بين المعطيات التي كانت وراء تفوق مروان على المنافسين له تراثه عبر مراحل التاريخ الإسلامي، وبخاصة في فترة سيدنا عثمان، وما قدمه مروان في ذلك الوقت من التأييد والجهاد في سبيل الخليفة المظلوم، وما قام به مروان بعد قتل عثمان من العمل لتأليب المسلمين ضد عليٍّ وخلافته، بالإضافة إلى دوره البارز في معركة الجمل[٣].

وهكذا فإن رجحان كفه مروان في مؤتمر الجابية كانت محصلة لهذه المعطيات التي يمكن أن نضيف اليها عنصر السن، وما يعنيه في نظر المجتمع الاسلامي من أهمية، بما يضفيه على الشخص من محصلة وتجربة، فمن يطالع أخبار الموقف السياسي في الشام في هذه الفترة يدرك مدى الأهمية التي توليها الروايات لهذه القضية.

والواقع أن هذه المسألة لم تثر لأول مرة، وإنما أثيرت بصورة ما في العهد الإسلامي المبكر، فقد طرحت هذه المسألة في معرض الجدل الذي أثارته بيعه السقيفه، كما أثيرت قبيل بيعه عثمان، وأثيرت أيضاً في عهد معاويه حين أراد البيعة لولده

---

(١) البلاذري: المصدر نفسه، ج٥، ص١٣٥، ابن عبدالبر النمري، بهجة المجالس، ج١، ص٤٨.

(٢) حيث يقول:

لست بقاتل رجلاً يصـــــلي	على سـلطان آخر من قريش
له ســــــلطان وعليّ إثمـي	معاذ الله من ســفه وطيش
أأقتل مسـلما في غير جرم	فلست بنامعي عشت عيشي

البلاذري، أنساب الاشراف، ج٥، ص١٣٥، ابن عبدالبر النمري،بهجة المجالس، ج١، ص. ٤٨.

(٣) راجع عن دور مروان في فتنة عثمان ومعركة الجمل الفصل الثاني.

يزيد، كما أن العرب قبل الإسلام كانوا يؤثرون المسنيين على الفتيان في القيادة، وتلازمت الرئاسة عندهم في الغالب مع الشيخوخة، ولذلك كان لهذه الصفة وقعها في المداولات التي جرت ما بين دمشق والجابية[1] حيث وصف ابن بحدل بأنه «رئيس قحطان وسيّدها»[2] ووصف ابن زياد الضحاك بأنه «كبير قريش»[3] ووصف عبيدالله مروان بأنه «كبير قريش ورئيسها»[4] ووصف الحصين مروان بأنه «شيخ قريش»[5]ووصف عمرو بن سعيد مروان بأنه «جذم قريش وشيخها وسيّدها»[6] ووصف ابن عضاه مروان بأنه «شيخ قريش وسنّها»[7] ووصف رؤوس الشام مروان بأنه«شيخ قريش وسيد بني أمية»[8] في الوقت الذي وصف به خالد بن يزيد بصغر سنه وعدم صلاحيّته للأمر، فوصف ابن زياد خالداً بأنه «غلام»[9] ووصف الحصين خالداً بأنه «صبيّ»[10] وفي رواية أخرى قوله «لا أو آمر الصبيان»[11] وقال أهل الأردن لحسان «جنبنا هذين الغلامين»[12] ووصف ابن عضاه الأشعري خالداً بأنه «حدث السنّ»[13] إلا أنه يبدو للباحث أن هذا الوصف لخالد بن يزيد من المصادر ليس دقيقا،

---

(١) بيضون، مؤتمر الجابية، ص١٦٦-١٦٧

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٥

(٣) الاصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٤٠

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٤

(٥) الاصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٤٠

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٠

(٧) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص١٢٩

(٨) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ص١٣٨

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٠

(١٠) ابو تمام، نقائض، ص١٦

(١١) أبو تمام، المصدر نفسه، ص١٦

(١٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٢

(١٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٢٨

وأن المرشح السفياني قد تجاوز في تلك الفترة الحداثة إلى الشباب، بحيث يتكافأ مع الدور البارز الذي قام به في تسكين الناس بعد خطبته في دمشق في يوم جيرون الأول[1] وفي ذلك يقول صاحب النقائض إنه صعد المنبر فتكلم بكلام استحسن منه وحض الناس على الطاعة[2] كذلك شارك خالد بن يزيد أخاه عبدالله وأخوالهما من كلب في الهجوم على السجن لإخراج الوليد بن عتبة من سجن السلطة القيسية[3] أو في الإحتجاج بقوة على موقف خاله في أعقاب بيعته لمروان في الجابية وتشجيع الناس على ذلك[4] وغير ذلك من المؤشرات التي تحمل على الإعتقاد بأنه لم يكن غلاما على هامش الحوادث كما وصفته الروايات التاريخيه، ولكن يظل صغيرا بالمقارنة مع المتطلعين للخلافة.

ولكن ما حدث في تلك الظروف الصعبة أن المؤتمر بعد أربعين يوما من الجدل لم ير بدأً إستبعاد الأضعف عصبية ونفوذا، وتبنى الأقوى والأقدر على التصدي للمرحلة، بحيث لا يصبح السن هو الإمتياز ولكنها عصبية بني العاص الأقوى في قريش التي إنهزمت أمامها العصبية السفيانية الضعيفة[5].

ولعل بني العاص الذين تمكن مروان من توحيد إتجاهاتهم الثلاثة باتوا يمثلون أقوى العصبيات القرشية بوجه عام، والأموية بوجه خاص، فهناك أبناء عثمان الذين لم يستسيغوا الخلافة السفيانية التي جاءت على أساس الثأر لأبيهم، والتي لم يلقوا منها كما يبدوالتقريب بحيث يتكافأ مع التقريب الذي لقيته هذه الأسرة من والدهم أثناء خلافته، وقد وردت أسماء عشرة منهم عبدالله الأكبر الذي توفي في وقت مبكر، وعبدالله الأصغر، وعمرو وأبان الذي تولى المدينة في عهد عبدالملك، وخالد وعمرو،

---

(١) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ص١٣٢، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٣

(٢) ابو تمام، نقائض، ص١٥

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف،ج١، ق ٤، ص١٣٣ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٣

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص١٣٤، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٤

(٥) بيضون، مؤتمر الجابيه، ص١٦٩-١٧٠

وسعيد الذي قلده معاويه ولاية خراسان[1] والوليد والمغيرة وعبدالملك[2] وقد كان لهؤلاء أولاد كثر عاصروا مؤتمرالجابية وشاركوا فيه، وبنو سعيد بن العاص، وقد عرف من أبنائه العاص الذي قتل في موقعة بدر، وعبيده وعبدالله، وسعيد الذي قتل مع النبيّ في غزوة الطائف[3] وخالد وأبان وعمرو الذي قتل في معركة أجنادين[4] ومن أشهر أبناء هؤلاء سعيد بن العاص الذي برز أسمه في أحداث الكوفة، حين كان والياً عليها وأثار بمقولته الشهيرة حفيظة أهلها عليه[5].

وأما بنو الحكم فهم الذين ينتسبون إلى الحكم بن أبي العاص وقد أوردت كتب الأنساب إلى جانب مروان عدداً من الأبناء منهم عثمان، وعبدالرحمن، والحارث الذي شارك في حملة أفريقية بقيادة والي مصر في عهد عثمان[6] وصالح،وعثمان الأصغر، ويحيى، وأبان وخالد وعبدالله الأصغر[7].

كما أوردت كتب الأنساب عشرة من الأبناء لمروان وهم عبدالملك كبيرهم وولىّ العهد الأول، وعبدالعزيزوالي مصر ووليّ العهد الثاني والذي قاتل في المرج قتالاً عنيفاً وبشر الذي كان صاحب راية يوم المرج[8] ثم والياً لأخيه عبدالملك على الكوفة بعد القضاء على الحكم الزبيري في العراق، وأبان، وعبيدالله، وداود وأبو عثمان، وعمرو، ومحمد والي الجزيرة في عهد والده وأخيه[9].

---

(١) الزبيري، نسب قريش، ص ١١٠-١١١، ابن حزم جمهرة أنساب العرب، ص٨٣

(٢) الزبيري، نسب قريش، ص ١١٠-١١١، ابن حزم، جمهره انساب العرب، ص٨٣

(٣) الزبيري، نسب قريش، ص١٧٤

(٤) الزبيري، المصدر نفسه، ص١٧٤

(٥) الزبيري، المصدر نفسه، ص١٧٦

(٦) الزبيري، نسب قريش، ص١٥٩، ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٨٧

(٧) الزبيري، نسب قريش، ص١٥٩-١٦٠، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨٧

(٨) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٥، ص١٣٩

(٩) الزبيري، نسب قريش، ص ١٦٠، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨٧-٨٨

وفي المقابل كانت العصبية السفيانية ضعيفة وكان ممثلها في الجابية خالد بن يزيد الذي كان يفقد أوراقه تباعا، دون أن يجد تكتلا أسريا يتناسب مع الذي توفر لمروان، فمن المعلوم أنه لم يكن لأبي سفيان سوى معاوية، ويزيد أول ولاه الشام الذي لم يعقب[1] وعتبه الذي لم ينجب أيضاً[2] ومحمد وعمرو وعنبسه الذي وليّ الطائف لمعاوية وحنظلة الذي قتل يوم بدر[3].

ولم يكن لمعاوية أبناء سوى يزيد وليّ العهد، وعبدالله الذي نسب اليه القتال مع الضحاك في مرج راهط ووقع اسيرا في يد عمرو بن سعيد الأشرق[4] أما يزيد فقد إقتصر على عدد من الأبناء، معاوية الذي تولى الخلافة مدة وجيزة، وخالد الذي كان أبرز المنافسين لمروان، فضلا عن عدد من الأبناء، الذين لا يعرف عنهم شيء منهم عبدالله الأصغر، وعبدالرحمن، وحرب، والربيع وعتبة الأعور، وعبيدالله الملقب أصغر الأصاغر[5].

وعلى أثر هذه المؤهلات والتأييد، فإن مروان ذهب الى الجابية، وهو أقوى المرشحين، وعن الجابية نجد أن المصادر تقدم الصورة الكاملة عن المجادلات والإجتماعات ومن ثم الطريقة التى تم فيها إنتخاب مروان، تتحدث المصادر عن ظهور ظاهرة جديدة هناك وهي تكون مجلس الملأ. [6]

والذي ضم في صفوفه زعماء بني أمية وزعماء اليمانية، وكانت مهمة هذا المجلس ملء الفراغ بعد موت الخليفة معاوية الثاني، والعمل على إنتخاب من يخلفه، وكان من كبار رجال هذا المجلس حسان بن مالك، ومالك بن هبيرة الشيباني،

---

(١) الزبيري، نسب قريش، ص١٢٤، ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٤٩

(٢) الزبيري، نسب قريش، ص١٢٥، ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٤٩

(٣) الزبيري، نسب قريش، ص١٢٣-١٢٥، ١٢٦ ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٤٩

(٤) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٥٠، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٤١

(٥) الزبيري، نسب قريش، ص١٢٩

(٦) ابو تمام، نقائض، ص١٢.

والحصين بن نمير السكوني، وروح بن زنباع الجذامي، وعبيد الله بن زياد وعمرو بن سعيد الأموي، وعبد الله بن عضاضة الأشعري، وأبو كبشة جبويل بن يسار السكسكي، وسعيد بن حمزة الهمذاني، وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري.[1] وزمل بن عمرو العذري، وعبد الله بن مسعده الفزاري.[2]

وكان همّ هذا المجلس كما ذكرنا سابقا إبقاء الخلافة في الشام، إلا أن أعضاء هذا المجلس كانوا مختلفي الأهواء، فإبن بحدل ومالك بن هبيره الشيباني يمثلان التيار الذي يريد البيعة لخالد بن يزيد [3] والتيار الثاني يريد البيعه لمروان بن الحكم شيخ قريش، وجذم بني أميه، وابن عم الخليفه المغدور.

وقد عمدت هذ ه الجماعة الى عقد الاجتماعات المتعدده في المسجد لتغليب الرأي فيمن يصلح لتولي الخلافة في هذه الظروف الصعبه من الإنقسام في الشام والأمصار الأخرى، وقد سعى أنصار خالد لتغليب رأيهم والعمل على إقناع الأطراف الأخرى في مسعاهم، وكانت حجة هذا التيار معتمدة على ما لاقته الأطراف اليمانيه من الحب والتقدير من جانب معاويه وابنه يزيد، ومحذرين لهم من مروان وعصبيته، وظهر هذا الأمر بوضوح من كلام حسان للناس، حيث ذكر أنه قال لهم لئن بايعتم مروان ليحسدنكم علاقة سوط وشراك نعل وظل شجره، أن مروان وآل مروان أهل بيت من قيس، فإن بايعتم له كنتم عبيداً لهم فأطيعوني وبايعوا خالد بن يزيد[4]

وعلى هذا النهج أيضا سعى مالك بن هبيره، فقد ذكر أنه قال في سبيل مسعاه لإقناع الحصين بن نمير في العدول عن تأييد مروان، ويلك يا حصين إنك والله ما تزال تقع في سوء وتوقعنا في مثلها، وقد عرفت رأي معاوية كان فينا ورأي إبنه بعده، ثم

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ١٢٨.
- ابو تمام نقائض، ص١٢-١٣.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف.ج٥، ص ١٢٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥.ص٥٣٥-٥٣٦.
النويري، نهايه الارب، ج٢١، ص٨٦.

(٤) ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤١.

هؤلاءالأصاغر من أبنائهم ومثلهم، فأطعني هلم فلنملك خالدا، وبعد رفض الحصين قال مالك ويلك إنك إنسان تايه قد ذهب عقلك، إن آل مروان أهل بيت من قيس قد تعطفوا عليهم في الولادة، وهم أهل بيت قد قاسوا قوت الحجاز وشدته، والله لئن ملكوا ليحسدنك نقاء ثوبك وجلاز سوطك وظل شجره تستظل تحتها[1].

إلا أن أطراف هذا التيار على الرغم من النشاط الواسع لأتباعه، لم يلقوا التأييد الواسع، بعكس التيار الثاني، الذي كان أنصاره في قمة النشاط، وخاصة مروان، حيث ذكر أنه أخذ يقوم بنشاط واسع، حيث ذكر انه أخذ يجلس في المسجد والقوم يتدارسون الموقف، فيلقي الكلام الى الرجل، ويضرب الأمثال، ويخبر بحلم آل أبي سفيان وعقولهم وجودهم ويقول «بنو أبيهم منهم ويذكر الحاد ابن الزبير وإستحلاله الحرم مع جمعه الأموال وبخله وقلة بذله»[2].

وبهذه الطريقة نجح مروان بالحصول على تأييد روح بن زنباع، حيث ذكر أنه لقي روح بن زنباع في المسجد، وناشده قائلا : يا أبا زرعة إنك من هذا الأمر بعيد، واني لا أعلمك من أمري إلا ما قد علمت أنا ابن عم أمير المؤمنين وخليفته في الدار، والذي أوصى بي بعده، فلا تدع من ذكرنا ما انت أهله، ومهما نسيت من شيء فلا تنسين أن تذكر سني ونظري وتجربتي وقرابتي لأمير المؤمنين عثمان مع الشدة في الحدود، والعفاف في الاسلام، وبذل ذات اليد مع قصب ابن الزبير وجمعه ومنعه، قال روح أمرت بمعروف وأوصيت كافيا.[3]

وعلى أثر ذلك نجد أن روح بن زنباع، وهو من زعماء مجلس الملأ يسعى لإقناع القيادة بمروان فذكر أنه قال لهم ما يمنعكم من هذا الشيخ من قريش وهو ابن عم أمير المؤمنين عثمان، وقد أمّر عشر مرات ونزع عشر مرات كل ذلك لا يسخط ولا يخالف ولا يعزل عن خيانة.[4]

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٤.
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٦.
- النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٨٦.

(٢) ابو تمام، نقائض، ص٦.

(٣) ابو تمام، المصدر نفسه، ص١٣.

(٤) ابو تمام،نقائض، ص١٣.

ومن دعاة هذا التيار أيضا ابن زياد، الذي أخذ يلعب دورا مهما لصالح مروان في إقناع زعماء مجلس الملأ، بالإضافة الى الناس المجتمعين بالمؤتمر، حيث ذكر أنه هو وعبد الرحمن بن عبد الله الثقفي دعوا الناس الى مروان، وقال لهم ما لكم في تولية الأحداث خير، وهذا شيخ قريش وسيد بني أمية، وهو ذو رأي وحيلة وتجربة للحرب.[1]

وخوفا من إزدياد الإنقسام، ووقوع الفتنة بين الناس، نجد أن مجموعة من زعماء مجلس الملأ تعمد الى حسم الموقف في إختيار الخليفة، فيذكر أن ابن عضاه أتى خالدا في جماعة من نظرائه من الوجوه، فوجدوه نائما متصبحا، فقال يا قوم أنجعل نحورنا أعراضا للألسنة والسموم بهذا الغلام، وهو نائم في هذه الساعة، إنما صاحبنا لهذا الأمر المجد المشمر الحازم المتيقظ، ثم أتى مروان بن الحكم فألقاه في فسطاط وإذا درعه الى جانبه والرمح مركوز بفنائه وفرسه مربوط الى جانب فسطاطة، والمصحف بين يديه وهو يقرأ القرآن، وكان لهذا المنظر من مروان الأثر في إعجاب القوم به، حيث أنهم ما أن شاهدوه على هذه الحال حتى قال ابن عضاه يا قوم هذا صاحبنا الذي يصلح له الأمر وهو ابن عم أمير المؤمنين وشيخ قريش وسنها[2]

وعلى أثر ذلك بادرت هذه الجماعة الى العودة إلى حسان بن مالك زعيم القوم وأخبروه بالأمر، وأعلموه أنهم مجمعون على مروان لأنه كبير قريش وشيخها، الأمر الذي أجبر حسان الى موافقتهم، وقال لهم رأي لرأيكم تبع، إنما كرهت أن تعدل الخلافة الى ابن الزبير وتخرج من أهل هذا البيت[3]، وعلى أثر ذلك قام حسان خطيبا في الناس ذاكرا أن يوم الخميس هو اليوم الذي سيعلن فيه الخليفة[4].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٨.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٣.
- البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٢٩.

(٣) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ص١٢٩.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٧.

وفي اليوم الذي إتفق فيه على إنتخاب مروان، تكثفت فيه جهود الزعماء لإقناع الناس المؤيدين لخالد بضرورة تأييد مروان، والرضى به لمصلحة الجميع، فذكر أن بعض وجهاء الأردن قالوا إن مروان شيخ قريش وابن يزيد غلام، وابن الزبير كهل وإنما يقرع الحديد الحديد[1].

كذلك ذكر أن روح بن زنباع قام خطيبا قائلا أيها الناس إنكم تذكرون عبد الله بن عمر وصحبته وقدمه في الإسلام، وهو كما تذكرون ولكنه ضعيف وليس بصاحب أمة محمد الضعيف، وتذكرون ابن الزبير وهو كما تذكرون أنه ابن حواري رسول الله، وأمة ذات النطاقين، ولكنه منافق قد خلع خليفتين يزيد وإبنه معاوية وسفك الدماء، وشق عصا المسلمين، وليس المنافق بصاحب أمة محمد، وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الإسلام صدع إلا كان من يشعبه، وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان في يوم الدار، والذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل، وإنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشيبوا الصغير، يعنى الكبير مروان وبالصغير خالد بن يزيد، فاجمع رأيهم على البيعة لمروان.[2]

وعلى أثر ذلك قام حسان بن مالك بإعتباره رئيس مجلس الملأ وشيخ الناس كلها خطيبا حامدا الله ومثنيا عليه، ذاكرا مروان قائلا في بعض كلامه أنه كبير قريش وسنها وابن عم الخليفة المظلوم، والمطالب بدمه قبل الناس أجمعين، طالبا من الناس مبايعته بإعتباره أولى بميراث عثمان، وأحق بالأمر من المخالف ابن الزبير الذي خلع الخلافة وجاهرالله بالمعصية، فسارع الناس الى بيعتة والدعوة له[3].

هكذا كان حسان أول الداعين الى مروان، بعد أن إشترط عليه «ما كان لهم من شروط على معاوية وإبنه يزيد وإبنه معاوية مكانة على أن يكون لهم الأمر والنهي، وصدر

---

(١) الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٥٣٤.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٤، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٢٩.

المجلس وكل ما كان من حلّ وعقد فمن رأى منهم ومشورة».[1] كذلك ممن إشترط عليه مالك بن هبيرة الشيباني الذي يذكر أنه قال لمروان قبل بيعته «ليس لك في أعناقنا بيعة ولا نقاتل إلا عن عرض الدنيا، فإن تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك، وإن تكن الأخرى فوالله ما قريش عندنا إلا سواء، فأجابه مروان الى ما سأل[2]. وقيل ان الحصين كذلك إشترط عليه أن يعطي كنده منطقه البلقاء كإقطاع لهم لقاء تأييدهم له[3]. كذلك إتفق على تعيين خالد وليا للعهد وله إمرة حمص[4]، وعمرو بن سعيد وله إمرة دمشق[5]، وبعد أن تمت البيعة لمروان سار الجميع الى مرج راهط لمقاومة الخارجين وحسم الأمر نهائيا له.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٥، المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٨-١٩، دكسن، عبد الأمير عبد حسين، الخلافة الاموية (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤م-٧٠٥م)، دار النضة العربية، بيروت، ١٩٧٣، ص١٤٤، وسيشار اليه دكسن، الخلافة الأموية.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٥.

(٣) دكسن، الخلافة الاموية، ص١٤٤.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ، ص١٣٥، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٢٧، الفاسي، العقد الثمين، ، ج٧، ص١٦٧.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٢٧، المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٥، ابن ابي الدم، التاريخ المظفري، ص٢٢٨، النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٨٧.

٤- «مرج راهط»

ثمة غموض يكتنف الوضع في مرج راهط[1] خاصة فيما يتعلق بمشاركة القيادات المساندة للضحاك بن قيس في مقاومة الأمويين وحلفائهم من بني كلب، فهذا النعمان بن بشر الذي تختلف الروايات في مشاركته، حيث يشير البعض أنه بلغه خبر الهزيمة وهو في حمص، فخرج هاربا منها يريد المدينة، فلحقه أهل حمص بقيادة خالد بن عدي الكلاعي فقتلوه بقرية تيرين وبعثوا برأسه الى مروان[2] وقيل قتله بورد حمير وباهله[3] وقيل كان قاتله عمرو بن الخليّ الكلاعي، لكون النعمان كان قد حده في الخمر[4] بينما يرى البعض أنه خرج لنصرة الضحاك، الأمر الذي أدى الى مقتله على أيدي أصحاب مروان[5] وتشير المصادر الى مشاركة عدد من أبنائه في المعركة، بحيث قتل ثلاثة أولاد له[6]

أما زفر بن الحارث فقد إختلفت الروايات حول مشاركته في المعركة أم أنه كان لا يزال في قنسرين، فذكر الطبري في إحدى رواياته أنه هرب من قنسرين الى قرقيسيا[7] وفي رواية ثانية من مرج راهط الى الأخيرة[8] وكذلك الأصفهاني يرى مشاركة زفر في المعركة ومنها هرب الى قرقيسيا[9] والمسعودي وابن كثير يكادان يقطعان بمشاركة زفر الى جانب الضحاك وفراره بعد مواجهة خيل اليمانية له مع

(١) ابن الوردي، تاريخه، ج١، ص٢٢٥.

(٢) خليفة، تاريخه، ص٢٦٠، المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٦-٩٧، ابن الوردي، تاريخه، ج١، ص٢٣٦، النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٩١، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١، ص٧٢.

(٣) ابن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص٢٢٨.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٢٩، النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٩١.

(٥) اليافعي، مرآة الجنان، ص١٤٠.

(٦) خليفة، تاريخه، ص ٢٦٠.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٩.

(٨) الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٥٤١.

(٩) الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٤٠.

رجلين من بني سليم لم ينج من القتل بينما تمكن هو من النجاة والإلتحاق بقرقيسيا، وله أبيات من الشعر تؤكد ذلك[1]

وذهب هذا المذهب صاحب النقائض الذي يؤكد مشاركه زفر الى جانب الضحاك، «ومع الضحاك زفر بن الحارث»[2] وناتل بن قيس الجذامي الذي ربما إنسحب من المعركه بعد أن إتضح له خطورتها، ويؤكد ذلك قولهم له فيما ترويه المصادر.

لاطاقه لنا بمروان فالحق بإبن الزبير، لتأمين ونأمن فشخص الى ابن الزبير[3] في حين يذكر النويري انه لم يشارك، وأنه لمابلغه نبأ الهزيمة هرب من فلسطين الى ابن الزبير[4].

ومما يقرب الشك الى اليقين هو غياب الثلاثه عن صدارة المعركه، وإنعقاد الألويه لأخرين من زعماء القيسيه، فقد ذكر أن ناتل بن قيس وجه إبنه في ألفين من أهل فلسطين، ووجه النعمان إليه ابن أبي شمر الإلهاني في الفين وأمده زفر بن الحارث بطريف بن غسان في الفين[5]. وقد إتخذ الضحاك قائدا لميمنته زياد بن عمرو ابن معاويه العقيلي[6]. ولميسرته زفر بن أبي شمر الإلهاني[7]

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٤٦.وفي ذلك يقول:

أريني ســــلاحي لا أبـــــــالك	أرى الحرب لا تزداد الإتمـــــــــاديا
أتاني عن مروان بالغـــــــيب أنه	مقيد دمي أو قاطع من لســــــانيا
ففي العيش منجاة وفي الارض مهرب	اذا نحن رفعنا لهنّ المثانـــــــــيا
فلا تحسبوني أن تغيبت غافـــــــلا	ولا تفرحوا أن جئتكم بلقايــــــــنا

(٢) أبو تمام، النقائض، ص١٧.

(٣) البلاذري أنساب الأشراف. ج٥، ١٤٠.

(٤) النويري، نهايه الارب، ج٢١، ص٩١.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٥، أبو تمام، نقائض، ص ١٥، ابن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص٢٢٨.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٦، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٧.

(٧) البلاذري، انساب الاشراف، ٥، ص١٣٦.

وقيل شرحبيل بن ذي الكلاع الذي إنضم الي مروان بعد ذلك[1]. حيث أناب زفر عن النعمان بقياده أهل حمص[2].

ويظهر لنا من خلال ما إستعرضناه أن الجبهة القيسيه كانت مضطربة، وغير متماسكه حيث ان غياب القيادات الكبيره- إن صح الأمر - كان له تأثير سلبي على الوضع العسكري في مرج راهط برغم ما قيل عن تفوق القيادات القيسيه وصمودها مده عشرين يوما[3]

وفيما يتعلق وبالأعداد فقد أشارت الروايات الى أن ستين الفا قاتلوا مع الضحاك في مرج راهط[4] ، وينخفض هذا الرقم الى ثلاثين ألفا أكثرهم من الفرسان[5]، من قيس عيلان وغيرهم من مضر[6] . وكذلك السكون وغسان وربع[7] وقضاعه وعليهم وائل بن عمرو العدوى[8]

أما الجبهه الثانيه (مروان وحلفاؤه) فقد حسمت قرارها في الجابيه بالقتال على جبهه موحده تضم السكاسك وعنسا[9] وشعبان[10] وكلبا وغسان وموالي معاويه، وليس معهم من قيس إلا ثلاثه نفر منم عبد الله بن مسعود وأخوه عبد الرحمن بن مسعود، ويزيد بن هبيره ويقال مخارق[11]

(١) النويري نهايه الارب، ج٢١، ص٨٨، شاكر،مسأله شغور كرسي الحكم، ص١١١.

(٢) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٥، ص١٣٦.

(٣) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ص١٣٦، النويري، نهايه الارب، ج٢١، ص٩٠

(٤) خليفه، تاريخه، ص٢٥٩، النويري، نهايه الارب، ج٢١، ص٩٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٢، خليفه، تاريخه، ص ٢٥٩، الاصفهاني، الأغاني ج١٩، ص١٤٠.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ٢٦٦.

(٧) الطبري، تاريخ لرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٧.

(٨) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٥.

(٩) عنس : بطن من كهلان من القحطانيه، القلقشندي، نهايه الارب، ص٢٧٩.

(١٠) شعبان : بطن من حمير من القحطانيه.القلقشندي، نهايه الارب، ٣٠٤.

(١١) ابو تمام، نقائض، ص١٦.

وإنعقدت الميمنه للحصين بن نمير[1] وقيل لعمرو بن الأشدق[2] وفي روايه ثالثه لعبيد الله بن زياد[3] والميسره لعبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي[4]. وقيل لعمرو بن سعيد[5]. وقياده الرجاله لعبيد الله بن زياد، والفرسان لحسان بن مالك الكلبي، ومالك بن هبيره السكوني[6] وفي روايه الطبري على الخيل عبيد الله بن زياد وعلى الرجاله مالك بن هبيره.[7]

ويلاحظ من القيادات اليمانيه أن معظمها كانت من بين الأشخاص الذين لعبوا دورا بارزا في أحداث التاريخ الاسلامي في صفين والحّره وكربلاء، وهكذا ذهبت هذه الجماعه الى مرج راهط وهي مصممه على الإنتصار، وخير دليل على ذلك الروايه التي تذكر أن مروان قال لإبن زياد وهو ذاهب الى المرج إياك والفرار يا ابن زياد فرد عليه ابن زياد

سيعلم مروان ابن قسوه إنني   اذا التقت الخيلان غير حيود[8]

بحر الطويل

أما عدد المقاتله تحت القياده المروانيه، فقد كانت قواتهم في الجابيه ستة الاف وفق رواية ابن سعد[9]. وقيل سبعه آلاف[10]. وقيل عشره آلاف[11]. بالاضافه الى

---

(١) ابن قتيبه، المعارف،ص ١٩٦، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٨.

(٢) ابن الكردبوس، الجمان في أخبار الزمان، ميكروفلم، ص١٥٣ب، النويري، نهايه الإرب ج٢١، ص٨٩.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٥، ص ٤٢.

(٤) ابن قتيبه، المعارف، ص١٩٦، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٨.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٢، ابو تمام، نقائض، ص١٧.

(٦) البلاذري أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٨.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٩.

(٨) البلاذري أنساب الأشراف، ج٥، ص١٤٤.

(٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤١.

(١٠) الاصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٤٠.

أربعمائه من جذام إنضم اليهم روح بن زنباع بعد إخراجه من فلسطين[1]. وبعد البيعة لمروان التحق بهم سبعه ألاف من الموالين له في دمشق والأجناد[2]. كان بينهم الفان من موالي عباد بن زياد الذي قدم من حوران[3]. وأربعة آلاف جلهم من مدحج وبعضهم من القين[4]. بالاضافه الى التغلبين الذين إنضموا الى مروان كما يرى دكسن في محاوله منهم لإخراج القيسين من منطقة سكناهم، وليكونوا أحرارا في إستغلال منافعها الإقتصاديه لصالحهم[5]. وبذلك يتجاوز الرقم عما أورده ابن سعد والمسعودي وغيرهما من ان عدد القوات المروانيه(ثلاثه عشر الفا أكثرهم رجاله)[6]. بالإضافه الى ثمانين عتيقا أربعون لعباد بن زياد، وأربعون من سائر الناس[7].

وعلى الرغم مما قيل عن تفوق عدد المقاتلين على الجبهه القيسيه كما سبقت الإشاره، فأن الموازين على ما يبدو كانت متكافئه، حيث أن الأرقام تعوزها الدقه في الغالب، ولاسيما الرقم الذي قدرته الروايات عن مقاتلي هذه الجبهه الذين أخفقوا في السيطرة على الوضع خلال عشرين يوما من القتال العنيف المستمر[8]. في الوقت الذي سيطر على دمشق التي شكل سقوطها، ضربة كبيره للجبهه القيسية، وقد نسبت هذه العمليه الى زعيم غسان يزيد بن أبي النمس الذي (كان مختبئا بها)[9]. أبان مؤتمر الجابية على نحو ما أشارت اليه الرواية التاريخيه بأن يزيد بعد أن

---

(١١) أبو تمام، نقائض، ص١٥.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤١.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣٦.

(٤) ابو تمام، نقائض، ص١٧.

(٥) دكسن، الخلافه الامويه، ص٢٧.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٣٦، خليفه، تاريخه، ص٢٥٩، ابن العماد الحنبلي، مروان الذهب ج١ ص٧٢.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤١.

(٨) ابن سعد المصدر نفسه، ج٥، ص٤٢، خليفه، تاريخه، ٢٥٩.

(٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٧، النويري، نهايه الارب، ج٢١، ص٨٩.

تناهى اليه نزول مروان في مرج راهط، ثار باهل دمشق في عبيدها فغلبت عليها وأخرج عامل الضحاك عنها وغلب على الخزائن وبيت المال، وبايع لمروان وأمده بالأموال والرجال والسلاح فكان ذلك أول فتح على بني أميه[١].

وإستخلف عليها مروان حسب الرواية التاريخيه عبد الرحمن بن ام الحكم[٢]، وقيل أنه هو الذي غلب عليها وبايع لمروان[٣]. وبسب سقوط دمشق إضطر الضحاك الى الإستجابه للتفاوض مع مروان على إيقاف الحرب وتحقيق التسويه بين الطرفين، وكان العرض المرواني مكيده من عبيد الله بن زياد الذي أشار على مروان بعد أن طال أمد الحرب أن يبعث السفراء الى الضحاك، للكف عن القتال، حتى اذا مال القيسيون إلى الموادعة، شد عليهم مروان ، وهذا ما تؤكده الروايات حيث تذكر أنه لما التقى مروان والضحاك بمرج راهط قال عبيد الله لمروان إن فرسان قيس مع الضحاك فلن تنال منه ما تريد الإ بمكيده فأرسل اليه فاساله الموادعه حتى ننظر في أمرك على أنك إن رأيت البيعة لإبن الزبير بايعت ففعل، فأجابه الضحاك إلى الموادعة وأصبح أصحابه وقد وضعوا سلاحهم وكفوا عن القتال، فقال ابن زياد لمروان دونك فشد مروان ومن معه على عسكر الضحاك على غفلة منهم وإنتشار، فقتلوا من قيس مقتله عظيمة وقتل الضحاك قتله زخنه بن عبدالله الكلبي، وقتل معه ثمانون رجلا من إشراف الشام ممن كانوا يأخذون القطيفة، والذي كان يأخذ القطيفة يأخذ الفين من العطاء[٤].

وقيل أن سبب الهزيمة يعود إلى مكيدة كانت من عبيدالله بن زياد كاد بها الضحاك حيث دعاه إلى الدعاء لنفسه بدل ابن الزبير الأمر الذي أدى إلى إضطراب

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج٥، ص٥٣٧، النويري، نهاية الارب، ج٢١، ص٨٩..

(٢) أبو زرعه، تاريخه، ج١، ص٢٣٣-٢٣٤، ابو العرب، المحن، ص١٩٠.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص٧٠-٧١

(٤) خليفة، تاريخه، ص٢٦٠ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٧، المسعودي، التنبيه والإشراف،ص٢٦٧، ابن عبدالبر، الإستيعاب، ج٢، ص٧٤٥-٧٤٦، البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص٢٥٠، ٢٥١، النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٩٠، الذهبي، سيرأعلام النبلاء، ج٣، ص٥٤٧، مجهول ، تاريخ اخلفاء، ص٢١٦ .

الجند ومقتله «قال له مالك والدعاء إلى ابن الزبير، وأنت رجل قرش، ومعك الخيل وأكثر قيس، فادع لنفسك فأنت أسن منه وأولى ففعل الضحاك ذلك، فاختلف عليه الجند فقاتله مروان عند ذلك فقتل»[1] وفي رواية أخرى أن الذي طلب منه ذلك أنصاره بعد نزوله في مرج راهط، وهذا ما يؤكده صاحب النقائض حيث يذكر أنه لما نزل الضحاك المرج قال لإصحابه غاب ابن الزبير وشهدت بنو أمية، وأنت شيخ قريش فلو دعوت إلى نفسك، قال ويحكم لا تدعنا بنو قصي ولا سيما بنو أمية، فقالوا والله ما أنت دون الرجلين ابن الزبير ومروان فلم يزالوابه حتى دعا الى نفسه والناس يومئذ على هوى بين زبيري وبحدلي[2].

ويرى لامنس أن الأسباب الحقيقية التي هيأت النصر لليمانية على القيسية في مرج راهط هو نجاح اليمانية من فصل القضاعيين واليمانيين المنشقين عن انتماءاتهم القبلية والمنضمين في صفوف جيش الضحاك، والثاني هو الإستيلاء على دمشق وعلى بيت المال، ومدّ جيش مروان بالمال والرجال، وتأثير ذلك على معنويات جيش الضحاك، والثالث هو شعور بعض الشاميين المتذبذبين في ولائهم كم سيكلفهم مبايعة شخص من الحجاز من فقدانهم لإمتيازاتهم وذلك بنقل مركز الحكم إلى الحجاز فانضموا إلى جيش الأمويين[3] ويضيف البعض أيضا إن هزيمة القيسين في مرج راهط تلقى في كثير من تبعاتها على ابن الزبير، حيث جاء دعمه العسكري لحلفائه متأخراً، وبذلك فوت عليه مرة أخرى الفرصة النادرة في إثبات وجوده وراء الحجاز[4]

ومما يجدر ذكره أن مروان قد قاتل يوم المرج قتالا عنيفا، ويؤكد ذلك الرواية التي تذكر أن مروان مر على حبيب بن كره وهو حامل راية، فدفعه في ظهره قائلاً له إدن برايتك لا أبالك إن هؤلاء لو قد وجدوا لهم حد السيوف إنفرجوا إنفراج الرأس

---

(١) النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٩٠

(٢) ابو تمام، نقائض، ص١٥

(٣) شاكر، مسألة شغور كرسي الحكم، ص١١١

(٤) بيضون، ابراهيم، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩، ص٢٠١، وسيشار اليه بيضون، ملامح التيارات السياسية.

وإنفراج الغنم عن راعيها[1] وفي رواية أخرى إن مروان مر على رجل من محارب في نفر يسير تحت رايه يقاتل عن مروان، فقال له مروان يرحمك الله لو أنك إنضممت بأصحابك فإني أراك في قلة، فرد عليه الرجل إن معنا يا أمير المؤمنين من الملائكه مدد أضعاف من تأمرنا ننضم اليه، فسرّ بذلك مروان وضم أناسا اليه ممن كان حوله[2] كما يذكر لمروان في المرج أنه أول من أبطل الصف في الحروب وصار إلى تعبئة الكراديس[3].

وبعد أن حلّت الهزيمة بالقيسين أمرمروان بوقف القتال «وأن لا يتبع أحد»[4] علّه يجد من بينهم بعض الأنصار في المستقبل، فيصل ما إنقطع ليحقق توازنا بين القوى على رأي الباحث المحدث[5] بعد أن قتل من جماعة القيسيين ثلاثة آلاف[6] وقيل تسعة آلاف من القيسيه والف وثلثمائة من اليمانية[7] رغم أن مروان عبر عن أسفه على القتلى حتى يذكر أنه قال الآن حين كبر سني ودق عظمي أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض[8].

وبعدها أمر مروان الناس أن يلتحقوا بأجنادهم[9] ثم عاد إلى دمشق حيث نزل في دار معاوية، وهناك تلقى بيعه عامة[10] وفي هذ المناسبة قال بعض الأنصار:

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٣٩

(٢) الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٥٣٩

(٣) ابن خلدون، تاريخه، ج١، ص٢٨٨

(٤) ابن الوردي، تاريخه، ج١، ص٢٣٥

(٥) الناطور، شحادة، جند الأردن ودور القبائل اليمنية في إسترداد سلطة بني أمية، المؤرخ العربي، م١٢، ع٣٠، ١٩٨٦، ص١٦٥، وسيشار اليه الناطور، جند الأردن.

(٦) اليافعي، مرآة الجنان، ص١٤٠

(٧) ابو تمام، نقائض، ص١٧

(٨) الطبري، تاريخ الرسل، والملوك، ج٥، ص٥٣٩

(٩) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٨٨

(١٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٢، ابن الوردي، تاريخه، ج١، ص٢٣٥-٢٣٦

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها اليك حتى قلّدوك طوقها[1]

بحر الرجز

ثم عمد إلى إرسال العمال على الأجناد[2] والتي كان أربعة منها قد خضعت له وهي الأردن ودمشق وحمص وفلسطين بالإضافة إلى الجزيرة[3] والمبادرة إلى دعوة الأمويين من الأردن[4] الذين كانوا قد نزحوا إليه بعد سيطرة القيسين على دمشق ومعهم أرملة يزيد بن معاوية الذي أقدم على الزواج منها، وتختلف المصادر في وقت الزواج منها فالطبري وكذلك ابن سعد والنويري يذكرون أن مروان تزوج بها في تدمر قبل مؤتمر الجابية في محاولة منه ليسقط خالداً من أعين الناس[5] ويقدم البلاذري رواية عن المدائني يذكر فيها أن مروان تزوج بفاختة بعد إستعادت مصر من قبضه ابن الزبير[6] في حين يؤكد البعض أن تاريخ الزواج قد وقع قبل المؤتمر ومعركة مرج راهط، لكون المروانيين برأية حرصوا على أن يذهبوا إلى الجابية وهم جبهه واحدة[7] ويضيف البعض الآخر في السياق نفسه أن دوافع الزواج هو محاولة من مروان لربط الدوحتين المروانية والسفيانية بقرابة النسب[8]

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٣١

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٢، المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٧، عاقل، نبيه، التاريخ الاموي، اعداد مأمون حمدي، د.ن. د.م ١٩٦٥، ص٤٠

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٤٦

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٤٤

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٥٤١، النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص٩٢

(٦) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٣، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٤٥

(٧) شاكر، مسألة شغور كرسي الحكم، ص١١٠

(٨) يلياييف، س، العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة أنيس فريحة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص١١٠، وسيشار اليه يلياييف، العرب والإسلام.

وفي المقابل فإن مروان ما لبث حتى عمد إلى التحلل السريع من إتفاق الجابية، حيث أنه في طريق عودته من مصر عرّج على حسان بن مالك أخذا البيعة لإبنيه عبدالملك وعبدالعزيز[1] ولعل هذ المسألة كانت السبب المباشر في وفاة مروان المبكره والتي إتفقت الروايات على أنها كانت نتيجة مؤامرة دبرتها إمرأته، إلا أنها تختلف في الوسيلة التي لجأت إليها، فالبعض يرى أنها سقته لبنا مسموماً[2] والبعض يرى أنه تم قتله عن طريق الخنق وذلك بعد الكلام المزري الذي خاطب به مروان ابنها خالداً، إذ تذكر المصادر أنه بعد أن أخبرها خالد بالأمر، وثبت هي وجواريها عليه وهو نائم، ثم عمدت إلى وساده فوضعتها على وجهة فلم تزل هي وجواريها يغممنه حتى مات[3].

هكذا إنتهت خلافة مروان بعد مدة إختلفت المصادر في تقديرها، فالبعض يرى أنه مكث سنه[4] وقيل تسعة أشهر وأيام قلائل[5] وقيل ثمانية أشهر[6] وقيل ستة أشهر[7] عن عمر يناهز الثامنة والستين[8] وقيل الأربعة والستين[9] وقيل الثلاثة والستين[10].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٢، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٥٠

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٤٥، المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٩-٢٠، الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص١٦٨

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ٤٢-٤٣، ابن قتيبة، المعارف، ١٩٩، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص١٤٥، المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٩٧-٩٨ ابن عبدالبر الإستيعاب، ج٣، ص١٣٨٩، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج١، ص١٦٩-١٧٠

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ١٤٥

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٩٨

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٣

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٣

(٨) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٣، ص١٣٨٩

(٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٣

(١٠) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٩٨

ومما يجدر ذكره أن معركة مرج راهط على الرغم مما حققته من إنتصار على القيسين، وحافظت على ملك بني امية ، إلا أنها كانت نتائجها السلبية على المجتمع العربي ، حيث تدهورت العلاقات العربية - العربية الى أقصى حد ، وبدأت العصبية القبلية تزداد تأججا ما بين قيس وتغلب ، وبين كلب وقضاعة وشهدت تلك الفترة أياما دامية كانت قد بدأت في بنات قين[1] عندما أغارت فزاره على كلب[2] ثم إستقرت نارها بين قيس وتغلب وكان في طليعتها يوم ماكسين[3] الذى لقيت فيه تغلب هزيمة قاسية[4] ثم يوم الثرثار [5] عندما حشدت تغلب قواتها للثار محققة ذلك في الأول، ولكنها عادت فانهزمت في الثاني بعد إنضمام بني عامر الى قيس[6] ويوم الفدين[7] إثر غارة عمير على هذه الأخيرة وإكتساح «ما فيها وقتل عامة أهلها» من بني تغلب[8] ويوم السكر[9] حيث هزمت تغلب [10] إلى غيرها من الأيام الدامية التي تعيد للذاكرة أيام العرب في الجاهلية بما فيها من شدة وقسوة في الوقت الذي فشل فيه النظام القائم من تحقيق تسوية بين الطرفين.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥ ،ص ٣١

(٢) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥،ص ٣١

(٣) بلد بالخابور ، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٤٣

(٤) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٥ ، ٣١٧

(٥) الثرثار: واد عظيم بالجزيرة بين سنجار وتكريت، ياقوت، معجم البلدان، ج٢ ، ص٧٥

(٦) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٥ ، ص٣١٨-٣٢٠

(٧) الفدين: قرية على شاطئ الخابور ما بين ماكسين وقرقيسيا، ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٤٠، البلاذري، أنساب الاشراف، ج٥، ص٣٢١

(٨) البلاذري، أنساب الاشراف، ج٥ ،ص ٣٢١

(٩) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥،ص ٣٢١

(١٠) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥ ، ٣٢١، وللتعرف على الأيام الأخرى التي وقعت بين الطرفين انظر البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥ ، ص٣٢٢، وما بعدها.

الفصل الخامس

الأوضاع العامة في عهد مروان

١- علاقة مروان بابن الزبير

أ- بالشام

ب- مصر

جـ- الحجاز

د- العراق

٢- الإدارة في عهد مروان.

٣- الثقافة والعلم

أ- القراءات.

ب- الحديث روايته وتدوينه.

جـ- الفقه.

د- التفسير.

هـ- الشعر.

و- الكيمياء

١- «علاقة مروان بابن الزبير»

عرفنا سابقاً أن ابن الزبير كان من أقوى المرشحين لتولي الخلافة، بعد أن فشل البيت السفياني في الحفاظ على الخلافة، وما رافق ذلك من الانقسام والخلاف بين الناس، إلا أنه بعد ظهور مروان وجدنا الناس ينقسمون في الشام إلى ثلاث فرق: فرقة مؤيدة لابن الزبير، وفرقة مؤيدة لمروان، وفرقة ثالثة مؤيدة لخالد بن يزيد، وقد استمر الوضع على ذلك حتى حسم الأمر نهائياً لمروان في مؤتمر الجابية، ولذلك نجد مروان بعد أن تولى الخلافة يعمد إلى تصفية الموقف لصالحه، وضم البلاد الإسلامية إلى خلافته، والتي كان معظمها مؤيداً لابن الزبير.

أ- الشام

كان أول عمل قام به مروان في تصفية الموقف لصالحه هو السعي للقضاء على أنصار ابن الزبير المتمركزين في مرج راهط، وقد استطاع مروان كما عرفنا سابقاً بعد قتال عنيف هزيمة انصار ابن الزبير وقتل زعيمهم الضحاك بن قيس[١] في الوقت الذي عمد فيه الزعماء الآخرون المبايعون لابن الزبير إلى الهرب، فهرب زفر بن الحارث من قنسرين إلى قرقيسياء[٢] والنعمان بن بشر الذي قبض عليه أثناء الهرب وقتل[٣] وناتل بن قيس نجده يهرب بعد أن قال له قومه «لا طاقة لنا بمروان فالحق بابن الزبير لنأمن» فترك فلسطين ولحق بابن الزبير[٤] وبعد نجاح مروان في

(١) خليفة، تاريخ، ص ٢٦٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٣٧، المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٦٧، البياسي، الإعلام بالحروب، ج١، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٤١، الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص ١٤٠.

(٣) خليفة، تاريخه، ص ٢٦٠، المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٩٦-٩٧، النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص ٩١، ابن الوردي، تاريخه، ج١، ص ٢٣٦، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١، ص ٧٢.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٤٠، النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص ٩١.

تصفية أنصار ابن الزبير، نجده يعمد إلى توزيع العمال على الأجناد في الشام، والتي أصبح ثلاثة منها على الأقل تابعة له، بالإضافة إلى الجزيرة[1].

ب- مصر

وعلى أثر هذا النجاح الذي حققه الخليفة مروان بن الحكم بالشام من تصفية الموقف لصالحه، نجده يعمد إلى مواصلة العمل على توحيد باقي أمصار الدولة الإسلامية تحت سلطته، ومقاومة الخارجين عليه وخاصة ابن الزبير، وكانت أولى خطوات مروان بن الحكم في هذا الاتجاه هو العمل على احتلال مصر باعتبارها أهم أمصار الدولة الإسلامية، وما تشكله من عمق استراتيجي لبلاد الشام، أضف إلى ذلك أن عملية فتحها لا يحتاج إلى كثيرمن الجهد، لما يكنه أكثر أهلها من الحب والولاء لبني أمية، ويؤكد ذلك أنه لما وصل إلى مسامع أهل مصر بيعة مروان، أصبحوا معه في الباطن، وفي الظاهر مع ابن الزبير[2].

ونتيجة لذلك، نجد أن مروان بن الحكم يجهز جيشاً من أهل الشام ويسير إلى مصر، ومعه مجموعة من الزعماء والقادة أمثال عمرو بن سعيد وحسان بن مالك بن بحدل، ومالك بن هبيرة السكوني[3] وكان والي مصر من قبل عبد الله بن الزبير في هذه الفترة عبد الرحمن بن جحدم الذي كان كما يبدو لم يكن يلقى القبول الكثير من أهل مصر، نتيجة غلبة الخوارج عليه[4].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٤٦.

(٢) الكندي، محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م) ولاة مصر، تحقيق حسين نصّار، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ٦٤ وسيشار إليه الكندي، ولاة مصر.

(٣) خليفة، تاريخه، ص ٢٦١، اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ٢٥٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص ١٦٥.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٤٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ١٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٥٨.

وكان مروان عندما سار إلى مصر قد بعث بقسم من جيشه مع ابنه عبد العزيز وأمره أن يسير إلى مصر من جهة أيلة[1] ويبدو أن هذا التقسيم الذي قام به مروان بن الحكم للجيش فيه الدليل على خبرة عسكرية، بحيث كان يهدف مروان من ورائه تشتيت قوة خصمه العسكرية ليكون الأمر أكثر سهولة في تحقيق الانتصار عليه، وقد أتت خطوة مروان في تقسيم الجيش ثمارها، حيث إن ابن جحدم لما وصل إلى مسامعه، مسير مروان إليه من جهات عدة، بادر إلى مواجهته بتقسيم جيشه إلى ثلاثة بعوث، بعث وجهه ابن جحدم عن طريق البحر بقيادة الأكدر بن حمام اللخمي ليخالف أهل الشام في عيالهم، وبعث في البر استعمل عليه السائب بن هشام بن كنانة العامري، وبعث ثالث بقيادة زهير بن قيس البلوى إلى أيلة ليمنع عبد العزيز من دخول مصر، إلا أن هذه البعوث لم تلبث حتى رجعت خائبة، ففيما يتعلق بالمراكب لم تلبث حتى فشلت على أثر هبوب عاصفة عليها فغرق بعضها ونجى البعض أما السائب فإن مروان كان قد أخذ بإشارة من روح بن زنباع ابنين له من فلسطين، ولما التقى الطرفان هدده مروان بقتل ولديه أو العودة من حيث أتى، فرجع السائب ولم يقاتل فسمى جيشه جيش الكرارين، وأما زهير بن قيس فإنه لقى عبد العزيز ببصاق فقاتله، فانهزم زهير ومن معه[2].

ولا شك أنه كان لهذه الهزيمة التي أصيب بها جيش ابن جحدم الأثر الكبير على معنوياته، في الوقت الذي تشجع فيه مروان لمواصلة المعركة لحسم الأمر لصالحه، ولذلك نجد مروان خلال فترة وجيزة يدخل إلى مصر حتى وصل إلى عين شمس وهو مكان قريب من الفسطاط[3] وما أن وصل مروان إلي هناك حتى عمد إلى مواجهة ابن جحدم، الذي كان مخندقاً في خندق قد حفره قبل وصول مروان اليه[4].

---

(١) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٤٢.

(٢) الكندي، الولاة و القضاة، ص ٤٣، ولاة مصر، ص ٦٥-٦٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٤٩، الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١-٨٠هـ)، ص ٤٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص ١٦٥.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، (حوادث سنة ٦١-٨٠هـ)، ص ٤٢، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١، ص ١٦٥.

وقد استمر القتال بين الطرفين يوماً أو يومين والتي أطلق عليها أيام التراويح لأن أهل مصر كانوا يتناوبون القتال أي قسم يقاتل وقسم يستريح[1].

وكان لهذا القتال نتائجه السلبية حيث قتلت الأعداد الغفيرة من الطرفين، وفي نهاية هذا القتال يستطيع مروان من تحقيق الإنتصار وهزيمة ابن جحدم[2] وبعد ذلك نجد أن مجموعة من الأشخاص يسعون إلى الصلح أمثال كريب بن أبرهة، وعابس بن سعيد، وزياد بن حناطة، وعبد الرحمن بن موهب المعافري[3].

وقد تم الإتفاق على أن يخلي ابن جحدم مصر ويلحق بمأمنه، وأن يدفع إليه مالاً وكسوة، فأجاب مروان إلى ذلك وكتب لهم بيده كتابا يؤمنهم على جميع ما أحدثوه[4] وهكذا تمكن مروان بن الحكم من دخول مصر فاتحا في غرة جمادي الأولى سنة ٦٥هـ، وبعدها شرع مروان في تثبيت أركان حكمه وذلك ببذل العطاء للناس وتلقيه البيعة[5].

ولا شك أن الاقبال على بيعته كان كبيراً باستثناء مجموعة من المعافر رفضوا بيعته وأصروا على بيعتهم لابن الزبير، الأمر الذي دفع مروان إلى تصفيتهم، حيث قتل ما يقارب الثمانين رجلا من بينهم زعيمهم الأكدر بن حمام بن عامر سيّد لخم وشيخها[6] وقد كاد أن يكون لهذا الفعل الذي قام به مروان آثاره السيئة عليه، وخاصة من قبل الجند الذين بادروا على أثر سماع قتل مروان للأكدر إلى التنادي

---

(١) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٤٤، ولاة مصر، ٦٦، الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١-٨٠هـ)، ص ٤٢.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١-٨٠هـ)، ص ٤٢، ابن كثير البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٥٩، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١، ص ١٦٥.

(٣) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٤٤، اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص ٢٥٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٥٩.

(٤) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص ١٦٥.

(٥) خليفة، تاريخه، ص ٢٦١، اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص ٢٥٧.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١-٨٠هـ)، ص ٤٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٥٩، ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص ١٦٦.

ولبس السلاح، وحصر مروان في دار الإمارة إلا أن مروان بما تميز من حكمة عمد إلي استمالة كريب بن أبرهة، الذي يبدو أنه كان مسموع الكلمة من الجند، ولذلك بعد خروج كريب من عند مروان أمر الجند بالتفرق فتفرقوا وانتهى الأمر لصالح مروان[1].

وبعد أن استقر الوضع لمروان في مصر، نجده يعمد إلى ترتيب أوضاعها وذلك بجعل ولاية مصر وصلاتها وجبايتها إلى عقبة بن نافع[2] إلا أن هذه التولية لا تؤيدها المصادر الأخرى التي تجعل ولاية مصر لابنه عبد العزيز بن مروان[3] وبعد أن أقام مروان في مصر شهرين نجده يخرج عائداً إلى الشام، بعد أن أوصى ابنه بالتحبب إلى الناس وتقريبهم والعدل بينهم[4] والتي كشف مروان من خلالها عن معرفته لإدارة وسياسة الناس كما كشف عن معرفته بطبيعة أهل مصر ومدى الإخلاص الذي يبدونه لواليهم إذا عمّهم بإحسانه.

جـ- الحجاز

إلا أن مروان ما كاد يصل إلى فلسطين حتى وصل إلى مسامعه خبر الجيش الذي أرسله ابن الزبير بقيادة أخيه مصعب لاستعادة الشام[5] ولذلك بادر مروان إلى

---

(١) الكندي، الولاة والقضاة، ٤٦.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥،ي ص ١٤٩.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٢٥٧، النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص ٩٥، الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١-٨٠هـ)، ص ٤٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٥٩.

(٤) يشير الكندي إلى وصية مروان لابنه عبد العزيز، حيث قال مروان لإبنه «أوصيك بتقوى الله في سرّ أمرك وعلانيتك فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأوصيك أن لا تجعل لداعي الله عليك سبيلا فإن المؤذنين يدعون إلى فريضة افترضها الله عليك، وأوصيك أن لا تعد الناس موعدا إلا أنفذته وإن حُملت على الأسنّة، وأوصيك أن لا تعجل في شيء من الحكم حتى تستشير فإن الله عزّ وجل لو أغني أحدا عن ذلك لأغنى نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالوحي الذي يأتيه قال الله عزّ وجلّ: «وشاورهم في الأمر»، الكندي، الولاة والقضاة، ص ٤٧-٤٨.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٦١٠، ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ٢٧.

ارسال عمرو بن سعيد الأشدق لمقابلته، وفعلاً لقيه عمرو بن سعيد قبل دخوله الشام فقاتله حتى هزم مصعب وأصحابه[1].

ويبدو أنه كان لهذه الحملة التي وجهها ابن الزبير لاستعادة الشام الأثر الكبير عند مروان، الذي ما لبث بعد أن تم هزم مصعب حتى بادر إلى تجهيز جيشين، الأول إلى العراق بقيادة عبيد الله بن زياد الذي أمره مروان بالمسير اليه وذلك لمعرفته بالبلاد لكونه كان والياً عليها سنوات عديدة، وأمره أن يكون والياً عليه وعلى ما فتحه من البلاد الأخرى[2].

والجيش الثاني وجهه مروان إلى الحجاز بقيادة حبيش بن دلجة والذي بلغ عدده ستة آلاف وأربعمائة،و فعلاً سار حبيش بهذا الجيش حتى وصل إلى وادي القرى، وقد استطاع حبيش من دخول المنطقة، وإجبار والي ابن الزبير فيه على الحرب، وفرض ضريبة على أهله[3]. وكان لدخول حبيش وادي القرى وقعة السيء على أهل المدينة الذين بادروا عندما وصل إلى مسامعهم العنت والضيق الذي اصاب أهله نتيجة أعمال حبيش إلى التغيّب، حتى يذكر أن عامل ابن الزبير فيها وهو جابر بن الأسود بن عوف بادر إلى الهرب[4].

ولا شك أن هذا التصرف من أهل المدينة، كان له الأثر في تشجيع حبيش بن دلجة، الذي بادر إلى الاقتراب من المدينة حتى عسكر بالجرف، ونتيجة لهذه الهزائم التي منى بها عمّال ابن الزبير الأثر عنده، لذلك بادر بالإرسال إلى الحارث بن عبد

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٦١٠، النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص ٩٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٥٩.

(2) خليفة، تاريخه، ص ٢٦١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٦١١، ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ٣٧، البياسي، الإعلام، ج٢، ص ٢٥٦.

(3) اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص ٢٥٦، الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١-٨٠هـ)، ص ٤٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٥٩.

(4) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٥١، اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص ٢٥٦، البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص ٢٥٦، النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص ٩٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٥٩.

الله ابن أبي ربيعة عاملة على البصرة يأمره أن يوجه من عنده جيشاً لمساعدته وفعل نفس الشيء مع عاملة على الكوفة[1].

وقد استجاب هذان العاملان اليه، حيث وجه الحارث الحنتف بن السجف التميمي في ثلاثة الآف وقيل في ألفين، ووجه ابن مطيع عامل الكوفة محمد بن الأشعث بن قيس في ألفين، وفي الوقت نفسه أرسل ابن الزبير من عنده بعث بقيادة مسروق النصري، وقد التقى هذا البعث مع حبيش بن دلجة قرب المدينة، قبل دخول حبيش وقد أسفر القتال عن هزيمة أتباع ابن الزبير[2].

وبعد ذلك نجد أن حبيش بن دلجة يدخل المدينة وينزل دار مروان، وبعد ذلك خطب بأهل المدينة مهدداً لهم وموبخاً إياهم على اتباعهم ابن الزبير، إلا أنه لم يتعرض لهم بالقتل اتباعاً لوصية مروان بن الحكم فيهم[3].

في هذا الوقت وصلت الأخبار إلى حبيش باقتراب جيش الحنتف بن السجف في بعث أهل البصرة، الأمر الذي دفع حبيش بإشارة ممن حوله بالخروج من المدينة، حتى لا يتلقى المعونة من أهل المدينة ومدد عبد الله بن الزبير[4].

وفعلاً خرج حبيش في أربعة الأف من أصحابه بعد أن جهزهم بالعدة والسلاح، وبعد أن خلّف في المدينة قسماً من جيشه وولىّ عليهم رجلاً من أهل الشام يقال له ثعلبه[5] ولما ورد حبيش الربذة وجد الحنتف قد سبقه إليها وهناك أخذ حبيش يدعو

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٢٥٦، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٦١٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ٣٨ ، البياسي، الإعلام، ج٢، ص ٢٥٦، الذهبي، تاريخ الإسلام، (حوادث سنة ٦١-٨٠هـ)، ص ٤٣ .

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٥١، اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص ٢٥٦، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٦١٢، البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص ٢٥٦.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٥ ، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٥١-١٥٢ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٦١٢، البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص ٢٥٦.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٦١٢، البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص ٢٥٦.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٥٢، البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص ٢٥٦.

إلى طاعة مروان والحنتف إلى طاعة عبد الله بن الزبير، ولما لم يقبل أي طرف دعوة الآخر وقع القتال بين الطرفين ثم إن كمين الحنتف خرج إلى الشاميين ونتيجة لذلك انهزم أصحاب حبيش، وتفرقوا في كل وجه، بعد أن قتل حبيش بن دلجة[1] وبذلك انهزم الشاميون، وقتلوا قتلاً ذريعاً، وأسر منهم نحو الخمسمائة نفس، وهرب منهم ثلاثمائة فأتوا المدينة، ثم لم يلبث أهل المدينة حتى قبضوا عليهم و أصبحوا ضمن الأسرى[2] وبعدها قدم الحنتف بالأسارى إلى المدينة، وقد خرج إليه أهلها وتلقوه واستبشروا به وقالوا عنه ما هو بالحنتف وإنما هو الحتف، ثم لم يلبث ابن الزبير حتى بعث أخاه مصعباً والياً على المدينة والقتل الأسرى[3] وعند ما قدم مصعب أخذ الأسرى وقتلهم بالحرّة في مصارع ابن الغسيل وأتباعه. وبعدها خطب بأهل المدينة داعياً إياهم إلى طاعة الله وطاعة ولاتهم، وبعد أن أقام مصعب بالمدينة خمسة أيام رجع إلى مكة ثم ولاه أخوه العراق فشخص إلى البصرة وولىّ عبد الله بن الزبير على المدينة عبد الله بن عبيد الله بن أبي ثور[4].

د- العراق:

أما بالنسبة للعلاقة بين مروان بن الحكم والعراق، فإنه لا بد من الوقوف على الوضع السياسي الذي كان فيه آنذاك، وهنا لا بد من الإشارة إلى وضع ابن الزبير وقوته وعلاقته بالحركات السياسية وخاصة الشيعة، والتي كان لها أيضاً علاقة بالخليفة مروان بن الحكم أثناء جهوده لاستعادة العراق إلى الحظيرة الأموية.

---

(١) خليفة، تاريخه، ص ٢٦١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٦١٢، البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص ٢٥٧، الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١-٨٠هـ) ، ص ٤٣.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٥٢-١٥٣، الطبري، تاريخ الرسل الملوك، ج٥، ص ٦١٢، البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص ٢٥٧ ، الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١-٨٠هـ)، ص ٤٣.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٥ ، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٥٣ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٥٩.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٥٤-١٥٥، ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ٣٨، البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص ٢٥٨.

يمكن القول في البداية، إن العراق في الفترة الأخيرة من خلافة يزيد كان المتولى أمره عبيد الله بن زياد[١] وبعد اضطراب الوضع بالشام طلب ابن زياد من أهل البصرة مبايعة رجل منهم[٢] إلا أن أهل البصرة أظهروا موافقتهم على بيعته[٣] وكانت هذه البيعة شكلية، بحيث ضعف أمر ابن زياد، واجترأوا عليه، حتى جعلوا يأخذون دوابه من مربطه[٤].

الأمر الذي دفع ابن زياد إلى الاستجارة بالأزد وزعيمهم مسعود بن عمرو الأزدي[٥] إلا أن ابن زياد لم يلبث حتى رحل إلى الشام بحماية مسعود بن عمرو[٦].

وكان لصنيع مسعود بن عمرو مع ابن زياد الأثر في مقتله[٧] وكان لقتله الأثر في إثارة العصبية القبلية بين الأزد ومن حالفهم من ربيعة، وتميم ومن حالفهم من مضر[٨] وبعد ذلك تم الاتفاق على الصلح واختير عبد الله بن الحارث الملقب ببه أميراً عليهم[٩]. وبعد فشل عبد الله بن الحارث في ضبط الأمن وجد الناس أنه لا يقيم أمرهم إلا الانضمام إلى عبد الله بن الزبير، لذلك كتبوا إليه يسألونه الدخول في طاعته، فوافق ابن الزبير وكتب إلى أنس بن مالك فصلى بالناس أربعين يوما، ثم

---

(١) خليفة، تاريخه، ص ٢٥٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٠٤، المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٩٣، البياسي، الإعلام، ج٢، ص ١٧٢.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٤٠٨، المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٩٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٠٥، ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ٢٥.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٤١٩، النويري، نهاية الأرب، ج٢٠، ص ٥٠٣.

(٥) خليفة، تاريخه، ص ٢٥٨، الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨١-٢٨٢.

(٦) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨٤، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٢٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٤٧٣.

(٧) خليفة، تاريخه، ص ٢٥٨، البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٣٩٧، ٤٠٧، ٤١٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٤٧٥.

(٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٣٩٨، ٤٠٨-٤٠٩، ٤١٣-٤١٤، ٤٢٥.

(٩) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨٢.

كتب إلى عمرو بن عبد الله بن معمّر القرشيّ التميمي بعهده على البصرة[1] ومع فشل ابن الزبير في ضبط الأمن ولي الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة[2] الذي استطاع ضبط أمور البصرة ومحاربة الخوارج. أما الكوفة: فإن ابن زياد حاول الطلب من أهلها مبايعته، إلا أنهم بما يتميزون به من انتشار التشيّع بينهم رفضوا ذلك[3] وبعد ذلك اجتمعوا على عامر بن مسعود بن خلف القرشيّ الملقب بدحروجة الجعل وكتبوا إلى ابن الزبير الذي أقره لمدة ستة أشهر ثم عزله وعيّن عبد الله بن يزيد الخطمي من الأنصار[4].

هكذا أصبح العراق خاضعاً لابن الزبير، وقد واجهت سلطة ابن الزبير فيه حركات الشيعة وخاصة التوابيّن وحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي، أما حركة التوابين فيرجع تاريخها إلى فترة مبكرة، حيث لما قتل الحسين تلاقت الشيعة بالتلاوم والندم لتركهم نصرة الحسين وسموا أنفسهم التوابين[5] وتزعم الحركة خمسة من زعماء الشيعة من أشهرهم سليمان بن صرد الخزاعي[6].

وعلى أثر اضطراب الوضع في الشام فزع الشيعة إلى سليمان طالبين منه التحرك لقتل قتلة الحسين[7] إلا أن سليمان طالبهم بالتأني، ونشر دعاتهم ولذلك

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق٤، ص ٤٠٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٤٢.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٢٧، البياسي، الإعلام، ج٢، ص ١٩٠.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٦ ،. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٢٤-٥٢٩. المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٩٣، ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ٢٧.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ق ٤، ص ٤٠٠.

(٥) فلهاوزن، يوليوس، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، الخوارج والشيعة، ت عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٣، ١٩٧٣ ، ص ١٢٧ ، وسيشار اليه فلهاوزن، أحزاب المعارضة.

(٦) اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص ٢٥٧، ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٥٨، النويري، نهاية الأرب، ج٢٠، ص ٥٢.

انتشر مجموعة من المفوهين والبلغاء[1] في الوقت الذي كتب فيه سليمان بن صرد إلى شيعة المدائن والبصرة طالباً منهم المساعدة[2].

وكانت الكوفة في الفترة التي عزم فيها التوابون على الخروج تدين بالطاعة لابن الزبير، ممثلة بالوالي عبد الله بن يزيد الخطمي، وقد آثر هذا الوالي على عدم الصدام مع هذه القوة مكتفياً بالقول إن هم قاتلونا قتلناهم وإن تركونا لم نطلبهم[3] وعلى أثر هذا التأييد من الوالي الزبيري أخذ الشيعة ينشرون السلاح ظاهرين غير خائفين[4].

ثم أمر سليمان بالخروج إلى النخيلة، إلا أن الاستجابة كانت قليلة، حيث كان قد بايعه ستة عشر الفا فما لحق به إلا أربعة الاف[5] وبعد خروج القوم إلى النخيلة حاول الوالي الزبيري إقناعهم بالعدول عن موقفهم لملاقاة الجيش الشامي، بعد أن لاحظ قلة عددهم وضعفهم، إلا أن طلبة قوبل بالرفض[6].

وبعد أن سار القوم من النخيلة حالو الوالي الزبيري مرة أخرى إقناعهم بالعدول عن مواجهة الجيش الشامي الذي بعثه مروان بن الحكم خوفاً من هزيمتهم وطمع العدو بمصرهم[7] إلا أن القوم رفضوا وواصلوا السير حتى انتهوا إلى قرقيسيا الذي بادر صاحبها زفر بن الحارث بإخراج الأسواق وتقديم الأعلاف والطعام لهم[8].

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٠، ص ٥٣٠، بدوي، محمد أمين، الشيعة ونشاطهم السياسي في لعصر الأموي، د. ن، د. م، ١٩٨٥، ص ١٥١، وسيشار إليه بدوي، الشيعة ونشاطهم السياسي.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢٠٦، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٥٥-٥٧٠.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢٠٧، ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص ٢٥١.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٢٠، ص ٥٣٣.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٨٤، ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص ٢٢١، ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ٣٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٥٥.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢٠٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ٣٦.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٩١-٥٩٢، ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص ٢٢٩.

(٨) ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص ٢٤٤، ابن كثير، البداية و النهاية، ج٨، ص ٢٥٦.

وبعد ذلك نصحهم زفر بالذهاب إلى عين الوردة، وأن يجعلوها في ظهورهم، ثم رسم لهم الخطة لمواجهة الأمويين[1] ثم جد القوم في المسير حتى وصلوا عين الوردة، وهناك عبأ سليمان الكتائب وعسكر بها[2] وعندما اقترب الجيش الشامي الذي بعثه مروان ودنا كل طرف من الآخر، دعاهم التوابون بدفع عبيد الله بن زياد اليهم لقتله وأن يخلعوا مروان بن الحكم وينظموا إليهم، وتسليم الأمر إلى أهل البيت[3] إلا أن هذا العرض رفض من جانب الأمويين كما رفض عرض الأمويين من جانب التوابين، الأمر الذي أسفر عن حدوث الصراع الشديد بين الطرفين، بحيث أصيب التوابون بجراح شديدة نظراً لقلة عددهم، بحيث قتل أبرز قوادهم[4] الأمر الذي دفعهم إلى الانسحاب في جوف الليل، وعودة كل طائفة إلى بلده[5].

والحركة الثانية هي حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي، والذي كان في البداية من المعادين للشيعة ثم لم يلبث حتى تحول من المناصرين لهم خاصة بعد موقفه من مسلم بالكوفة[6] الأمر الذي دفع ابن زياد إلى سجنه ثم نفيه إلى الحجاز، وهناك بايع ابن الزبير على أن لا يقضي الأمور دونه وإذا ظهر استعان به على أفضل عمله[7].

إلا أن المختار لم يلبث أن رجع إلى الكوفة بعد أن التقى بابن الحنفية، وهناك في الكوفة دعا الشيعة إلى الخروج معه والطلب بدم الحسين[8] وكان لتحركات المختار

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢١٠-٢١١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٩٦.

(٣) ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص ٢٤٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٥٧.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢١١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٩٩ وما بعدها.

(٥) ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص ٢٤٨، النويري، نهاية الأرب، ج٢٠، ص ٥٤٠.

(٦) اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص ٢٥٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٦٩، النويري، نهاية الإرب، ج٢١، ص ٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٤٩٢.

(٧) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢١٥، اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص ٢٥٨.

(٨) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٨٨.

الأثر في سجنه إلا أنه لم يلبث حتى خرج بعد وساطة ابن عمر[1] وبعدها استطاع المختار السيطرة على الكوفة على الرغم من الاستعدادات التي اتخذها ابن مطيع وصاحب شرطته من امتلاك الميادين العامة والسكك القريبة من المسجد الجامع وتوزيع أفراد الشرطة على الجبانان الكبرى لحفظها[2].

وبعد ذلك بويع المختار وبعث بالعمال على الولايات التابعة له[3] وفي محاولة من المختار لمواجهة الخطر الشامي الذي بدأ يقترب منه، قام المختار ببعث جيش مقداره عشرين ألفاً بقيادة يزيد بن أنس بن كلاب الأسدي، وعلى الرغم من الانتصار الذي حققه هذا الجيش، إلا أنه لم يلبث حتى عاد بعد موت قائده يزيد[4] الأمر الذي دفع المختار إلى بعث ابراهيم بن الاشترفي سبعة آلاف لمواجهة الشاميين[5].

وما كاد هذا الجيش يسير حتى طلب المختار عودته على أثر ثورة أهل الكوفة عليه، وبعد أن عاد هذا الجيش أخذ المختار في مواجهة الثائرين وقتل قتله الحسين[6] وفي محاولة من المختار تثبيت مركزه أكثر عمد إلى مهادنة ابن الزبير بل ومخادعته، وقد تم له ذلك عندما بعث عبد الملك جيشاً إلى وادي القرى، حيث كتب المختار إلى ابن الزبير يقدم يد المساعدة، وبعد موافقة ابن الزبير أرسل المختار جيشا وكان هدفه الاستيلاء على مكة والمدينة[7].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٨١، ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص ٢٤١.

(٢) اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص ٢٥٨-٢٥٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص١٨-١٩.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٩٢، ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص ٢٦٥-٢٦٦، المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص ٢٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٧.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢٣٠، الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٩٢.

(٥) ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص ٢٨٦، ابن الجوزي، ج٦، ص ٥٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٤٠.

(٦) خليفة، تاريخه، ص ٢٦٣، اليعقوبي، تاريخه، ج٣، ص ٢٥٩، ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص ٢٧٠، ٢٨١، ٢٩١.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٧٢-٧٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٥١.

وعندما عرف عباس بن سهل قائد ابن الزبير هدف جيش المختار عمد إلى مواجهته وقتالهم أشد قتال حتى قتل قائد جيش المختار وفرّ الباقون[1] ورغم فشل المختار بهذا الإتجاه فإنه حقق انتصاراً على الجبهة الشامية، حيث وصلت الأخبار بانتصار إبراهيم بن الأشتر وقتل ابن زياد[2].

وعندما أدرك ابن الزبير تعاظم سلطة المختار عمد إلي مواجهته، ولذلك أرسل أخيه مصعب واليا على البصرة[3] وما أن وصل مصعب البصرة حتى كتب إلى المهلب بالقدوم إليه من بلاد فارس ولذلك أقبل المهلب في جموع عظيمة بعد أن استخلف إبنه المغيرة على بلاد فارس[4].

وعندما وصل الأمر إلى المختار بمسير مصعب إليه، ندب الأحمر بن شميط بالمسير لمواجهته، إلا أن أصحاب المختار لم يلبثوا حتى هزموا، ولذلك واصل مصعب السير إلى الكوفة حتى تمكن من قتل المختار واصحابه في دار الإمارة[5] وبانتصار مصعب بن الزبير على المختار وقضائه على حركته، يكون العراق قد عاد إلى سلطان ابن الزبير، وسيبقى العراق خاضعاً له حتى يتمكن عبد الملك من استعادته، والقضاء على نفوذ ابن الزبير فيه وفي الحجاز.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢٤٦-٢٤٧، ابن خلدون، تاريخه، ج٣، ص ٣٢.

(٢) خليفة، تاريخه، ص ٢٦٣، الدينوري، الأخبار الطوال، ج٦، ص ٢٩٣-٢٩٦.

(٣) اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص ٢٦٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٩٤

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢٥٣-٢٥٤، ٢٥٩-٢٦٠، الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٠٦، ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٤.

٢- «الإدارة في عهد مروان»

عرفنا سابقا أن أهم الأعمال التي توجه إليهامروان بعد أن تولى الخلافة، هو العمل على اخضاع كافة أقاليم الدولة الإسلامية إلى سلطته، وقد تحقق له ذلك وخاصة بالشام ومصر، في حين بقيت كافة اقاليم الدولة الأخرى خاضعة لابن الزبير، وقد اتبع مروان في إدارته لهذين الإقليمين طريقة من سبقه من خلفاء بني أمية، ويمكن توضيح ذلك كما يلي:

«الولاة»

يلاحظ عند التحدث عن طريقة اختيار الولاة في زمن مروان، أنّ مروان الخليفة كان يجتهد لدى اختيار عمّاله في أن تتوفر فيهم صفات رئيسية هي الولاء المطلق للدولة، والكفاءة في العمل، والأمانة في أدائه، واضعاً نصب عينيه مصلحة الدولة في هذا الاختيار قبل كل شيء، ولهذا يلاحظ من خلال استعراض قائمة الولاة أنهم كانوا من بني أمية، بل البعض منهم من أبنائه، ويعود سبب هذه السياسة إلى الأزمة السياسية التي مرّ بها سلطان بني أمية بعد وفاة معاوية الثاني، والموقف الذي وقفه الولاة في كل من دمشق وحمص وفلسطين ومصر[١].

ويؤكد هذا الاتجاه أن مروان ولّى على فلسطين عبد الملك بن مروان وجعل خليفته روح بن زنباع الجذامي[٢] وولّى على الأردن أبا عثمان بن مروان بن الحكم[٣] وولّى على دمشق عمرا بن سعيد بن العاص[٤] وعلى حمص خالد بن يزيد بن معاوية[٥].

---

(١) البطاينة، سياسة بني أمية في اختيار الولاة، ص ٢٣.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٢٧، ١٤٩.

(٣) البطاينة، سياسة بني أمية في اختيار الولاة، ص ٢٣.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٩٥.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٥٣٧.

وعلى الجزيرة محمد بن مروان بن الحكم[1] وعلى مصر عبد العزيز بن مروان بن الحكم[2].

ويبدو لنا مما سبق أن الولاة الذين اختارهم مروان ليكونوا ولاة على الأجناد والأمصار كانوا من أولاده ومن بني أمية، ويعود ذلك كما يظهر إلى محاولة مروان تثبيت دعائم السلطة الأموية، ومواجهة السلطة الزبيرية التي ما زالت ماثلة الخطر في الحجاز والعراق والولايات الشرقية[3].

وسوف تبقي هذه السياسة التي وضع أساسها مروان في تولية الولاة على الأمصار الأساس الذي اتخذه عبد الملك، الأمر الذي كان له أثره في تمكنه من مواجهة الاضطرابات السياسية التي شهدها عصره وخاصة في لعراق والحجاز.

«قادة الجند»

كذلك اتبع مروان في اختيار قادة الجند طريقة اختيار الولاة، حيث يلاحظ علي القادة الذين اختارهم مروان في معركة مرج راهط، أنهم كانوا من الأشخاص الذين يتميزون بالولاء الشديد لسلطان بني أمية، ومن لهم خبرة واسعة بالحروب، ويؤكد ذلك أن مروان بعد أن قرر الذهاب لمواجهة أنصار ابن الزبير في مرج راهط، عقد الميمنة للحصين بن نمير السكوني الذي كان على رأس الجيش الذي أرسله يزيد لمواجهة ابن الزبير بمكة[4] والذي أبدى فيه الحصين من الشجاعة والصبر ما يشهد له، وعقد مروان الميسرة لعبد الرحمن بن أم الحكم[5].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٦٥.

(٢) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٤٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٨٨.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٢، ص ٣٩٢.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٩٦، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٣٨.

وقيادة الفرسان لحسان بن مالك زعيم قبيلة كلب، وساعد معاوية الأيمن في معركة صفين[1] ومالك بن هبيرة السكوني الذي كان يتميز بالمقدرة الفائقة في الحروب، حيث كان قائداً للجيش الاسلامي لغزو الأراضي البيزنطية في العديد من السنوات[2] وقيادة الرجّالة لعبيد الله بن زياد والي العراق المحنك وبطل كربلاء[3] مما سبق يلاحظ أن القيادات التي اختارها مروان لقيادة الجيش الذاهب لمواجهة أنصار ابن الزبير في مرج راهط، أنهم كانوا من الأبطال المشهود لهم في الأحداث الإسلامية السابقة، أضف إلى ذلك أنهم كانوا من أشد الأنصار والمؤيدين لبني أمية في المرحلة السابقة، وقد استمروا على تأييدهم لهذا البيت في عده الخليفة مروان.

ويبدو أن هذا المنهج الذي اتخذه مروان في اختيار القادة الذين يتميزون بالولاء له قد بقي مستمرا، ويلاحظ ذلك أن مروان عندما توجه إلى مصر لفتحها واخراجها من دائرة السلطة الزبيرية، كان من أبرز القادة الذين اختارهم ابنه عبد العزيز الذي بعثه بجيش ليدخل مصر عن طريق أيله، في لوقت الذي أبقى مروان معه لدخول مصر من جهة البر عمرو بن سعيد، وحسان بن مالك، ومالك بن هبيرة، وزفر بن الحارث[4].

وبعد عودة مروان من مصر بعد ترتيب أمورها، نجده يوجه بعثاً إلى المدينة لمواجهة ابن الزبير، وجعل على راس الجيش قائداً محنكاً وشجاعاً وهو حُبيش بن دلجة القيني، الذي أبدى شجاعة فائقة واخلاصا شديداً لمروان في صراعة مع أتباع ابن الزبير، حتى تمكن من دخول المدينة، وقد بقي مستمرا في إخلاصه لمروان حتى تم قتله[5].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٣٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٥٣٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٢٢٧-٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢.

(٣) اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص ٢٤٥.

(٤) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٤٢.

(٥) خليفة، تاريخه، ص ٢٦١.

في الوقت الذي بعث فيه مروان بعثا أخر إلى العراق، وجعل على قيادته عبيد الله بن زياد، ومولياً إياه على ما غلب عليه وفتحه من أرض الجزيرة والعراق[1] وجعل معه مجموعة من القادة المشاهير أمثال الحصين بن نمير السكوني، وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري، وأدهم بن محرز الباهلي وغيرهم[2] هكذا نلاحظ أن مروان كان موفقا في اختيار قادته، حيث قام هؤلاء بمهماتهم خير قيام حتى تمكنوا من تثبيت السلطة الأموية، ومقاومة الخارجين عليها، وإن دلّ هذا على شيء فيدل على حنكة مروان ودرايته في اختيار الرجال الأكفياء.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص ٢٠٧.

(٢) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٠٩.

الخاتمـــــة

يتبين لنا من دراستنا أن مروان بن الحكم كان يتميز بعراقة النسب بانتمائه إلى بيت من البيوت المهمة عند العرب قبل الإسلام وبعده، وهو البيت الأموي، كما ظهر لنا الثقافة العالية التي كان يتميز بها مروان في مختلف العلوم سواء بالحديث أوالإفتاء أو القضاء أو الشعر أو الخطابة، وكانت هذه الثقافة العالية لمروان موضع ثقة عند العلماء، حتى إن كثيراً من العلماء يحتج بروايته ويأخذ بها.

أما بالنسبة لمروان في العهد الراشدي، فقد تبين لنا أن الدور البارز لمروان قد ظهر في عهد الخليفة عثمان بن عفان، بحيث أصبح مروان مشاركاً في الفتوح والعمل الإداري، بحيث أصبح كاتب الخليفة الرسمي. وأثناء وقوع الفتنة وجدنا أن مروان لم يكن المسبب الرئيسي لها، بل لعبت مجموعة من العوامل في حدوثها، وقد بذل مروان كل جهد مستطاع في اخمادها والحيلولة دون استمرارها، إلا أنه لما فشل في ذلك وجدناه يدافع عن الخليفة ما في وسعه.

وبعد انتهاء الفتنة، وجدنا أن مروان وغيره من أفراد البيت الأموي، يرفضون بيعة عليّ ويخرجون إلى مكة، وهناك يأخذون على عاتقهم دعوة الناس إلى الأخذ بالثأر للخليفة عثمان، وفي هذا الإتجاه كان مروان على رأس الجيش الذاهب إلى البصرة، لدعوة أهلها للأخذ بدم الخليفة، وعندما تبع الإمام عليّ القوم إلى البصرة، وحدث الصراع بين الطرفين، وجدنا أن مروان قد شارك في هذا الصراع مشاركة فاعلة، إلا أنه بعد انتهاء الصراع بفوز الإمام عليّ نجد أن مروان يبايع الخليفة الجديد ويرجع إلى المدينة.

أما بالنسبة لمروان في العهد السفياني، فقد تبين لنا أن مروان وقف إلى جانب معاوية في صفين، بالإضافة إلى جهوده لبيعة ابنه يزيد بعد ذلك، الأمر الذي دفع معاوية إلى مكافئة مروان واتخاذه ساعده الأيمن وتوليته المدينة، وهناك وجدنا

أن مروان يتميز بحسن السياسة، حيث عمل على تنظيمها إدارياً، ومواجهة كل المشاكل التي كانت تحدث بها على مختلف أنواعها، كذلك قام بمجموعة من الإنجازات الاقتصادية والعمرانية بها، وقد استمر مروان مخلصاً لمعاوية حتى وفاته، وبعد تولية يزيد وجدنا أن مروان يقف إلى جانبه ويساعده في أخذ البيعة له من أهل المدينة.

وعلى أثر خروج الحسين وجدنا أن مروان وقف موقف الحذر من التعرض له بأي أذى، وبعد قتله رضي الله عنه وجدنا أن مروان يبدي أسفه وحزنة على هذا العمل، كذلك أبدى مروان موقف المدافع لخلافة يزيد أمام خروج ابن الزبير، بل أنه كان من المؤيدين لمواجهة ابن الزبير بالقوة، وفي هذا السبيل وقف مروان موقف المعارض لثورة أهل المدينة، ويقدم كل المساعدة للجيش الشامي القادم لاخماد الفتنة، وقد شكره الخليفة يزيد على صنيعة هذا.

أما بالنسبة لوصول مروان للخلافة، فقد تبين لنا أن معاوية الثاني لم يلبث إلا فترة حتى توفي، وبعده أخذت الأوضاع في الشام بالإضطراب، حيث انقسم الناس إلى قسمين قسم يويد ابن الزبير، وقسم يؤيد بقاء الخلافة في بني أمية ممثلة بخالدبن يزيد، إلا أنه بعد ظهور مروان بن الحكم مرشح قوي للخلافة، أخذت موازين القوى تميل إليه، وقد تحقق ذلك بعد عقد مؤتمر الجابية الذي شاركت فيه معظم القبائل في الشام وخاصة اليمانية، والتي حسمت الموقف في النهاية لصالح مروان، الذي سعى بعد ذلك لمواجهة العناصر المؤيدة لابن الزبير والمعارضة لخلافته، وقد تحقق له ذلك بعد انتصاره على المعارضين له في مرج راهط.

أما بالنسبة للأوضاع العامة في عهد مروان، فقد وجدنا أن مروان بعد أن تولى الخلافة وتصفية الموقف لصالحه في الشام، عمد إلى مواجهة العناصر المؤيدة لابن الزبير في الأمصار الأخرى وضمها إلى سلطته، وفي هذا الإتجاه نجد أن مروان يسير بجيشه إلى مصر، وبعد مواجهة بسيطة استطاع مروان من ضمها وتصفية انصار ابن الزبير فيها، وبعد ترتيب أمورها نجد أن مروان يعود إلى الشام لاتخاذ الخطوة الحاسمة بمواجهة ابن الزبير بالحجاز والعراق، ولذلك قام بارسال بعثين أحدهما إلى

الحجاز بقيادة حبيش بن دلجة، والثاني إلى العراق بقيادة عبيد الله بن زياد، إلا أن المنية عاجلة مروان قبل أن يتم له تحقيق هدفه بضم هذين المصرين، وفي حديثنا عن الإدارة وجدنا أن مروان اتبع أسلوب من سبقه في اختيار الولاة وقادة الجند وباقي الموظفين، وكذلك لاحظنا في عهده نوعاً ما ازدهاراً ثقافياً على الرغم من قصر مدة خلافته.

قائمة المصادر والمراجع

أ- قائمة المصادر العربية المخطوطة:

١- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، صورة عن مخطوطة الظاهرية بدمشق، دار البشير، د.م، د.ت.

٢- ابن الكردبوس، الإكتفاء في أخبار الخلفاء، ميكروفيلم، رقم (٦٧٤)، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، صورة عن الخزانة العامة، الرباط، د.ت.

٣- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، مناهل الصفا في تاريخ الخلفا، ميكروفيلم، رقم (٦٦٤)، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، صورة عن الخزانة العامة، الرباط.

٤- الشاطبي، ابراهيم بن موسى اللخمي (ت.٧٩٠هـ/١٣٨٨م)، الجمان في أخبار الزمان، ميكروفيلم، رقم (٦٧٦)، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، صورة عن الخزانة العامة، الرباط.

٥- مؤلف مجهول (ت في القرن ٥ هـ/١١م)، تاريخ الخلفاء، مخطوط نشر بطرس غرياز ينويج، دار النشر إدارة التحرير الرئيسية للآداب الشرقية، موسكو، ١٩٦٧.

ب- قائمة المصادر المطبوعة:

١- ابن الأبار، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، كتاب الحلّة السيّراء، ٢ جـ في ١مج، حققه وعلّق عليه حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.

٢- ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٥هـ/١٢٥٧م)، شرح نهج البلاغة، ٥جـ، قام بتحقيقه حسن تميم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٣.

٣- ابن أبي الدم الحموي، شهاب الدين ابراهيم (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، التاريخ الإسلامي، المعروف باسم التاريخ المظفري، قام بتحقيقه وقدم له ووضع حواشيه حامد زيان، غانم زيان، د.ت، القاهرة، ١٩٨٥.

٤- ابن الأثير، ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٧جـ، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمد عبد الوهاب جابر، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٣.

٥- ---------الكامل في التاريخ، ١٠جـ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

٦- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥جـ، تحقيق محمود الطناحي، المكتبة الإسلامية، بيروت، د. ت.

٧- ابن أعثم، ابو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م)، الفتوح، ٨جـ في ٤مج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٢.

٨- ابن بكار، الزبير (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢.

٩- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٢٦م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦جـ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.

١٠- ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م)، منهاج السنة النبوية، ٤جـ في ٢مج، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٠.

١١- ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، الأذكياء، تحقيق عادل عبد المنعم أبو العباس، مكتبة الطراز للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

١٢- ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م)، المحبر، تصحيح ايلزة ليختن شتيتر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٤٢.

١٣- ---------المنمق في أخبار قريش، صححه وعلّق عليه خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥.

١٤- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الإصابة في تميز الصحابة، وبهامشه الإستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي (ت٤٠٣هـ) ٤جـ، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

١٥- ---------تهذيب التهذيب، ١٤جـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٤.

١٦- ---------لسان الميزان، ٧جـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.

١٧- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢.

١٨- ---------رسائل ابن حزم، ٤جـ، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.م، د.ت.

١٩- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧جـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

٢٠- ابن خليكان، أبو العباس شمس الدين علي بن أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨جـ، حققه إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

٢١- ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، رواية بقي بن مخلد، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٧٧.

٢٢- ———— الطبقات، رواية أبي عمران موسى بن زكريا بن يحيى التستري، ٤جـ في ٢مج، حققه سهيل زكار، مطابع وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٦٦.

٢٣- ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين، ٢جـ في ١مج، تحقيق محمد كمال الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥.

٢٤- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م)، كتاب الأعلاق النفيسة، طبع بمطبع بريل، ليدن، ١٨٩١.

٢٥- ابن رسول، الملك الأشرف عمر بن يوسف (ت ٦٩٦هـ/١٢٩٦م)، طرف الأصحاب في معرفة الأنساب، حققه ك. وسترستين، مطبوعات المجموع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٩.

٢٦- ابن سعد، محمد بن سعد بن أبي عبد الله بن منيع (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م)، الطبقات الكبرى، ٨جـ، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧.

٢٧- ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م)، كتاب الأموال، تحقيق وتعليق محمد خليل هرّاس، عني بطبعه ونشره عبد الله بن ابراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، قطر، ط٢، د.ت.

٢٨- ابن سيّد الناس، فتح الدين ابي الفتح محمد بن محمد (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ٢جـ في مج١، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٢.

٢٩- ابن شهراشوب، رشيد الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهراشوب بن أبي نصر المازندراني (ت ٥٨٨هـ/١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب، ٣جـ، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلة على عدة نسخ لجنة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦.

٣٠- ابن الصلاح، ابو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م)، مقدمة في علوم الحديث، منشورات دار الحكمة، دمشق، د.ت.

٣١- ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، د.م، د.ت.

٣٢- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ٤ق، تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

٣٣- ---------- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس، ٢جـ، تحقق محمد مرسي الخولي، دار الكاتب العربي، د.م، د.ت.

٣٤- -------- الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٦.

٣٥- ابن عبد ربه، ابو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، العقد الفريد، شرحه وضبطه وعنونه، ورتب فهارسه مجموعة من العلماء.

أ- ج١، شرحه وضبطه أحمد أمين، أحمد الزين ابراهيم، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط٣، ١٩٦٥.

ب- جـ٢، شرحه وضبطه أحمد أمين، أحمد الزين ابراهيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦.

جـ- جـ٣، شرحه وضبطه أحمد أمين، أحمد الزين ابراهيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط٢، ١٩٥٢.

د- جـ٤، شرحه وضبطه أحمد أمين، أحمد الزين ابراهيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط٢، ١٩٦٢.

و- جـ٥+٦، ٧+٨، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، د.م، د.ت.

٣٦- ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت، د.ت.

٣٧- ابن العربي، أبو بكر محمد بن علي بن محمد (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م)، العواصم من القواصم في تحديد مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (ص)، حققه وعلق عليه محبّ الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٣، د.ت.

٣٨- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، جزء تراجم حرف العين من (عبد الله بن جابر-عبد الله بن زيد) تحقيق شكري فيصل، سكينة الشهابي، مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت.

٣٩- -------- تهذيب تاريخ مدينة دمشق، ٧جـ، هذبه ورتبه عبد القادر بدران، دار المسيرة، د.م، ط٢، ١٩٧٩.

٤٠- ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحيّ (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨جـ في ٤مج، تحقيق لجنة إحياء التراث في دار الآفاق الجديدة، نشرد ار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.

٤١- ابن فهد، عمر بن محمد بن محمد (ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) اتحاف الورى بأخبار أم القرى، ٣جـ، تحقيق فهيم شلتوت، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٣.

٤٢- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، ٢جـ في مج١، تحقيق طه محمد الزّيني، موسسة الحلبي وشركاه، للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

٤٣- ------الشعر والشعراء، ٢جـ، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، د.ت.

٤٤- ------- عيون الأخبار، ٤جـ في ٢مج، شرحه وضبطه وعلّق عليه يوسف علي الطويل، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، د.ت.

٤٥- ----- المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

٤٦- ابن قدامة المقدسي، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، التبيين في أنساب القرشيين، حققه وعلق عليه محمد نايف الدّليمي، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤.

٤٧- ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مختصر التاريخ من أول الزّمان إلى منتهى دولة بني العباس، حققه وعلق عليه مصطفى جواد، وضع فهارسه سالم الألوسي، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد، ١٩٧٠.

٤٨- ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ١٤جـ، تحقيق أحمد ابو محلم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٨٧.

٤٩- ------ السيرة النبوية، ٤جـ في ٢مج، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٦.

٥٠- ابن الكلبي، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ/٨١٩م)، جمهرة النسب، رواية السكّري عن ابن حبيب. تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦.

٥١- ابن ماجة، ابو عبد الله محمد بن يزيد(ت٢٧٣هـ/٨٨٦م)، تاريخ الخلفاء، رواية ابي بكر السدوسي، تحقيق محمد مطيع، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ت.

٥٢- ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ١٥جـ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

٥٣- ابن منقذ، ابو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت٧٤٠هـ/١٣٣٩م)، الوفيات، حققه وعلّق عليه عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، د.م، ط٢، ١٩٨٠.

٥٤- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت١٧٢هـ/٧٨٨م)، ديوان الحماسة، ٢جـ، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن عسيلان، طبع جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، د.ت.

٥٥- ------ نقائض جرير والأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٥٦- ابو داودد، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن ابي داود، ٤جـ، راجعه وضبط أحاديثه محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنّة، د.م، د.ت.

٥٧- أبو زرعة، الحافظ عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصرى (ت٢٨١هـ/٨٩٤م)، تاريخ ابي زرعة، ٢جـ، دراسة وتحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني، د.ن، د.م، د.ت.

٥٨- ابو طاهر، ابو الفضل احمد بن أبي طاهر (ت.٢٨هـ/٨٩٣م)، بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية والإسلام، صححه أحمد الألفي، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٨٥.

٥٩- ابو العرب، أحمد بن نعيم التميمي (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م)، كتاب المحن، تحقيق يحيى وهيب الجبّوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣.

٦٠- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، الأوائل، ٢جـ، تحقيق محمد المصري، وليد قصّاب، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥.

٦١- الأبهيشي، شهاب الدين أحمد (ت٨٥٠هـ/١٤٤٦م)، المستطرف في كل فن مستظرف، ٢جـ في مجـ١، د.ن، د.م، د.ت.

٦٢- الأبى، أبو سعيد منصور بن الحسين (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، نثر الدر، ٦جـ، تحقيق محمد ابراهيم عبد الرحمن، مراجعة علي محمد البجاوي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٧.

٦٣- الأزدي، علي بن مظفر، بدائع البدائه، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠.

٦٤- الأزرقي، ابو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٢جـ، تحقيق رشدي الصّالح ملحس، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٧٩.

٦٥- الاصبهاني، ابو القاسم حسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، ٤جـ في ٢مج، د.ن، د.م، د.ت.

٦٦- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠جـ، المكتبة السلفية، د.م، د.ت.

٦٧- الأصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)، الاغاني، ٢٤جـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٩.

٦٨- ------ مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق السيّد أحمد صقر، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، د.ت.

٦٩- الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م)، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، صححه وعلّق عليه الأستاذ ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٧٠- البخاري، ابو عبد الله اسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، التاريخ الكبير، ٩جـ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٧١- ----- صحيح البخاري، ٩جـ، ترجمة محسن خان، هلال يانيلري، أنقرة، ط٢، ١٩٧٦.

٧٢- البسوي، ابو يوسف يعقوب بن سفيان (ت٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، المعرفة والتاريخ رواية عبد الله بن جعفر درستويه النحوي، ٣جـ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨١.

٧٣- البكري، ابو عبيد، سمط اللآلىء، ٢جـ، صححه ونقّحه وحققه عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦.

٧٤- البلاذري، أحمد بن يحيي بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، أنساب الأشراف، الأجزاء الموجودة، ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

ج١ ق٤، تحقيق إحسان عباس، دار فرانتس شتايز، بيروت، ١٩٧٩.

ج٢، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، منشورات المجلس الأعلى للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٤.

ج٣، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٧.

ج٤، ق١، نشر ماكس شلويسنجر، القدس، ١٩٣٨.

ج٥، نشر مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

٧٥- ----- فتوح البلدان، ٣جـ في مج١، نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

٧٦- البياسي، أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الانصاري (ت٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام، ٢جـ، تحقيق شفيق جاسر أحمد، د.ن، عمان، ١٩٨٧.

٧٧- البيهقي، ابراهيم بن محمد (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)، المحاسن والمساوئ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠.

٧٨- التنوخي، ابو علي المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، الفرج بعد الشدة، ٥جـ، تحقيق عبّود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨.

٧٩- -------- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٧جـ، تحقيق عبّود الشالجي، د.ن، د.م، ١٩٧١.

٨٠- التوحيدي، ابو حيان علي بن محمد بن العباس (ت٤١٤هـ/١٠٢٣م)، الإمتاع والمؤانسة، ٣جـ في مج١، صححه وضبطه وشرح غريبة، أحمد أمين، وأحمد الزين، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

٨١- ------ البصائر والذخائر، ٨جـ، تحقيق وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨.

٨٢- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.

٨٣- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البرصان والعرجان والعميان والحولان، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠.

٨٤- ------- البيان والتبيين، ٤جـ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٨٥- -------- رسائل الجاحظ، ٢جـ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٥.

٨٦- ــــــ العثمانية، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

٨٧- الجمحي، محمد بن سلام (ت٢٣١هـ/٨٤٥م)، طبقات فحول الشعراء، ٢جـ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.

٨٨- الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، د.ن، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٨٩- الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير (ت٢١٩هـ/٨٣٤م)،المسند، ٢مج، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٩٠- الحميري، ابو سعيد بن نشوان (ت٥٧٣هـ/١١٧٧م)، الحور العين، حققه وضبطه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه كمال مصطفى، أعادت طبعه في طهران، ١٩٧٢.

٩١- الخوارزمي، ابو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت٣٨٣هـ/٩٩٣م)، مفاتيح العلوم، مطبعة المشرق، مصر، د.ت.

٩٢- الدارمي، ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، سنن الدارمي، ٢جـ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٩٣- الدميري، كمال الدين (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، حياة الحيوان الكبرى، ٢جـ، د.ن، د.م، د.ت.

٩٤- الدولابي، ابو بشر بن أحمد بن حماد (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، الكنى والأسماء ٢جـ في مج١، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في حيدر أباد، الدكن، ١٣٢٢هـ.

٩٥-الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت٩٠٦هـ/١٥٥٨م)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ٢جـ في ٢مج، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

٩٦- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، ٢٣جـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤.

٩٧- ــــــــ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (عهود الخلفاء الراشدين)، تحقيق عمر عبد السلام تدمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧.

٩٨- ــــــــ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (حوادث ٤١-٦٠هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩.

٩٩- ــــــــ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (حوداث ٦١-٨٠هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠.

١٠٠- ــــــــ تذكرة الحفاظ، ٤جـ في ٢مج، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، ط٤، ١٩٦٨.

١٠١- ــــــــ ميزان الإعتدال في نقد الرجال، ٤جـ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

١٠٢- الرازي، ابو محمد بن عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي، (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م)، الجرح والتعديل، ٨جـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، ١٩٥٣.

١٠٣- الزبيري، ابو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت٢٣٦هـ/٨٥٠م)، نسب قريش، عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

١٠٤- الزمخشري، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ٤جـ، تحقيق سليم النعيمي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٩٨٠.

١٠٥ السكتواري، علاء الدين علي دده، محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٧٨.

١٠٦- السمهودي، نور الدين علي بن أحمد المصري (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ٤جـ في ٢مج، حققه وفصله وعلّق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة دار السعادة، مصر، ١٩٥٥.

١٠٧-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، دار الفكر، د.م، د.ت.

١٠٨-الصنعاني، أبو بكر عبد الرزّاق بن حمام (ت٢١١هـ/٨٢٦م)، المصنف، ١١جـ، عنى بتحقيق نصوصه حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، د.م، ١٩٧٢.

١٠٩-الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، ١١جـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧.

١١٠-العامري، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن حسين اليماني (ت٨٩٣هـ/١٤٨٧م)، غربال الزمان في وفيات الأعيان، صححه وعلّق عليه محمد ناجي، إشراف القاضي عبد الرحمن بن يحيى الأرياني، طبع في مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٩٨٥.

١١١-الغلابي، محمد بن زكريا بن دينار (ت٢٩٨هـ/٩١٠م)، وقعة الجمل رواية محمد بن الحسن بن عبد الله بن العباس الصولي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٠.

١١٢-الفاسي، ابو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ٢جـ، حققه وعلّق حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١١٣--------العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ٨جـ، تحقيق فؤاد السيّد، د.ن، القاهرة، ١٩٦٧.

١١٤-الفيروز أبادي، مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب (ت٨٢٣هـ/١٤٢٠م)، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق محمد جاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة، الرياض، ١٩٦٩.

١١٥-القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)، الأمالي الذيل والنوادر للمؤلف وكتاب التنبيه لأبي عبيد البكري، وفهارس بأسماء الأعلام والقبائل والأماكن وقوافي الأبيات وغير ذلك، ٢مج في ٣جـ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١١٦- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤جـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطابع كوستاتسوماش وشركاه، القاهرة، د.ت.

١١٧- -------- نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩.

١١٨- القليعي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، حققه إبراهيم يوسف، مصطفى عجو، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥.

١١٩- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف المصري (ت٣٥٠هـ/٩٦١م)، الولاة والقضاة، تهذيب وتصحيح رفن كست، طبع بمطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨.

١٢٠- ------- ولاه مصر، تحقيق حسين نصّار، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٢١- المالقي، محمد بن يحيى بن أبي بكر الأشعري الأندلسي (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م)، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، حققه محمود يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥.

١٢٢- مالك بن أنس (ت١٧٥هـ/٧٩١م)، الموطأ، ٢ جـ مج١، رمّمه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الثقافية، بيروت، ط٢، ١٩٩٢.

١٢٣- المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م)، التعازي والمراثي، حققه وقدّم له محمد الديباجي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦.

١٢٤- -------الكامل في اللغة والأدب، ٤جـ عارضة وعلّق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم، ملتزم الطبع والنشر، دار النهضة، مصر، د.ت.

١٢٥- مجهول، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١.

١٢٦- محب الدين الطبري، ابو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي بكر (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، القرى القاصد أم القرى، تحقيق مصطفى السقا، مصطفى البابي، مصر، ١٩٤٨.

١٢٧-المدني، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٢جـ، قدم له عبد العزيز باج، أحمد الدقاق، دار المأمون، دمشق، د.ت.

١٢٨-المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م)، أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، ٢جـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٧.

١٢٩-المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، معجم الشعراء، تحقيق عبد الستّار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، دمشق، د.ت.

١٣٠-المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، التنبيه والإشراف، تحقيق لجنة إحياء التراث، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨١.

١٣١------ مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٤جـ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، بيروت، د.ت.

١٣٢-المقدسي، مطهر بن طاهر (ت٣٥٥هـ/٩٦٥م)، البدء والتاريخ، ٦جـ في ٢مج، اعتنى بنشره وترجمته من العربية إلى الفرانسوية كلمان هواز، د.ن، باريز، ١٩١٦.

١٣٣-المقريزي، تقي الدين أبو محمد أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، حققه وعلّق عليه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤.

١٣٤-المنبجي، أغابيوس بن قسطنطين (ت قبل ق ٤ هـ)، المنتخب من تاريخ المنبجي، انتخبه وحققه عبد السلام تدمري، دار المنصور، طرابلس، ١٩٨٦.

١٣٥-المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ/٨٢٧م)، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، مكتبة الخانجي، مصر، د.ت.

١٣٦-الميداني، ابو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ/١١٢٤م)، مجمع الأمثال، ٢جـ، يطلب من عبد الرحمن محمد، مصر، ١٣٥٢هـ.

١٣٧-النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب (ت٣٠٣هـ/٩١٥م)، سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السنّدي، ٩جـ، اعتنى به ورقّمه ووضع فهارسه عبد الفتاح أبو غُدّة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦.

١٣٨-النووي، ابو زكريا محيى الدين بن مشرف (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، تهذيب الأسماء واللغات، ٤جـ، عنى بنشره وتصحيحه شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنبريّة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٣٩-النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، ٢٣جـ، تحقيق محمد رفعت فتح الله، مراجعة ابراهيم مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، ١٩٧٥.

١٤٠-الهمذاني، أبو بكر محمد بن أبي عثمان الحازمي (ت٥٨٤هـ/١١٨٨م)، عجالة المبتديء وفضالة المنتهى في النسب، حققه عبد الله كنون، الهيئة المصرية العامة لشؤون المطابع، القاهرة، ١٩٦٥.

١٤١-الهيتمي، أحمد بن حجر (ت٩٧٤هـ/١٥٦٦م)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ويليه كتاب تطهير الجنان واللسان عند الخطور والتفوه بتثليب سيدنا معاوية بن أبي سفيان، خرّج أحاديثه وعلّق حواشيه عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥.

١٤٢-الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م)، كتاب المغازي، ٣جـ، تحقيق مارسلان جونس، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٦.

١٤٣-وكيع، محمد بن خلف بن حيّان (ت٣٠٦هـ/٩١٨م)، أخبار القضاة، ٣جـ، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

١٤٤-اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن عفيف الدين (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ٤جـ في ٢مج، مطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة بمدينة حيدر أباد، دار المأمون، القاهرة، د.ت.

١٤٥- ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة، د.ت.

١٤٦---------- معجم البلدان، ٥جـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩.

١٤٧- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، ٣جـ، دار صادر، بيروت، د.ت.

جـ- المراجع العربية الحديثة والمترجمة:

١- بدوي، محمد أمين، الشيعةو نشاطهم السياسي في العصر الأموي، د.ن، د.م، ١٩٨٥.

٢- البطاينة، محمد ضيف الله، في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية (الحياة الإقتصادية في صدر الإسلام) ٢جـ، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٧.

٣- بيضون، إبراهيم، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

٤- الخضري بك، الشيخ محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية) ٢جـ في مج١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٦٩.

٥- خماش، نيّال تيسير، شعر الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي، د.ن، د.م، ١٩٨٤.

٦- درويش، محمد طاهر، الخطابة في صدر الإسلام، ٢جـ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧.

٧- دكسن، عبد الأمير عبد حسين، الخلافة الأموية (ت٦٥هـ-٨٦هـ/ ٦٨٤م-٧٠٥م)، دراسة سياسية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣.

٨- الدوري، عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٠.

٩- الريس، محمد ضياء الدين، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، مطابع سجل العرب، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩.

١٠- سالم، السيّد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٨.

١١- عابدين، محمد أبو اليسر، أغاليط المؤرخين، د.ن، دمشق، ١٩٧٢.

١٢- عاقل، نبيه، خلافة بني أمية، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٢.

١٣- ------التاريخ الأموي، إعداد مأمون حمدي، د.ن، د.م، ١٩٦٥.

١٤- العش، يوسف، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها إبتداء من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٥.

١٥- عطوان، حسين، الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٦.

١٦- عيسى، رياض، النزاع بين أفراد البيت الأموي ودوره في سقوط الخلافة الأموية، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٥.

١٧- فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٥.

١٨- --------أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة)، ترجمة عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٣، ١٩٧٣.

١٩- مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ٤جـ، دار مكتبة العلم للملايين، بيروت، متعدد الطبعات، د.ت.

٢٠- يلياييف، ي. أ، العرب والإسلام والخلافة العربية، نقله إلى العربية أنيس فريحة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٣.

د- **الدوريات:**

١- البطاينة، محمد ضيف الله، سياسة بني أمية في اختيار الولاة على البلدان، مجلة أبحاث اليرموك، مـ، ع٢، ١٩٨٥.

٢- ---------وصول بني أمية إلى منصب الخلافة، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ع ٨٣-٨٤، ١٤٠٩هـ.

٣- بيضون، ابراهيم، مؤتمر الجابية دراسة في نشوء خلافة بني مرون، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام (بلاد الشام في العصر الأموي)، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩.

٤- جرار، فاروق أنيس، عبد الملك بن مروان، مجلة أفكار، ع٤، ١٩٧٤.

٥- حمارنة، صالح، روح بن زنباع الجذامي، مجلة أفكار، ع٥٢، ١٩٨٦.

٦- --------مروان بن الحكم والخلافة، دراسات تاريخية، ع٦، ١٩٨١.

٧- خريسات، محمد، دورغسان في الحياة العامة، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام (بلاد الشام في العصر الأموي) تحرير محمدعدنان البخيت، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩.

٨- زلهايم، رودلف، فتنة عبد الله بن الزبير، تعريب حسام الصغير، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، م٤٩، ع١-٤، ١٩٧٤.

٩- سماق، فيصل، عبد الرحمن بن الحكم حياته وشعره، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، م١١، ع٣، ١٩٨٩.

١٠- شاكر، خليل، مسألة شغور كرسي الحكم من تنازل معاوية بن يزيد إلى تسلم مروان بن الحكم، المؤرخ العربي، م ١٢، ع ٢٨، ١٩٨٦.

١١- صالحيّة، محمد، مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الكويت، ع ٣-٤، ١٩٨١.

١٢- العقيلي، عمر بن سليمان، مبايعة يزيد بن معاوية بولاية العهد، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، م ١٢، ع٢، ١٩٨٥.

١٣-------- وقعة الحرّة في عهد يزيد بن معاوية (٦٣هـ/٦٨٣م)، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، م ١٣، ع١، ١٩٨٦.

١٤- العلي، صالح أحمد، إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى، مجلة الأبحاث التي تصدرها الجامعة الأمريكية، بيروت، م٢١، ع ٢-٤، ١٩٦٨.

١٥- محمود، شاكر، الأمويون والتاريخ، مجلة كلية العلوم الإجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٦، ١٩٨٢، الرياض.

١٦- الناطور، شحادة، جند الأردن ودور القبائل اليمنية في استرداد سلطة بني أمية، المؤرخ العربي، م ١٢، ع ٣٠، ١٩٨٦.